

قهوة بالنعناع.



تم تحويل هذه الرواية الى Pdf

بواسطة موقع ايحي فور تريندس

<https://www.egy4trends.com>

دائمًا ما يضع الإنسان خطًا لحياته، يرهق نفسه
وعقله وصولًا لأكثر خطة سير مناسبة له ولطموحاته

وأحلامه، ولكن في النهاية قد لا يحدث أي مما خطط
له، فالله قد وضع الخطة الأنسب له بدون أن يدري،
قد يبكي يحزن ولكنه في النهاية سوف يصل لأكبر
مراحل السعادة ونهاية مرضية. القاهرة. الثاني
والعشرون من أغسطس عام ٢٠١٥. يجلس في تلك
السيارة التي يتخطى سائقها الجميع مهرولاً بين
طرقات القاهرة المزدهمة، الأصوات الصاخبة تأتي له
من كل مكان، أصوات صيحات لأشخاص مختلفين
يملئون السيارة حوله، أصوات البوق الذي يضرب
كل دقيقة في استعجال وصوت دقات قلبه المرتفع
الذي يكاد يصل إلى أذان كل من حوله، ولكنه لم
يكن يعطي إهتمامه لأي من هذه الأصوات، فهو
وكل حواسه كانوا ينتبهوا إلى صوت واحد فقط وهو

صوت أنفاس الممدة بجانبه علي باقي الاريكة
الخلفية للسيارة. تتسطح بجانبه ورأسها مرتاحًا
على ساقيه، تنزف من كل مكان يظهر بها وأكثرهم
رأسها الذي يهدد بكفيه بخفة تنافس خفة الريشة
وعيناه مثبتة على عيناها التي تصارع لتبقي مبصرة
لوجهه الأسمر الذي يوشك على الانهيار، ينظر إليها
وكأنه إن غفل عنها ستذهب وتذهب أنفاسه معها،
الدموع داخل عيناه تتراقص وهو بالكاد يمنعها من
أن تمطر ليحل الشتاء مبكرًا على الله كله ا بالكاد
وهي تضع كفها الدامي على خاصته وهي تتشبث
به وقالت بأخر ما تملكه من قوة : _ أنا اسفة، أنا
وعدتك أني مش هسيبك بس.. مش قادرة
استحمل. نفي يونس بهيستيريا وهو يبكي بعد أن

عجز عن التحمل أكثر، فدموعه كانت عبيء يثقل
كاهليه كعبيء فقدانها : _ متتأسفيش. أنتِ لازم
تستحملي وتوفي بوعدك ليا، أرجوكِ مريم
استحملي، احنا قربنا نوصل للمستشفى خلاص.
بدأت أعين مريم تغلق تدريجيًا وبصوتٍ باهت
بالكاد سمعه قالت : _ سامحني. عانقها يونس
إليه أكثر غير أبهاً بجروحها الخطيرة وظل يردد في
أذنيها : _ مش هسامحك، لو مشيتي وسبتيني
لوحدي مش هسامحك لحد ما أحصلك يا حبيبتي،
مش هسامحك. انتظر منها إجابة لعدة ثواني ولكنها
لم تجيبه وكان الصمت هو أجابته الوحيدة الذي
عجز عن تقبلها، أبعدھا بخفة عن عناقه وعلي الفور
سقطت يدها التي تمسك بكفه وكأنه أكثر شيء

ثمين لديها، نظر إلى وجهها وكفها ليوافقه أسوأ
كوابيسه، فكفها قد تخلي عنه بعد الكثير من
الوعود، وعيناها قد غربت كشمس آخر يوم على
الأرض، نظر إلى صدرها وهو يتوسل بأن لا يكون قد
حدث ما يخشاه ولكنها كانت ساكنة، ونبضاتها
البسيطة والبطيئة لم يعد لها وجود.

لقد غادرت زوجته وحبيبته وهي تتركه خلفها يتيمًا
يحمل داخله الكثير من الذنوب والأعباء، كعبئ
الحياة بدونها وكذنب فشله في حمايتها رغم أنه
مكلف بحماية بلاده من الشرور وقد كان ناجحًا بهذا.
حل الصمت داخل تلك السيارة، لا يسمح أي شيء
سوي صوت شهقات صديقه التي تجلس في

المقعد الأمامي وتضع كفها على فمها مانعة
تسرب حزنها خارجها ولكنها قد غادرت ولا أحد
يستطيع تخطي هذا، توقفت السيارة فجأة وبقوة
جعلتهم يرتدوا إلى الأمام ولكنه أحكم زراعيه
القيوتين حولها يتمسك بها وهو يحمي جسدها بعد
أن أيقن أنها تخلصت من الألم ولم تعد تتألم بعد
الآن. خرج مروان صديقه المقرب من مقعد السائق
بسرعة وهو يفتح له الباب بعد أن وصل إلى
المشفى بأسرع وقت يملكه، ولكن يونس لم
يتحرك من مكانه أنشأ واحدًا وظل يعانقها بأقوي ما
لديه وهذا ما دفع مروان ليقترب منه أكثر وقال
بنبرة مهزوزة مشجعًا أياه على التقدم في ذات الاثناء
التي خرجت يارا من السيارة راكضة إلى الداخل

لتحضر المساعدة : _ يالا يا يونس، فُوق وخلينا
ندخلها عشان الدكاترة يلحقوا يسعفوها، يلا يا
صاحبي متستسلمش دلوقتى. حملها يونس علي
الفور بعد أن أعطاه صديقه مروان دفعة من الأمل،
خرج من السيارة وهو يسير بها إلى الداخل وفي ذات
الوقت قابلتهم يارا مع طاقم من الأطباء والممرضات
مع سرير جراح، وضعها يونس على السرير بحذر
وفور أن استقرت دفعها الآخرون إلى الداخل بأسرع
ما لديهم أما هو فذهب خلفهم بخطوات متعثرة
وهو بالكاد يستطيع أن يقف معتدلاً. وقف بعد
دقائق أمام غرفة الفحص بجانبه يقف مروان
منعجه ويارا من الجهة الأخرى وثلاثتهم ينتظروا
والخوف ينهش قلوبهم، وفي تلك الاثناء أتى احمد من

الخارج ركضاً هالغاً وقف بجانب شقيقه وتؤامه
الغير متشابه مروان وهو يسأله عن ما يحدث بنظرة
من عيناه وكانت إجابة مروان له تلك النظرة التي
وجهها على غرفة الفحص. وفي ذات اللحظة خرج
الطبيب وهو ينظر إلى واحدًا تلو الآخر، اقترب منه
يونس بخطوات مهزوزة وقال بصوتٍ متحشرج : _
مراي... أعطاه الطبيب الإجابة التي كانت السكين
الباردة التي ذبحته هو وأمله : : البقاء لله، مقدرناش
ننقذها هي وألا الجنين. خرجت الدموع متدفقة من
أعين يونس وهو يستمع إلى ذلك الخبر السعيد
الذي لم يعد كذلك، فهو عرف بأمر طفله في ذات
اللحظة الذي فقده به، فقد كانت عزيزته تخفي
داخلها هدية ولكنها كانت ظالمة فقد أخذت هديته

وغادرت بدون عودة. كاد يونس يسقط ولكن أمسك
به صديقه من كلا الجانبين وهم يأخذوه إلى أقرب
مقعد وكل واحدٍ منهم على وشك ذرف الدموع،
فهم للتو فقدوا صديقتهم منذ الجامعة وطفلاً
ويونس الذي فقد كل شيء لا يبدو أفضل حالاً بعد
الكارثة التي حلت به.

جلس مروان بجانب يونس يدعمه بصمت وهو
يربت على كتفه أما عن أحمد فهو ذهب بصحبة
الطبيب لأجل إنهاء الأوراق اللازمة وأحضار الأوراق
التي سيتوجب على يونس توقيعها ليفعل، وفي
طريقه أخذ يارا معه والتي كانت تبكي وعلى وشك
الانهيار كذلك ولكنها يجب أن تأجل الأمر فيوجد

شيء اخر عليها أن تتحمله. نظر لها أحمد صاحب
الشعر الأسود والذقن الخفيف وقال لها بهدوء
وتروي : _ يارا، أنا عارف اللي بتمري فيه دلوقتي؛
ولكن لازم تكوني قوية علشان صحابنا محتاجينا،
ماشي؟. أو مأت له يارا موافقة وهي تتنفس عميقًا
وتمسح دموعها بخفة ولكن كلماته أستوقفتها لهذا
نظرت إليه بقلق وقالت متسألة : _ قصدك أي أي
يا احمد، حصل أي تاني؟ أجابها أحمد سريعًا : _
نور، خالها وعيلته عملوا حادثة هما كمان، هو ومراته
اتوفوا وبنته الوحيدة ليلى حالتها خطيرة. وضعت
يارا كفيها على وجهها لتصارع نفسها لكي لا تبكي
مرة أخرى ولكن هذا اليوم صعب للغاية على
جميعهم والموت يحلق حولهم بطريقة مرعبة، تركها

أحمد تعيد ترتيب نفسها وأعصابها حتى هدأت
ونظرت إليه تنتظره أن يكمل وقد فعل : _ أنا
بعثلك موقع المستشفى، أنا كنت هناك بس
هفضل هنا مع يونس شوية، خليك معها وأنا
هحاول اجيلكم باليل . أومأت له يارا وأخذت
طريقها إلى الخارج لتجد أن أحمد طلب لها سيارة
لتأخذها إلى هناك، صعدت بها وذهبت إلى حيث نور،
الصديقة الأخيرة في دائرة الأصدقاء الخاصة بهم
والتي تعاني الآن بكل تأكيد فهي كانت على علاقة
قوية بخالها وعائلته والأمر سوف يكون اسوأ أن
غادرت ابنة خالها ايضاً، ف ليلي هي الأقرب إليها من
بين كل أفراد عائلتها، هن في نفس العمر ويبدون
كأصدقاء مقربين لكل من ينظر اليهن.

وقفت نور أمام ذلك الزجاج الصغير الذي يتوسط
بوابة الغرفة التي منعها الأطباء من الدخول إليها
تراقب تلك النائمة علي السرير والتي تتنفس من
جهاز التنفس الصناعي وملتصق بها عدة أسلاك،
لقد خرجت من غرفة العمليات قبل قليل، لم يقل
الأطباء شيئاً مطمئناً بعد وكل ما قالوه أن عليهم
الإنظار أربعة وعشرين ساعة ليروا كيف سوف
يتصرف جسدها بعد أن خضع لكل هذه العمليات.
اقتربت منها يارا تعطيها فنجان القهوة التي احضرته
لها من الأسفل لتأخذه منها بأعين متورمة من شدة
البكاء ولم يكن الأمر أفضل حالاً مع الأخرى التي
تبكي على كل ما حل بهم خلال عدة ساعات فقط،
: ربت علي كتفها بخفة وقالت بحزن

_ متخافيش يا نور، ليلى قوية زيك بالظبط، أن شاء
الله هتقوم بالسلامة. أومأت لها نور بصمت وهي ما
زالت تراقبها وكل فينة وآخره تنظر إلى جهاز نبضات
القلب الذي يقرع صوته المرتفع في كل أنحاء الغرفة
والخطوط المتعرجة به تشعرها بالراحة والمزيد من
الأمل. أسبوع قد مر علي الجميع وقد كان يبدو لهم
جميعًا كأسوأ أسبوع في حياتهم، يونس قد دفن
زوجته وطفله في رحمها أسفل التراب الثقيل على
قلبه قبل أن يكون ثقيل على جسدها، أتى إليها كل
يوم من الصباح وحتى تكاد الشمس تغرب ولا
يتحرك من مكانه إلا بعد أن يتم سحبه من قبل
أصدقائه. حضرت نور الجنازة الخاصة بصديقتها

فقط ولم تستطيع حضور الدفن لأنها كانت في نفس
الوقت التي دفنت عائلتها به خالها وزوجته، كانت
تأتي كل يومين لتقوم بزيارتها بصحبة أصدقائها
لساعة ثم تعود لتبقي بجانب ليلي التي لم
تستيقظ خلال ذلك الأسبوع لكن الطبيب قد
أخبرهم أنها سوف تحتاج إلى شخصًا تثق به عندما
تستيقظ ليخبرها بالأنباء الحزينة التي حدثت أثناء
فترة غيابها. وها هم مجتمعون مرة أخرى خلال
ذلك الأسبوع أمام قبر مريم، يتحدثوا معها، يقرأوا لها
القرآن ويساندوا يونس الذي ما زال على حاله، يبدو
في نظر الجميع كشخص ماتت زوجته للتو، عيناه
توقفت عن البكاء أجل ولكن روحه كانت تبكي
وعلي عكس المعتاد فكان بكاء روحه صاحبًا أكثر

من بكاء عيناه. مرت الساعات عليهم وها هم
يغادروا هم الخمسة معًا، وبهدوء سأل أحمد نور
قائلًا: _ بنت خالكِ ليلي عاملة اي يا نور؟، لسة
مصحيتش؟. نفت له نور بهدوء وهي تحاول ألا تبدأ
في البكاء وتتسبب في بكاء الجميع معها وقالت: _
لسة، احنا قلقانين بس الدكاترة بيقلولوا أنها
هتصحي قريب. أوما لها أحمد واكتفي بالصمت
وهو عاجز عن إيجاد شيء يمكنه مواساتها به ولكن
خلال لحظة صدح صوت رنين هاتفها جاذبًا انتباه
الجميع، أجابت نور سريعًا حيث كانت والدتها هي
المتصلة: _ ايوة يا ماما، حصل حاجة والا أي؟
هتفت والدتها من الجهة الأخرى ببكاء قائلة: _
أرجع بسرعة يا نور، ليلي صحيت وجالها انهيار

عصبي ورافضة تتكلم مع أي حد هنا ومش بتعمل
حاجة غير أنها بتسأل عن أهلها، وأنا خايفة اقولها
ومش عارفة اعمل أي. بدأت أعين نور تذرف
الدموع وقالت علي عجل : _ خلاص يا ماما اقفلي
دلوقتي أنا مسافة السكة وأكون عندك، خليك
جنبها بس لحسن تعمل في نفسها، سلام

ن تك... أغلقت نور بسرعة وفور أن أغلقت قابلتها
نظرات متسائلة من أربعتهم لهذا أجابت علي عجل
وهي تسرع بخطواتها خارج المقابر : _ ليلي
صحيت ومنهارة دلوقتي، لازم أرجع المستشفى
بسرعة. اقترب منها أحمد مبادرًا بدون تردد وقال :
_ يالا بينا أنا هوصلك. غادرت نور معه على عجل

وتركت أنظار الجميع وأفكارهم معلقة بها في
تعاطف، فما تمر به هي كارثي وسوف يزداد الأمر
سوءً الآن بعد أن استيقظت ليلي التي فقدت كل
شيء في غمضة عين، وفي ذلك الوقت شعر يونس
داخله بالرضا، فهو للتو قد فهم ما أخبره به شيخ
المسجد الذي كان يلتقي به كل يوم خلال ذلك
الاسبوع وهو يصلي الفجر في المسجد. فقد أخبره
أن هذه الدنيا لم تخلق لراحة العبد، بل خلقت
ليعاني بها، وكلما أحب الله عبدًا سوف يزيد من
التحديات والمصاعب له ليعاني ويتعلم كيف يصبر،
فجزاء الصابرين الجنة الذي سوف ينعم داخلها
بالراحة الأبدية، وقال له ان الجميع يعاني وسوف
يعاني، وكونه هو يعاني باكرًا بهذا سوف يجلب له

الراحة مستقبلاً، والآن هذا يبدو صحيحًا له فليس
وحده من يعاني، هناك أشخاص في الخارج يعانون
بقدره وربما أكثر منه وهذه الليالي هي واحدة منهم.
اقتحمت نور غرفة ليلى على عجل من أمرها وهي
تتنفس بصعوبة بعد أن كانت تركض بين ممرات
المشفى لتصل إلى هناك في أسرع وقت ممكن،
ولكن علي عكس عكس ما قالت والدتها كانت
الغرفة هادئة، ليلى نائمة على سريرها براحة
ووالدتها تجلس في زاوية الغرفة وعيناها تمطر دموعًا
بينما تطالع ابنة شقيقها الوحيد. اقتربت نور من
سرير ليلى برفق وبدون إصدار صوت لتبصر وجه
ليلى المرهق أمامها والذي يثبت ما قالت له والدتها
على الهاتف، وجهها أحمر اللون بخفة وعيناها حمراء

أكثر ومتورمة بخفة وأنفاسها صاخبة، الكثير من
الآلات الطبية قد أزيلت من حولها ولكن جهاز قياس
ضربات القلب ما زال موصولاً بها، ومنه استطاعت
أن تميز أن نبضات قلبها مشتتة. اقتربت منها
والدتها بخفة وقالت وهي تكفكف دموعها : _
الدكتور أداها حقنة مهدئة، هي لسة متعرفش حاجة
بس لما سألت عنهم ومحدث رد اتأكدت أن أن
حاجة حصلت لهم. ألتفتت نور إلى والدتها لتوما لها
بخفة وبصوت منخفض قالت : _ تمام يا ماما،
روحي انتِ عشان بابا هيقعد يزعج علي غيابك كل
الوقت دا. حركت والدتها فاتن رأسها توافق ابنتها
وبهدوء ربت علي كتفها وغادرت الغرفة ثم
المشفى بأكمله لتعود إلى منزلها فزوجها حسن لم

يتوقف عن الإتصال بها بالفعل وكذلك ابنها الأصغر
زياد صاحب التسعة عشر عام. جلست نور علي
المقعد الذي بجانب السرير وبخفة امسكت بكف
ليلي الأيسر الذي كان به حقنة وريدية توصل لها
المحلول الأبيض الذي يبقئها علي قيد الحياة، فهي
لم تشرب أو تتناول شيء منذ أسبوع، مرت
الساعات وهي تجلس مكانها تنظر إليها لبعض
الوقت وتنظر في فراغ الغرفة لبعض الوقت ولكن
حواسها عادت بأكملها لتتسلط على جسد تلك
الراكدة صاحبة الشعر الداكن الطويل الذي يستلقي
بجانبها على الوسادة عندما بدأ رأس يتحرك بخفة
وعشوائية. اقتربت منها نور أكثر بعد أن لمع
الخوف داخل عيناها، وبهدوء بدأت ليلي تستعيد

وعينا لحظة بعد لحظة حتى فتحت عن عيناها
السوداء كالفضاء في ليلة خالية من السحب، حركت
رأسها تنظر إلى الممسكة بكفها السليم لتجد أنها
نور، صديقتها المقربة والوحيدة وابنة عمتها،
ابتسمت نور لها بشدة وقهقهت بسعادة وهي
تهتف قائلة : _ صحيتي يا ام عيون جميلة،
وحشتيني اوي يا ليلي. بدأت دموع ليلي تتجمع في
عيناها مرة أخرى وبهدوء باتت تمطر على جانبي
وجهها وبصوت مبحوح بالكاد خرج قالت : _
خديني ليهم يا نور، أرجوكِ ، أرجوكِ خديني لبابا
وماما، عايذة أودعهم للمرة الأخيرة حتى. أومأت لها
سريعًا وهي تهز رأسها بسرعة وقالت بينما تزيل
دموعها بكفها الفارغ : _ " حاضر، الوقت اتأخر

دلوقتى بس أول الشمس ما تطلع هأخذك ليهم
حاضر. ' كل ما في الأرض من فلسفة، لا يُعزّي فاقداً
عمّن فقد. ' إيليا أبو ماضي.

———— Part Break ————

ن تك... التاسع والعشرون من أغسطس، ٢٠١٥.
تجلس أمام ذلك القبر المظلم منذ ساعات عديدة،
جسدها شبه مهشم والألم يكاد يأكلها حية وهي
تجلس في تلك البقعة ولكنها لم تتحدث او تنهض
فألم روحها أكبر من أي ألم آخر قد تشعر به، تقرأ ما
تحفظ من القرآن أمام قبر والدتها مرارًا وتكرارًا
وتبكي بصمت وهي لا تعير وجود نور إهتمام، هي
قد اجبرتها علي أن تأتي بها إلى هنا، ولم تملك
الأخرى أي خيار اخر، وها هي تجلس خلفها وتراقبها
منك ساعات وتبكي وتتوقف عدة مرات. أرسل لها

أحمد الكثير من الرسائل يسألها عن ما حدث ولكنها
لم تملك الوقت لتجيبه وها هي يارا تحادثها الآن
تسألها أيضًا عن مكان تواجدها، لترسل لها نور
رسالة لتأتي إليها لعلها تساعد في إقناع ليلى علي
المغادرة معهم فهي ترفض المغادرة والساعة قد
تخطت الخامسة والشمس علي وشك المغيب.
نظرت يارا إلى مروان وتحدثت قائلة بصوت
منخفض وصل صده إلى الجميع : _ نور هنا
وجابت معها ليلى، أنا هروحلهم عشان أساعد نور،
ليلى مش عايزة تروح! قال مروان وهو يقترب منها
خطوة : _ تعالي أوصلك وأرجع عشان متضيعيش.
كانت يارا علي وشك الموافقة ولكن يونس الذي
أغلق مصحفه ونهض من مجلسه جذب انتباه

ثلاثتهم، نظر إليها وقال : _ يالا نروح كلنا، إحنا
موقفناش جمب نور كفاية. ربت أحمد علي كتفه
بأبتسامة صادقة، فهو وعلى الرغم من فقدان
الذي يعيشه إلا أنه ما زال يفكر بشأن أصدقائه،
ابتسم إليه يونس كذلك ابتسامة باهتة لم تصل إلى
عيناه الحزينة، وهو يبدأ في السير متجهًا إلى قبر
زوجة خال نور الذي ذهب لزيارتها مرة واحدة من
قبل خلال ذلك الاسبوع التعيس، دقائق مرت عليهم
وهم يسيروا حتي بدأ صوت نور المتوسل يظهر
إليهم، ثم ظهرت إليهم بأكملها وهي تتحدث مع
تلك الشاحبة التي يبدو بأن جسدها في حالة مزرية،
فا في وجهها يوجد عدة خدوش لا بأس بها وكفها
الأيمن ملفوف بالكثير من الشاش ولا يظهر منه إلا

قمة اصابعها. وجهها شاحب وعيناها زابلة ومتورمة

بينما تمطر على وجنتيها بخفة ولا تبدو لأي واحدٍ

منهم كأنها واعية على ما يحدث حولها، وقف

الشباب الثلاثة على بعد عدة خطوات منها وهم

ينظروا إليها كأنهم ينظروا إلى طفل صغير يصارع

الموت، فقد كانت صغيرة بدأت عشرينياتها للتو

ولكن مع تلك البداية خسرت الكثير وعلى الاغلب

سوف تعلق روحها في هذا العام. اقتربت يارا تجلس

أمامها بجانب نور وهي تخبرها عن ضرورة العودة إلى

المنزل الآن فالشمس على وشك المغيب، لكنها

نظرت إليها بعد أن أنهت من الحديث وقالت بنبرة

باهتة وصوت بالكاد خرج من حنجرتها : _ يارا،

كويس أنك جيتي، من فضلك شوفي نور عشان

عايزة تبعدني عن ماما، أنا قولتلها إني هفضل هنا
بس هي مش راضية تسبني، ماما مش بتحب تكون
لوحدها، هي دايمًا كانت بتقولي إنها بتكره الوحدة
أوي وأنها مبسوفة عشان خلفت بنت عشان تكون
بنتها وصاحبته وأنها معايا مش بتحس بالوحدة،
مينفعش اسيبها، هتخاف.

نهضت نور من مجلسها وهي تبتعد عدة خطوات
للخلف وتسمح لدموعها بأن تغادر براحة وبصعوبة
حاولت كبج شقهقاتها داخلها لكي لا يزيد الأمر
سوءًا ولكن البعض قد خرج منها خلسة، أما عن يارا
فهي رمشت عدة مرات وهي تنظر إلى السماء
لتحاول أن تحافظ على هدوئها حتى النهاية وقالت

لها بهدوء وهي تربت على رأسها بخفة : _ طيب
بصي، تعالي نروح دلوقتي وبكرة نرجع أنا وأنتِ ونور،
وهنتكلم معاها كتير ومش هنخليها تحس بالوحدة
خالص. نفت لها ليلي بشدة وقالت وهي تربت
على القبر بهدوء : _ لا مقدرش، هي اصلا حاسة
بالوحدة، دي كانت مستنياني من أسبوع وكانت
بتجيلي في أحلامي بس أنا فضلت أحلم وسبتها
لوحدها، أنا كنت بحلم أننا هنسافر سوا زي ما
وعدتني، بس... بس هي مشيت قبل ما نروح
ونكست وعدّها معايا، بس أنا مش هعمل زيها، أنا
وعدتها إني هفضل معها، مقدرش اسيبها لوحدها
دلوقتي. نهضت يارا بسرعة بعد أن تدفقت دموعها
واقتربت من نور تعانقها بقوة لتستقبل الأخرى

عناقها بسرعة وهي تبكي بين احضانها بعد أن
فقدت كل واحدة منهم زمام الأمور وباتت سيطرتهم
على دموعهم مستحيل، بينما ظلت ليلي تربت
على القبر وكأنها تهدد رأس طفل صغير وفي ذلك
الوقت فقط لم يستطيع يونس أن يبقي متفرجًا،
لقد اقترب منها تحدث أنظار الجميع وجثي أمامها
علي ركبتيه بعد أن خرجت دموعه من محجريها
وهي تركض بوسع على خديه. قال وهو يقرأ العزاء
الكامن داخل عيناها السوداء كسواد الليل : _
مينفعش تقعدي هنا، وجودك مش هيساعدها
لأنك مش هتقدرى تنزلي ليها تحت وهي مش
هتقدر تطلعك فوق، بس أنتِ وهي هتتجمعوا مع
بعض في يوم من الأيام، في يوم كلنا هنجتمع بالناس

اللي بنحبهم بس مش دلوقتي، ودلوقتي مفيش
حاجة هتقدر تساعدك إلا دا، دا بس. قدم لها يونس
مصحفه الصغير وقام بوضعه داخل كفها السليم
وقال مرة أخرى وهو ينظر إلى عيناها الغارقة في
الدموع : _ أقرأ ليها سورة دلوقتي، وسورة بكرة
وسورة بعد بكرة، أعملي كدا كل يوم ودا بس اللي
هيعالج قلبك ويحسسه بالسكينة ، ودا اللي
هيحمي والدتك من الوحدة كمان. نظرت إليه ليلي
بشدة ورؤية دموعه جعلتها تبكي أكثر بدون إصدار
صوت وسألته بصوتٍ مهزوز : _ وأنت؟، قلبك حس
بالسكينة؟ نفي يونس برأسه وقال وهو يزيل
دموعه عن وجهه بسرعة بعد أن أدرك أنها تبكي
الآن لرؤيته يبكي : _ لسة، بس قريب هيقدر

يوصلها، أنا واثق في ربنا، وأنت؟ حررت ليلي عيناه
من قيود عيناه البندقية وفتحت المصحف بيدٍ
واحدة بينما تقوم بتحريك صفحاته باحثة عن إحدى
السور بصعوبة، اقترب منها يونس أكثر وهو
يساعدها لتصل إلى السورة التي تبحث عنها وبهدوء
: قبلت مساعدته وهمست قائلة

_ سورة القمر، أمي كانت أسمها قمر. جلب لها
يونس السورة وأعطاه لها لتأخذه منه بهدوء وتبدأ في
القرأة بهمس، ودموعها تقطر على صفحاته
لتمسحها بأصابعها بسرعة وهي تستمر في القراءة،
أما عنه فهو عاد ليقف مرة أخرى ولكن علي مقربة
منها وهو يراقبها في الوقت الذي كان الجميع يراقبه

هو، فهو للتو قد استطاع إقناعها بما لم ينجح أحد
في إقناعها به، وقد أعطاه طريقتة في التماسك
أيضاً، الطريقة التي كان يستخدمها منذ أن توفيت
مريم منذ أسبوع. إنتهت ليلي بعد عدة دقائق من
قراءة سورة القمر وعلى الفور نظرت اليه بعيناها
الواسعة المزينة بالدموع ورفعت المصحف تعيده
إليه بيدٍ مهزوزة وضعيفة، ولكنه بأبتسامة صغيرة
تحدث قائلاً : _ خلاص بقا ليك، تقدري ترجعولي
بس لما تختميه عشان والدتك. أومأت له ليلي
وقالت وهي تلتفت إلى نور بعد أن عتقته من
نظراتها المكلفة بالبرائة : _ نور، يالا بينا نروح، عشان
أنا هرجع الصبح عشان اقرأ لأمي سورة جديدة.
أومأت لها نور بأبتسامة واسعة واقتربت منها

بسرعة لتنحني عليها، تعيد الخصلة التي تحررت
من غطاء رأسها الأسود إلى الداخل ثم أمسكت بها
من جهة اليمين بحذر وأقتربت يارا لتساعدها
وتمسكها من الجهة اليسرى وبهدوء ساروا معها إلى
حيث سيارة أحمد التي تنتظر في الخارج والذي
عرض عليهم إيصالهم إلى المشفى مرة أخرى وقد
وافقت نور سريعًا فهذا مريح أكثر لليلي الجريحة،
صعدت ليلي إلى السيارة وهي تتشبث بمصحف
يونس بكل ما تملك من قوة وآخر شيء رأته كان
ابتسامته لها قبل أن تتحرك السيارة مغادرة.
..... الثلاثون من أغسطس، ٢٠٢٠.

مرور الأعوام في حياة الإنسان شيء يحدث بشكل
متكرر حد الملل، فمع كل عام يمر على الأرض يكبر

الجميع في كل مكان من أركان العالم ويضاف هذا
العام إلى حقيبة عمرهم، ولكن كيفية تعامل الإنسان
مع تقدمه في العمر ومرور أعوام حياته هو أمر
نسبي يتغير مع تغير الإنسان، فيوجد من يحتفل
بمرور عام جديد على حياته كل عام بدون ملل أو
كلل، يتقبل الهدايا والتهنئة بصدرٍ رحب يقيم
حفلات أعياد ميلاد ويستمتع بنفخ شموع كعكته.
ومن البشر يوجد نوع آخر يكره تلك الذكرى ويكون
ذلك اليوم بالنسبة له كيوم خريفي غائم وعاصف
ومحمل بالأتربة، فهذا اليوم يذكره بأنه قد كبر عالمًا
آخر متورطًا في حياة البالغين أكثر ومقتربًا من أجله
أكثر وأكثر، أما عن النوع الثالث والأخير فهو النوع
الذي لا يبالي، فبالنسبة له تاريخ ميلاده ليس إلا يوم

مثل أي يوم آخر في العام، وربما يوم العطل الرسمية يكون قيمًا أكثر منه، ويونس كان من ذلك النوع من الناس. في البداية كان الأمر بالنسبة له كارثي، يكره الثلاثون من أغسطس ككرهه الشديد للون الأسود، يمنع الجميع من تهنئته بهذا اليوم أو فكرة الإحتفال به ويقضيه حبيس غرفته ولا يخرج أو يرى الشمس إلا بعد أن تشرق شمس اليوم التالي، ولكن الآن وبعد مرور خمسة أعوام من نكسته بات يوم ميلاده يومًا مهمسًا في تقويمه، بات يتلقى التهاني بفتور وبات الأسود يملأ خزانته واللون الذي تستطيع عيناه أن تميزه بسرعة في كل شيء حوله.

دقت الساعة الثامنة ليلاً ونهض يونس من فوق
مكتبه مستعداً ليعود إلى منزله بعد أن ارهق نفسه
في العمل مثل كل يوم، أغلق جهازه المحمول وأخذ
فاتيح سيارته ومنزله وهاتفه وغادر المكتب
بخطوات قد تبدو كالزحف من شدة بطئها، كان
المكان مزدحمًا بالفعل فيوجد الكثيرين لم ينهوا
عملهم بعد، أخذ طريقه إلى الجراج حيث سيارته وفي
طريقه صدح صوت رنين هاتفه ليخرجه بكسل
ويجيب بعد أن لوح اسم مروان علي الشاشة. _
الباشا صاحب عيد الميلاد المختفي، فينك يا عم
احنا مستعدين نقلبها سمردحة. قهقهة خافتة
تسربت من فم يونس الذي كان قد وصل إلى
سيارته بالفعل وقال : _ سمردحة!، يخربيت

ألفاظك يا اخي، المهم أنا مروح كفاية السمردحة
اللي بتطفحها لنا طول السنة في كل مناسبة. تنهيدة
صاخبة خرجت من ثغره الآخر وبهدوء قال : _ طب
تعالى اقعد معنا بس فاكس إحتفال أو تعالى نروح
أنا وأنت عند أحمد نلعب بلايستيشن نور كدا كدا
مش هناك. تمسك يونس برفضه حتي الرmq
الأخير وقال بهدوء : _ لا أنا تعبت النهاردة في
الشغل يدوبك اروح أنا، روح أنت وكره أخوك حياته.
تماشي معه مروان في الحديث الذي حاول يونس
بكل ما لديه من طاقة أن يبعده عن المسار الجدي
وأخذ المزاح كبديل : _ طب علي فكرة بقا أنا احلي
وأحمد واحد فيكوا ومن غيري متعرفوش تعيشوا.
قال يونس ممازحًا وهو يستعد ليغلق الهاتف في

وجهه بعد أن يقول ما لديه : _ اتصدق بالله، أنا
معرفش أحمد استحملك في بطن امك إزاي، دا من
الجبال والله وعلى الأغلب لما زهق منك ضربك
بالرجل خرجك الأول وللأسف بقيت الكبير. قهقهه
يونس بينه وبين نفسه بينما يلقي هاتفه علي
المقعد المجاور له وهو يتخيل كيف يبدو وجه
مروان الآن بعد أن حادثه بهذه السخرية وأغلق
المكالمة في وجهه، ولكنه حقًا مقتنع بكل كلمة
قالها فرغم أن مروان وأحمد توائم إلا أن فارق
الشخصية بينهم كالأرض والسما فمروان رغم أنه
الأكبر من بينهم حيث ولد أولاً إلا أنه الاتفه من
بينهم، كثير المزاج لا يأخذ الأمور بجدية إلا في أحلك
لحظات الحياة غير هذا فهو طوال الوقت مبتسم

وسعيد ولا يهدء إلا بعد أن ينشر سعادته في الارحاء.
أما عن تؤامه الأصغر احمد فهو الاهدئ والأكثر
عقلانية من بينهم، يبدو بالفعل كسقراط أو عالمًا ما
كما كانوا يخبروه حين كان صغيرًا، يضع خططًا
مستقبلية ويهتم بتنفيذها بشكل أو بآخر ويكره
الضخب والفوضوية، كان الأمر مفاجئاً عندما علم
الجميع أنهم أنهم تؤامين فهم ليسوا متشابهين في
الطباع أو الشكل وكانوا بالنسبة للجميع كأصدقاء
مقربين فقط. استرخي يونس أكثر من السابق وهو
يقود في طريقه إلى المنزل بعد أن كان يحمل فوق
كاهليه عبئ التهرب من الإحتفال بعيد ميلاده هذا
العام ايضاً ولكنه تخلص من هذا العبء بعد
مكالمته الودودة مع مروان والذي والذي يعلم بأن

أحمد يعلم بشأنها قبل أن تحدث، وعلي الأغلب هو
قد أرسل نور إلى منزل والديها لعله يقبل أن
يذهب للبقاء معهم هذا العام ولكن أصدقائه ما زالوا
لا يضغطوا عليه بشأن هذا الأمر حتى بعد مرور
خمسة أعوام علي توقفه عن الإحتفال بهذه
المناسبة، وما زالت راحته بالنسبة لهم أهم من أي
شيءٍ آخر كالعناد أو الاجبار أو وضعه تحت الأمر
الواقع. دقائق لا بأس بها كانت تفصل يونس عن
ملاده الأمن حيث ينتظره دفيء منزله، توقف أسفل
البنية الذي يعيش بها وبتمهل صعد إلى الأعلى
حيث شقته التي تقطن في الطابق الرابع ولكنه
ورغم أرهاقه وكالعادة قد أختار الدرج عن المصعد
الكهربائي فهو وطوال اليوم يميل إلى الاختيارات

الصعوبة ليعود إلى منزله خائر القوة وينسدل علي فراشه ليحصل على عدة ساعات كافية من النوم، بدون أرق أو مبالغة في التفكير فأن علق في أحدهم لن يخرج. وصل إلى باب شقته بعد دقائق وقبل أن يمد مفتاحه جهة الباب خذبت انظاره الأضواء المضائة والذي يراها بوضوح من أسفل الباب، ابتسامة صغيرة ظهرت علي محياه فهو على الفور كان يعرف من في الداخل والذين لم يكونوا سوا والداه.. فتح يونس بابه لتظهر له الأضواء الأضواء في الداخل، صوت التلفاز المرتفع مصاحبًا لصوت والديه الذين يتشاجروا بخفة وكل واحدٍ منهم يحاول أن يحزر ما الذي سوف يحدث في المشهد التالي من مسلسلهم المفضل، ظل ينظر إليهم للحظات بدون

أن يصدر أي صوت يجعلهم منتبهين إلى وصوله،
فهو مشتت القلب لا يدري ما الشعور الذي يطرق
أبواب قلبه الآن؟ أهو الدفء لأنه وبعد أيام طويلة من
الوحدة داخل جدران هذا المنزل ها هو يعود ليجد
المنزل بالفعل مليء بالانس، أم يشعر بالسعادة لأن
والديه ومرة اخري اتوا إليه هذا العام في يوم ميلاده
ورفضوا تركه بمفرده كما يخبر الجميع، ومرة أخرى
سوف يتناول وجبة دافئة صنعت لأجله ومرة أخرى
سوف تسعده هذه الايدي المليئة بالتجايد وكأنه
ولد لتوه وليس في عامه الثلاثون بالفعل. هو يشعر
بالكثير من المشاعر الإيجابية ولكن داخله توجد
نقطة سوداء واحدة خائفة، خائفة من تحدثهم في
ذات الموضوع الذي يشعره وكأن عالمه يقلب رأساً

علي عقب. ' مات الذين أحبهم، واللوز يزهر كل عام
بانتظام. ' محمود درويش

———— Part Break ————

ن تك... الكثير من المصريون بشكل خاص
يكرهون شهر فبراير من كل عام، وفي الطبقات
البسيطة من المصريون يقولون أنه نذيرًا للشؤم
رغم أنه صغير وتقتصر أيامه على ثمانية وعشرون

يومًا فقط والطقس به لطيفًا وهذا قد يبدو تفكيرًا
غريبًا غير مبرر، والأكثر غرابة أنه بين فبراير
وأغسطس فبراير ما زال غير محبوبًا، رغم أن
أغسطس شهر حار طويل عدد أيامه دائمًا واحد
وثلاثون يومًا، النهار به طويلًا والشمس تكون في أوج
لحظاتها. هي لم تكن تفهم الأمر أيضًا، لما عليهم أن
يكرهوا شهرًا مسالمًا كفبراير الذي يدعو البعض
'فبراير' من شدة تشائمهم به بينما يتركوا أغسطس
حرًا تليقًا من رصاصات ألسنتهم، لطالما كرهت ذلك
الشهر والأحداث الكارثية التي تحدث لها به كل عام
جعلتها تتمسك بموقفها حتي اللحظة الأخيرة،
وحتى اللحظة الأخيرة سوف تتمسك بوجهة نظرها
المعاكسة للجميع، كوجهة نظرها حول شرب الشاي

باردًا بعد أن يتم صبه بدقائق طويلة ووضع النعناع
على القهوة. وقفت نور بجانبها في المطبخ وهي
تراقب كيف تضع بعض النعناع المجفف مع
القهوة التي تقترب من الغليان بينما تصنع لها
فنجان اخر بدون نعناع وبملايح متجعدة بغرابة
هتفت نور : _ هو الاختراع دا حقيقي طيب،
طميني عليكِ أنتِ ومعدتك وقوليلي أن حد
بيشرب العك دا غيرك. ابتسمت لها ليلي بخفة
علي استغرابها من مشروبها المفضل وهي تحضر
الفناجين من المطبخ الخشبي خلفها وقالت : _
من معدتي إلى نور، اطمني كل حاجة تحت السيطرة.
اقشعر جسد نور وهي تأخذ فنجان قهوتها الطبيعي
بينما تأخذ خطواتها إلى غرفتها القديمة أولاً، والتي

أصبحت غرفة ليلي الآن بعد أن تبقت هي في منزل
عمتها بعد زواج الأخرى من أحمد، حبيب شبابها،
ذهبت خلفها ليلي وهي تقهقه بصوتٍ خافت حتى
لا يصل الصوت إلى غرفة عمتها وزوجها فالوقت
أصبح منتصف الليل وهم في منتصف نومهم الآن،
حتى يستيقظوا باكراً ويذهب كلّاً منهم إلى عمله.
دفعت نور الباب ثم عبرت خلفها ليلي التي وبهدوء
أغلقت الباب ثم خفية عن أعين الأخرى أغلقته مرة
أخرى بالمفتاح، ثم ذهبت خلف نور التي اتجهت إلى
الشرفة لتأخذها مجلساً لهم فالجو خائق من شدة
الحر وربما في الخارج يلتقطن أي ذرة هواء باردة
تساعدهم على التنفس، جلستا الاثنتين مقابل
بعضهم البعض وبصوتٍ هادئ فتحت ليلي

موضوعًا معها تبدأ جلسة من جلسات الثرثرة
المفضلة إلى قلبها : _ أنتِ أي اللي جابك النهاردة،
حصل حاجة بينك وبين أحمد والا أي؟ نفت لها نور
وهي تستمتع بشرب فنجان قهوتها التي صنعتها لها
أفضل صانعة قهوة على الإطلاق من رأيها ثم
بالقليل من الحزن الذي سيطر على نبرتها قالت : _
النهاردة عيد ميلاد يونس، أحمد ومروان كان عندهم
أمل أنه كان ممكن يتنازل ويروح يحتفل معاهم
النهاردة عندنا عشان كدا جيت وسبتلهم الشقة بس
كالعادة يونس اتهرب ومرحش.

جذب الحديث انتباه ليلي بالكامل التي وجدتها
فرصة تسأل عن هذا الأمر فلم يكن لديها فرصة

لتسأل سابقًا : _ هو ليه بطل يحتفل بعيد ميلاده؟،

الموضوع دا من ساعة حادثة مراته مش كدا؟.

جحظت أعين نور التي اعتدلت في جلستها وتمتمت

بتسأل : _ هو أنا محكتلكيش قبل كدا بجد؟ نفت

لها ليلى بصمت لتعبر الأخرى عن غرابة الأمر، فمئذ

خمسة أعوام والجميع يحاول مع يونس بشأن يوم

ميلاده واعتقدت نور أن الجميع بات يعرف عن الأمر

بالفعل، ولكن اتضح لها أن قريبتها المنطوية بعيدًا

عن العالم ما زالت من الجاهلين، ولهذا وضعت

فئجائها وبدأت تقص الأمر علي ليلى التي فعلت

المثل تاركة فئجائها من كفها لتركز على كل ما

سيخرج من فم نور : _ الموضوع اه ليه علاقة

بالحادثة، اصل مريم قبل عيد ميلاد يونس بكام يوم

عرفت أنها كانت حامل ومكنتش قايلة لحد خالص
بس كانت مدياني أنا ويارا شوية تلميحات كدا عن
الموضوع، وقررت أنها هتعمل حفلة كبيرة عشان
عيد ميلاده وعشان تقوله عن الخبر بتاع الحمل وفي
الفترة دي كانت مقضيها مشاوير وبتعمل كل
حاجة بنفسها بس في يوم بقا وهي مروحة عملت
الحادثة والمصيبة أن يونس كان واقف الناحية
التانية من الطريق ومقدرش يلحقها قبل العربية ما
تخطها، وبعد ما اتوفت هي وابنها يونس حمل
نفسه ذنب كل حاجة، واقنع نفسه إنها لو مكنتش
بتخطط لحفلة ليه مكنتش ماتت ولحد دلوقتي
مش بيحتفل. لمع الحزن داخل أعين ليلى التي
ظلت هادئة بعد أن سمعت عن الأمر أخيرًا بعد

فضول اشتعل داخلها منذ أعوام ولكنها لم تملك
الجرأة لتسأل عن ما يعلمه الجميع عداها، وبطريقة
ما ظهرت صورة عيناه الباكية أمامها مرة أخرى كأنه
كان يجلس أمامها في المقابر للتو فقط ومجددًا
الحزن في عيناه جعل غصة تتكون في حلقها، هي
تعلم أن طريقة تفكيره خاطئة وأن تلك الـ ' لو '
ذنب وعبء يحمله على كاهليه ولكنها لا تستطيع
إنكار أنها وإن كانت مكانه ربما كان سيكون موقفها
مشابهًا لموقفه، لقد سمعت أحدهم ذات مرة يقول
أن كلمة لو من فعل الشيطان، فلا يوجد لو، ما كتبه
الله كان سوف يحدث حتى وإن تغيرت الظروف
كان سيحدث الأمر بطريقة أخرى. وربما يونس في
حاجة ليخبره أحدهم بهذا، ربما هو يحتاج أحدًا ليربت

على كتفه ويخبره أن الأمر لم يكن خطأ، ربما هو
يحتاج أحد أن يعانقه أو يصفعه ليقنعه أن قدر الله
نافذ في كل وقت وأوان وأنها كانت ستموت حتى
وإن كان الشهر مختلفاً أو مكانها مختلفاً، ولكن الأمر
سوف يأخذ بعض الوقت ليصل له، فهي عاجزة عن
مواساته كما قام بمواساتها سابقاً بكل الود الذي
خلق في العالم. عادت ليلى إلى أرض الواقع مرة
أخرى بعد أن كانت تحلق بين أفكارها عندما لوحث
لها نور أمام عيناها وقالت بابتسامة : _ بتفكري
تسرقى بنك وألا أي؟ حملت ليلى فنجان قهوتها مرة
: أخرى وقالت

ن تك... _ لا، بفكر في طريقة أخليك تدوقي بيها
القهوة بالنعناع. وضعت نور يدها على صدرها
بدرامية وهي تشهق بصخب وهتفت بها قائلة : _
أنتِ عايزة تقتليني!، رجعوني لبيت حبيبي ماهو
صحيح زي ما بيقولوا، من خرج من داره اتقل
مقداره. قهقهت ليلي عليها بشدة وهي تراقب
كيف ركضت نور إلى حقيبتها لتحصل على هاتفها
وتحادث أحمد، فأبنة عمتها تلك تستغل أي فرصة
لتلتصق في زوجها وتعود إليه ركضًا وهذا ما يجعلها
مطمئنة عليها، فعلي ما يبدو أن الحب يمكنه أن
يظل مشتعلًا بعد الزواج كشمعة داخل كأس، تذوب
وتعود مرة أخرى إلى ما كانت عليه. وبعيدًا عن تلك
الغرفة الصغيرة التي تعبأت بصوت القهقهة في هذا

الوقت المتأخر من الليل كانت شقته ايضاً غارقة في
صوت القهقهة وعلى مائدة الطعام تلك كان يجلس
أمام والديه، يتناول الطعام الذي صنعه له والدته
بالحب وهو يراقب الشجارات الطريفة التي لا
تتوقف بين والديه والذي لا يجرؤ بأن يخبرهم كم أن
الأمر طريفاً بصوت مرتفع، فهو رجل ناضج في
الثلاثين من عمره نعم ولكنه ما زال يخاف والديه
خاصة أمه صاحبة نوبات الغضب المدمرة. هدأت
الأجواء بينهم بعد فترة من الزمن وبعد أن استطاعوا
أخيراً رؤية عدة إبتسامات صغيرة على وجه
صغيرهم صاحب عيد الميلاد الذين أتو خصيصاً
لأجله من الإسكندرية ككل عام مضى منذ خمسة
أعوام؛ حيث ولد يونس بين أحضان الزحام والبحر

والأمواج الصاخبة، كان الهدوء هو سيد المكان وكل
ما يسمع هو الأنفاس المنتظمة واحتكاك الملاعق
مع الأطباق ولكن النظرات التي كان يتبادلها أبويه
كانت صاخبة حد الصراخ، فحازم والد يونس الذي
أكل الشيب خصلاته البنية شبيهة يونس الذي ورث
الكثير منه كان يحاول أن يمنع حدوث كارثة
بالنظرات فقط؛ ولكن سلوى صاحبة الملامح
السمراء الجميلة رغم التجاعيد التي توزعت حول
عينها الواسعة كانت قد حسمت أمرها و تجاهلت
نظراته بالكامل وبعد أن تأكدت أن يونس اكتفى من
تناول الطعام حتى تركت شوكتها أيضًا وبهدوء
تحدثت منهية فترة السلام بينهم ومهددت لحربٍ
قريبة : _ شوفت يا يونس، مش سارة راجعة مصر

أول الشهر الجاي. ترك يونس شوكتة علي مضض
بعد أن بدأ يحدث ما تمني ألا يحدث طوال سهرتهم
سويًا، تنفس بهدوء وهو يحاول قدر الإمكان أن
يحافظ على هدوئه حتى اللحظة الأخيرة، وقال ممثلًا
الدهشة : _أي دا بجدا، ترجع بالسلامة. نظرت
سلوى مرة اخيرة إلى زوجها حازم الذي أشار لها أن
تتوقف هنا فها هي تدمر كل جهودهم في إخراجه
من حالة الحزن والكثابة التي تحيط به ولكن مقابل
اعينه المحذرة كانت عيناها هي واثقة ومُصرة ومرة
أخرى تحدثت بطريقة ملتوية تتفحص بها رد فعله
قبل أن تقول ما لديها : _ أنت عارف، رغم أن سارة
بنت اختي بس أنا مستغرباها الصراحة، البنت كانت

بتدرس في أوروبا ورغم كذا عمرها ما دخلت في علاقة
طول الفترة اللي قعدتها هناك، أنت متخيل؟.

ن تك... تحدث يونس يتماشى معها في خدعتها : _
سارة عاقلة يا ماما وأكيد شافت أن دا القرار الأصح
ليها وأنا كأخوها الكبير هفضل دا طبعاً عشان
الرجالة الأجانب مش أحسن حاجة. كانت جملته لها
كالرصاصة التي أتت من اللا شيء مخترقة رأسها
وجعلت من أعصابها تتطاير من حولها بدل الدماء،
لهذا اختفي الهدوء والترقب من ملامحها وصرخت
به بعد أن ملاء الغضب قلبها ولامحها : _ أختك
يعني أي يا يونس؟، سارة بنت خالتك وألا نزلت من
بطني وألا رضعت معاك خليتها أنت أختك ازاى أنا

مش فاهمة؟. تنفس يونس بقوة يملأ رائيته
بالأكسجين في الوقت ذاته الذي كان ينظر إلى والده
به، كانت نظرة قصيرة فقط بينهم هو طلب
المساعدة وأخبره والده أنها مشكلته وأنه لن يغامر
في جعلها غاضبة منه فعلي عكسه هو من يعيش
معها أسفل سقف واحد ولن يعينه أحدٍ عليها أن
حاولت قتله، أعاد يونس نظره إلى والدته التي
تتنفس بعنف وتحقق به بوسع عيناها من فرط
شعور الغضب الذي داهمها بسببه وقال بأخر ذرة
هدوء يملكها : _ أنا أقصد أنها زي اختي معنويًا يا
ماما، واللي أنتِ عيزاه مش هيحصل، أنا لا هتجوز
سارة وألا غيرها، أنا خلاص اتجوزت مرة ومش
هكررها. ضربت والدته طاولة الطعام بيديها الإثنتين

بغضب بعد أن كادت تصرخ به بأعلى صوتًا تملكه
ولكنها تماكنت نفسها في اللحظة الأخيرة، وها هي
تقف أمامه وتهتف به بغضب : _ ليه بتعمل كدا يا
بنى، ليه بتصعبها عليك وعلينا، مستخسر فينا
نشوفك سعيد تاني، مستخسر فينا نشوفك إنسان
سوي وطبيعي تاني، مستخسر فينا نشوف حته
منك بتتحرك حولينا ونسمع منها جدو وتيتا تخلي
روحنا ترفرف حتى بعد ما نموت. نكس يونس
وجهه أمامه على الطاولة وهو يحرك كفه الكبير
على جبهته بتوتر بعد أن تحول الأمر إلى كارثة
فعليه، فوالدته بعد عام من الصمت قد فقدت آخر
ذرة صبر لديها وها هي تذكره بما كان يتناساه
ويحاول نسيانه منذ أعوام، وبهدوء قال : _ أنا برضو

كنت عايز ابقا سعيد، كنت عايز ابقا أب وابقا إنسان
سوي دايمًا بس دا قدر ربنا وأنا راضي، أنا راضي
بحياتي اللي ربنا كتبها لي كدا والأحسن أنتِ كمان
ترضي. حركت سلوى رأسها رافضة إلى ما تسمعه
منها وقالت بحيرة من أمرها : _ الرضا، أي علاقة
الرضا بالحياة اللي أنت عايشها، هو أنا قولتلك
متبقاش راضي، أنا قولتلك عيش يا يونس، أنا
بقولك أدي نفسك فرصة مطلبتش منك
المستحيل، اللي أنت فيه دا جنون، محدش بيعيش
علي ذكرى حد طول حياته يا يونس إلا لو كان
مجنون. رفع يونس رأسه لها وقال منهيا الحوار
بينهم : _ اعتبريني مجنون يا ماما. نهض من
مجلسه تاركًا طاولة الطعام خلفه، عليها يجلس

والده المتفرج وأمام الطاولة تقف والدته التي يكاد
عقلها يهرب من رأسها، كاد يسير عدة خطوات
متجهًا إلى غرفة نومه ولكنها قالت ما اوقفه مكانه
وجعله متجمدًا في أرضه :

_ أنا مش هعتبرك مجنون وأنت أعقل العققلين
وعشان أنت عاقل هخيرك بين حاجتين يا يونس،
ياما تتجوز وترجع تعيش حياتك بالطريقة الطبيعية
اللي ترضيني وترضى ربنا، ياما اعتبر إنك ملكش أم
ووشك مش عايضة اشوفه ولما أموت هكتب في
وصيتي إنك متمشيش ورايا والا تقرب ناحية قبري.
ألتفت لها يونس يطالع وجهها المُصر والجامد
بأعين مهزوزة، لم يكاد ينبس بحرف حتى بدأت

والدته تتحرك في صالة شقته وهو تجمع أشياءها
استعدادًا للمغادرة والعودة إلى الإسكندرية في هذا
الوقت من الليل بعد أن خرجت الأمور عن السيطرة
و فسدت خطة بياتهم معه هذه الليلة والمغادرة
صباحًا، قال يونس بصوتٍ خافت خالي من الشجاعة
الذي تصنعها قبل قليل : _ بس أنتِ كدا
بتجبريني؟. فتحت سلوى باب شقته بينما تحمل
مفاتيح السيارة من جيب معطف زوجها حازم الذي
ما زال يشاهد ما يحدث بهدوء فهو ومنذ أن كان
يونس طفلًا اعتاد ألا يتدخل بيه وبين والدته أن
عاقبته أو وبخته، نظرت له للمرة الأخيرة وقالت
بجمود : _ لا مبجركش، أنت راجل كبير وعاقل
وهتختار الأنسب ليك. نظرت إلى حازم وقالت قبل

أن تغادر غالقة باب الشقة خلفها بعنف : _
هستناك في العربية. ألتفت يونس إلى والده بعد أن
بات هو الوحيد الذي تبقي هنا، نهض حازم من
مجلسه وجلس علي الأريكة التي علي الجهة
الأخرى من الغرفة وبهدوء ربت علي الأريكة بجانبه
وقال : _ تعالي يا يونس، تعالي اقعد جنبي. اقترب
منه يونس بخطوات زاحفة وأكتاف منحنية متخاذلة
يبدو أن الهموم اثقلتها لتبدو كما لو كانت سوف
تسقط عنه أو تسقطه أرضًا، وبهدوء وتمهل جلس
في المكان الذي كان يربت عليه والده بحنو واستمع
إلى حديثه الهادئ الذي صاحب عدة تربيئات علي
كتفه العريض، تربيئات مغمسة بالحب : _ عارف
يا يونس إني حفيت عشان اتجوز امك زي ما

بيقولوا، أنا كنت صعيدي دماغي ناشفة ومعرفش
حاجة عن الستات غير أنهم متاحين، أي واحدة
هروح اتقدملها هتوافق عليا مهما كان عمرها، أبويا
حب يجوزني كتير وخط قدامي خيارات كتير لبنات
من بلدنا بس أنا محبيتش اتجوز ساعتها، كنت عايز
اشتغل وأجوز نفسي بنفسي عشان مبقاش عبيء
على أبويا، سيبت الصعيد وجيت اسكندرية اشتغل
وهنا قابلت أمك، بنت غير كل البنات اللي عرفتهم
وشوفتهم، مكنتش زي بنات بلادنا كانت قوية
وشخصيتها بمية راجل، عارفة هي عايزة والجواز
والرجالة كانوا آخر همها، امك كانت فمنيست قبل
عصر الفيمنست بأربعين سنة. ضحك حازم
ليشاركه يونس الضحك فهو كان يعلم بهذا، امه

كانت ذات شخصية قوية منذ أن وعي على هذه
الدنيا، دائماً مخيرة وليست مسيرة وهذا أكثر ما
أعجبه بها الآن وسابقاً وفي كل وقت، عاد مرة أخرى
ينتبه إلى والده الذي أكمل حديثه قائلاً: _ لما
شوفتها شدتني وقولت لنفسي هي دي اللي أنا
عايزاها، مشيت وراها وعرفت بيتها وقبل ما تطلع
وقفتها وقولتلها أنا عايزة اتجوزك، بس ردها كان
غريب علي الراس الناشفة اللي هنا - مشيراً على
رأسه - موفقتش زي ما كنت عارف عن البنات،
وقفت قدامي في النص الشارع وقاليلي، أنت
متعلم؟، بتشتغل؟، بتقبض كام؟، عندك بيت فين؟،
هنا بس عرفت أن مش كل حاجة في الدنيا بتمشي
زي في بلادنا وأن الاسكندرانية اللي واقفة قدامي

دي هتغيرني، مشيت من قدامها اليوم دا وأنا حالف
ما ارجعلها أو ابص في وشها تاني بس عارف عملت
اي؟ نفي له يونس برأسه ليكمل حازم قص قصة
حبه على طفله صاحب الثلاثون عامًا للمرة الأولى :
_ رocht جمعت ورقى وقدمت في الكلية في السر
عن أبويا وأهلي عشان العلام مكنش مهم من
أربعين سنة، كان الواحد مننا يزرع أرضه أحسنله
بس أنا لا، لما شوفتها عرفت أنه مكنش احسنلي،
رجعت لأمك تاني وقولت لها إني هتعلم عشانها بس
رجعتني تاني بحاجة تاني ناقصة فيا وغصب عني
لقتني بكم لها عشان اروح لها تاني واقولها إني عايز
اتجوزها تاني، وفضلنا على كذا سنين لحد ما
اتخرجت وخذت الشهادة، وفي طريقي ليها فجأة

وقفت، وقفت وفكرت وأتأكدت أنها غيرتني فعلا،
مش غيرتني وملتني اتعلم والحاجات دي لا،هي
غيرتني لما ملتني أحسن من نفسي عشائي قبل
عشانها، ساعتها خدت بالي اني كنت بعمل كل اللي
بتقولي عليه عشان إبقا انسان احسن مش عشان
اتجوزها زي ما كنت فاك. تنهد حازم بابتسامة
واسعة وهو يريح ظهره للخلف وقال وهو ينظر
عميقًا داخل أعين وحيدته : _ وهو دا تأثير الستات
علينا يا يونس، الست من دول قادرة تغربل حياتك،
قادرة تخليك تحس إنك بتلمس الجنة بأديك وقادرة
تخليك تحس أن الحياة من غيرها جهنم، وأنا عارف
إنك عايش في جهنم دلوقتي يا بني عشان كدا
محتاج ست تانية تأخذ بأيديك وتنقذك من النار،

ودي مش خيانة لمريم، مريم ربنا يرحمها في الجنة

وأنت محتاج تعيش وتلمس الجنة يا يونس.

طب طب على كتف يونس التي أرتخت ملامحه

وأدمعت عيناه بخفة واستمر في الحديث قائلاً : _

أنا مش هقولك اتجوز سارة أو اعمل فيك زي ابويا

ما كان بيعمل فيا، أنا عايزك بس تفتح عينك

وقلبك يا بني، افتح عينك وقلبك وهما هيلاقوا ليك

الست المناسبة اللي هتاخذ بأيديك لطريق اخرته

راحة، وزى ما الاسكندرانية غيرت رأي أبوك ومخه

الصعيدي الناشف أنت هتلاقي واحدة تدوب عنادك

ومش هتقدر تعيش من غيرها، بس ادي نفسك

فرصة وادي الحب فرصة وغير الناقص فيك عشان

نفسك مش عشان حد ولما تحس إنك بقيت جاهز

.قلبك هيحس بيها وهيعرفها

———— Part Break ————

الساعة قد تخطت الثالثة صباحًا وهي ما زالت
مستيقظة حتى الآن تجلس أمام ابنة عمها تتبادل
معها أطراف الحديث بعد أن أضاعت نور ساعة من
وقتهم معًا وهي تقف في الشرفة وتتحدث مع
زوجها بصوتٍ هامس كالأيام الخوالي وقبل أن يوافق
والدها حسن علي زواجها من أحمد الذي تقدم لها
خمسة مرات وقابله رفض غير مبرر من أبيها حتى
سأم منه في النهاية ووافق علي إتمام هذا الزفاف
الذي كان قبل عامين فقط، فهم احترامًا لموت
صديقتهم وما يعيش به يونس قامة بتأجيل فكرة

الزواج ثلاثة سنوات حتى وبخهم يونس بنفسه
وأجبر أحمد ومروان على أخذ تلك الخطوة الجديدة.
قالت نور من بين ضحكاتهما تحدث ليلى التي
فقدت جزء من تركيزها بين نور وبين الساعة
الدائرية المعلقة فوق باب الغرفة والتي تشير
عقاربها إلى الرابعة صباحًا : _ لو تشوفي ردة فعل
مروان وهو جايئنا خصوصي الساعة اتنين بليل
عشان يقولنا أن يارا حامل، حرفيًا أحمد كان هيقتله
افتكر أن حاجة وحشة حصلت بس طلع مروان من
فرحته مقدرش ينام وهو شايلها في قلبه. قهقت نور
قهقه باهتة استطاعت نور أن تميز مدي زيفها من
نظرة فقط، وقد بدت لها كأنها لم تسمع ما قالته لها
من الأساس وهذا ما جعلها تهدء وتتوقف عن

الثرثرة وهي تنظر إلى ما تنظر ولم تجد أي شيء
مثير للاهتمام سوى الساعة فقط لهذا أعادت
انظارها لها وسألتها بهدوء قائلة : _ أنتِ بتبصي
على الساعة ليه؟ ، مستنية حاجة؟ انتبهت ليلي أن
فعلتها المتوترة جذبت انتباه نور وهذا آخر شيء
كانت تريد حدوثه في هذه اللحظة، هي كانت تتمنى
فقط أن يمر الوقت بسرعة وتشرق شمس اليوم
التالي بهدوء بدون أن يحدث ما يحدث، بدون أن
تخاف ككل يوم وبدون أن تبكي التارًا من الدموع
حتى تبتل وسادتها من اسفلها وأهم شيء كانت
تريد أن لا يحدث هو معرفة نور بما يحدث، ولكنها
فقط جذبت انتباهها وعليها أن تصلح ما
خربت، وبتوتر حاولت بكل ما لديها اخفائه قالت : _

لا مش مستنية حاجة، هستني أي يعني، أنا بس
نعست. أو مات لها نور بنبرة غير مصدقة لحقيقة ما
تفوهت به وأبعد شيء وصلت إليه إليه رأسها كان
إنتظار ابنة خالها إلى مكالمة، ربما مكالمة من رجلٍ
تعرفت عليه، زميل في الجامعة أو أكثر من هذا
ولهذا نهضت تتحجج برغبتها في دخول الحمام
واتجهت إلى الباب تفتحه أمام الأعين المهزوزة التي
تراقبها بصمت ولكنه لم يفتح لتنظر لها نور بغرابة
أكثر وهي تفتح المفتاح وقالت بهدوء : _ أنتِ
قافلة الباب بالمفتاح ليه؟ كادت نور تحرك المفتاح
للمرة الأخيرة ولكنها توقفت عن فعلها عندما حاول
أحدهم فتح الباب من الخارج عدة مرات بعنف،
اتسعت أعين ليلى برعب ثم خلال ثانية اندفعت

جهة الباب تبعد نور عن طريقها بعنف جعل الأخرى
تراجع عدة خطوات أثر الدفعة التي تلقتها ثم
بسرعة وبأطراف مهتزة أغلقت مرة أخرى ثلاث
مرات كما كان الوضع سابقًا، وقفت خلف الباب
تسند به جسدها وتسند جسدها عليه وهي تنظر إلى
نور التي لا تفهم ما يحدث بأعين لوح الرعب داخلها

ن تك... عيناها بدأت تمطر بدون أن تشهق أو
تبكي، فقط تخرج الدموع من عيناها القاتمة التي
أحمر البياض بها وبهدوء تنزلق على وجهها الخالي
من الألوان حيث ابهت لونها واختفت الحياة منها
لتبدو كجثة ماتت على غفلة أو لوحة تجسد الهلع،
هالعة بسبب حدوث هذا مجددًا وهالعة بسبب

معرفة نور لما يحدث، نور التي وقفت في مكانها
بصمت كأنها تسمرت بأرضها. لم تكن تفهم ما
يحدث، أحدهم يحاول اختراق غرفة ليلى بعنف
ولكن بدون إصدار صوت، ليلى التي هلعت كما لو
كان زلزال قد ضربها والنظرات المرتعبة في عيناها
التي كانت متوترة منذ بعض الوقت، دموعها
جعلتها تفهم ما يحدث وسبب إغلاق ليلى الباب
بالمفتاح ومراقبتها للساعة، ولكن الكلمات الهامسة
التي خرجن من ثغر شقيقها الأصغر صاحب الأربعة
وعشرون عامًا جعلها تدرك وتتأكد من ما يحدث
وخاصة نبرته الغير واعية التي توضح أين كان حتى
الرابعة صباحًا : _ ثاني يا ليلى، فكرة أن الباب هيقدر
يخبئك مني ثاني، أنتِ عارفة إني هطولك، عارفة إني

هعمل اللي أنا عايزه دلوقتي بكرة أو بعد سنة.
قهقهة منخفضة الوتيرة خرجت من ثغره الثمل
وعاد يلقي سمه عليها من خلف الباب بهمس وهو
يتأكد من أنها تسمعه فضوء الغرفة مضاء مثل كل
يوم : _ أصل هتروحي فين يا بنت خالي، مصيرك في
النهاية أنا. صوت خطواته المغادرة صاحب سقوطها
على الأرض وهي تنزلق خلف الباب بعد أن عجزت
ساقها عن حملها، هي ما زالت تتبادل النظرات مع
نور التي جلست على الأرض أمامها بعد تمكنت
الصدمة منها، فهي كانت قريبة كفاية لتسمع
همسات شقيقها الاثمة، نظرت إلى الهالعة أمامها
وقالت بصوت منخفض بالكاد خرج من حنجرتها
التي جفت كما لو كانت تسير منذ قرن وعمر في

الصحراء : _ قوليلي أنه معرفش يعدي الباب دا،
أبوس أديك قوليلي أنه معرفش يعدي الباب يا
ليلي. نفت لها ليلي التي كانت على وشك أن
تغرق في نوبة بكاء جديدة بسبب فعلة زياد الدنيئة
التي منعته منذ أن بدأت وبشجاعة وصبر حافظت
على نفسها من السقوط في بئر الخطيئة، وبصوت
مخنوق بالحزن والدموع قالت : _ كنت قتلته، لو
كان عدي الباب كنت قتلته. اقتربت منها نور
بسرعة بعد سقطت دموعها ايضًا وبقوة أخذتها في
عناقٍ خانق أجبر ليلي علي البكاء وهي تحرر حزنها
وخوفها من قلبها، بادلت صديقتها ومصدر أمانها
الوحيد العناق وسمحت لدموعها بأن تخرج بالا
حساب، تركت جسدها يرتعش بلا رقيب وبلا وخوفها

من من أن يلاحظ أحد، جلست أرضاً بين أحضانها
تخبرها بكل أنشأ منها أنها كانت خائفة كل يوم منذ
وقتٍ طويل للغاية، أخبرتها أنها تحمل سكيناً أسفل
وسادتها ولا تنام إلا بعين مفتوحة، لا تبقي معه في
المنزل بمفردها حتى وهو واعيٍ علي نفسه ولا
تعود إلى هنا إلا عندما تتأكد أن عمته قد عادت.

وفي المقابل اعتذرت لها نور، اعتذرت كثيراً وتوسلتها
من أجل المغفرة، اعتذرت على كل مرة شعرت بها
بالخوف بمفردها، اعتذرت على كل مرة وقفت بها
خلف الباب تمنعه من الدخول، اعتذرت من أجل
كل مرة تخيلته وحلمت به كأكبر كوابيسها، اعتذرت
لها على كل مرة اخفت الأمر داخلها وعجزت عن

أخبار أحد أو التحدث لأنها كانت تعلم أنها فقط من
ستتحمل اللوم، اعتذرت على كل كلمة وفعل دنيء
صدر عن شقيقها التي اعلنته عدوًا لها بينها وبين
ربها منذ هذه اللحظة، فالرجل الذي يخيف امرأة
ويحاول انتهاك عرضها ويستخدم قواه عليها غير أبها
بالأخلاق والدين ورب الدين لا يليق ليكون أي شيء،
هو لا يليق ليكون أبن، أخ، أو زوج، لا يليق إلا بمكانة
حثة لا يستحق الأنفاس الذي يتنفسها. نهضت نور
عن الأرض تساعد ليلي على النهوض وبهدوء
وضعتها على السرير لتحضر لها كأسًا من الماء
الذي يعتلي الطاولة، تركتها تشربه ثم بغضب
تحركت في الغرفة تبحث عن حقيبة لتجمع بها
أغراض ليلي وملابسها ولكن الأخرى اوقفتها وهي

تسحب الحقيبة منها وسألتها بصوتٍ متحشرج : _

بتعملي اي؟ هتفت الأخرى قائلة بعصبية : _ هلم

هدومك، هنمشي أنا وأنتِ من البيت دا حالاً

مستحيل اسيبك هنا ساعة كمان. نفت لها ليلي

وهي تشرح لها بأن ما تفكر به لا يمكن أن يحدث :

_ أهدي يا نور واسمعيني، أنا كنت عايزة اقولك من

وقت طويل اوي بس دا اللي منعني، أنا مينفعش

أروح اسكن عندك، أنا مش أختك الصغيرة وحتى لو

أحمد استقبلني وصبر على وجودي أنا مش هقدر

احطه تحت الأمر الواقع، كمان مش هنلاقي حاجة

نقولها له، لو قولتي له الحقيقة الموضوع هيكبر بيه

وبين زياد وممكن أخوك يأذيه. بدأ الإدراك يحل

محل العصبية التي ملأت وجه نور التي بدأت تفكر

في ما قالته ليلي لها، أنها محقة قول الحقيقة لأحمد

سوف يعرضه لخطر محقق، فزياد الذي يريد

ويحاول بأستماتة دخول غرفة ابنة خاله لفعل

الرزيلة بها لن يشفق على زوج شقيقته الذي لا

يحبه من الأساس، جلست نور علي السرير وهي

تحقق في الفارغ أمامها تفكر بما يجب أن تفعل،

الإدراك الذي حل بها لم يأثر فكرة إخراج ليلي من

هذا الجحيم ولكنها يجب أن تفكر فقط وتجد الحل.

جلست ليلي المنهكة بجانبها وقالت ما كانت

تخفيه في جعبتها والتي خططت له على مدار ايام

طويلة جاذبة انتباه الأخرى التي اعتدلت تنظر لها :

_ أنا مش هقعد هنا كتير متخافيش، أنا حطيت

خطة، جمعت كل الفلوس اللي حوشتها من شغلي

طول الخمس سنين اللي فاتوا وبعث شوية من
الذهب بتاع ماما اللي كان معايا وبقا معايا مبلغ
حلو، سيبت الشغل اللي زياد يعرف مكانه وبقيت
كل يوم انزل ادور على شقة بعيد عن هنا، لسة
ملقتش حاجة مناسبة بس بدور وبدور علي شغل
في مكاتب المحاماة وأن شاء الله هلاقي وهبدأ حياة
جديدة.

أومأت لها نور بأعين دامعة وعانقتها بقوة وهي
تدبت على ظهرها بخفة وقالت : _ أنا كمان هدور
معاكي وهخلي أحمد يدورلك، مش هقوله حاجة
هقوله بس إنك عايضة تستقلي وإن شاء الله نلاقي
سوا، وأنا هاجي ابات معاكي يومين ثلاثة في الأسبوع

لحد ما تمشي من هنا ومتخافيش، حقك مش
هيزيع، هحاسبه بي لما تبقي في أمان. هزت ليلي
رأسها موافقة وهي تشهق بخفوة أثر البكاء وداخلها
تشعر بالراحة والأمان، فمعرفة شخص بما كان
يثقل كاهليها جعلها تشعر بالراحة وكأنها يمكنها أن
تتنفس أخيرًا بعد أن كانت تغرق لأعوام مديدة، هي
لم ترد أخبارها لأنها تعلم انها متهورة وأفعالها قد
تعرض حياتها وزوجها إلى الخطر فزياد رغم عمره
الصغير بات فاقداً للسيطرة على نفسه، عمتها باتت
عاجزة عن السيطرة عليه ووالده لا يهتم بأي شيء
سوي تدليله وأمطاره بالأموال الذي لا لم يتعرق
جبينه ليأتي بها. والده ذاته الذي امتنعت عن
الحديث في الأمر معه أو مع عمتها لأنها تعلم أنه لن

يصدقها مها قالت أو فعلت، وربما يتهمها بأغراء
طفله الذي سقط من الجنة عنوة، وكان سيكون
وضع عمتها صعب فهي معظم الوقت تكون ضحية
لأفعال زوجها وأبنها الحقيرة، ومعرفتها بالأمر كانت
سوف تجعلها مضطهدة بينهم وكانت سوف تتحمل
اشياء لا يمكن لأحدهم تحملها وأول ما كان سيقوله
لها أنه آوى أسفل سقف منزله ابنة أخيها اليتيمة
وفي النهاية ها هي تتهم ابنه الحبيب بالفساد
الأخلاقي. نهضت نور فاصلة العناق بينهم بينما
تكفكف دموعها بيديها وهي تتجه إلى حقيبة كتفها،
أخرجت محفظتها ومن داخلها أخرجت بطاقة تبدو
كبطاقة عمل لأحدهم، وبينما تتجه إلى حيث هاتفها
قالت وهي تخبرها عن ما تقوم به : _ بصي، دا

الكارت بتاع يونس، أنتِ عارفة أنه رائد وكذا مرة خرج
الحيوان زياد من مشاكل ومصايب كان عملها قبل
كدا، هكتبلك رقمه الشخصي في الظهر كمان، لو
حصل أي حاجة ومعرفتيش توصيلي أنا أو أحمد،
أو زياد عملك حاجة هنا أو في الشارع كلميه وهو
هيجيلك أو هيبعتلك زمايله من الحكومة في ثواني،
فاهمة؟. أو مأت لها ليلي وهي تشاهدها تكتب لها
رقمه الشخصي في ظهر البطاقة بيضاء اللون ثم
بهدوء اعطتها اياها ولم تتركها وشأنها حتى وضعتها
داخل محفظتها التي تأخذها معها في كل مكان،
فهي الآن باتت مطمئنة أكثر عليها فيونس شخص
يمكن لأي واحدٍ منهم الإعتماد عليه فهو جاد في
عمله ولديه الكثير من المعارف. وفي نهاية هذا اليوم

العصيب حصلت على قسط مناسب وكافي من
النوم داخل أحضان نور التي ظلت تربت على رأسها
وشعرها الأسود المموج بخفة وحنان حتى هدأت
ونامت بسلام للمرة الأولى منذ الكثير من الوقت،
هي أخيرًا نامت بين أحضان شخص يعلم ما تعانيه
وشخص يمكنه أن يحمي ظهرها وهي نائمة، نامت
بدون ضبط منبه هاتفها لتستيقظ باكراً وتغادر بعد
أن تغادر عمتها وزوجها حسن علي العمل لكي لا
تبقي مع زياد بمفردهم. في تلك الليلة نامت وهي
تدرك أن هناك شخص ثالث سيكون معها هي وهو
عدا الشيطان، وداخلها يمكنها أن تقول انه في اليوم
الاخير من أغسطس قد حدث شيء جيد، في نهاية
أغسطس سرها وعبئها لم يعد سرًا، وإن قتلته في

المستقبل أن تمادي معها سيكون هناك شخص
واحد على الأقل يعرف الحقيقة، سيكون هناك
شخص سيدعوا لها بالرحمة ولن يدعوا عليها كما
سيفعل الجميع لأنها سرقت حياة شاب بعمر
الزهور كما يبدو عليه زياد من الخارج. وفي هذه
الليلة أيضًا وداخل محفظتها باتت تملك ورقة بحجم
أصابعها ولكن بها اسمه ورقم هاتفه الذي أن
وضعتة علي هاتفها سوف تفصلها عنه فقط
ضغطة زر، ضغطة زر واحدة سوف تفصلها عن
سماع صوته الحاني مجددًا، صوته الذي ألقى على
مسامعها ذات يومًا أبيات من السكينة والراحة،
والقوة. هي باتت تملك وسيلة تواصل مع الرجل
الذي لم ترى له شبيهًا طوال الخمسة وعشرون

عامًا الذي عاشتهم، فلا رجل في هذه الحياة يضع
ألامه جانبًا ليخبر أحدٍ آخر بأن يتماسك وأن كل
شيء سيمر عداه، فهو وحده من فهمها وقتها، هو
وحده من أبتسم لها ابتسامة صادقة وقتها، هو
وحده من مسح دموعه لأجلها ولأجل ألا تبكي أكثر،
هو وحده من ظلت صورته ملتصقة داخل رأسها
لمدة خمسة أعوام. يونس هو الرجل الذي تجنبت
لقائه في كل مرة إضافية بعد اللقاء الأول بينهم،
تجنبتة عندما حضر خطبة نور وأحمد وتجنبتة في
زفافهم، تجنبتة عندما التقوا صدفة أسفل بنايتهم
وفي كل مرة غيرها، ليس لأنها لا ترغب في رؤيته، بل
لأنها ترغب بالحفاظ علي صورته الحانية في رأسها
وخوفها من أنه لن يذكرها، أو سيكون لقائه بها جافًا

كصحراءٍ قاحلة جعلها تتمسك بما لديها من ذكرة
وحيدة تعيسة ممثلة بالسكينة ورغم هذا تمت
لقائه، تمت رؤيته صدفة وتعجز عن الهرب من
لقائه وقتها . ربّما غداً أو بعد غد، ربّما بعد سنينٍ لا
تعد، ربّما ذات مساء نلتقي، في طريقٍ عابرٍ من غير
قصد! - فاروق جويده

———— Part Break ————

ن تك... في بداية سبتمبر المجهول كان الصيف ما
زال حاضراً، والحاضر ما زال بائساً، محملاً برياح
الماضي الشَّقِيّ والمستقبل كحالِ سبتمبر مجهول،
المجتمع ما زال يقسو علي الجميع كجلاد ليس
أمامه خيار سوي جلد بريء حتى ينهك وهو لا يُنهك
ولن ينهك، الجميع ضائعون في الحياة باحثين عن
إهتمامتهم أحلامهم وسبيلٍ للنجاة وما من سبيلاً
لها، ورغم كل ما يعاينه الإنسان ورغم مرارة الكأس
الذي سوف يشربه طواعية أو إجباراً، ما زالت الأرواح
تتألف، ما زال الصدق والحب والإيمان كنقطة بيضاء
من الحليب داخل بركة من الخبر. ما زال الأعباء
يسيرون معاً بين أزقة مصر القديمة وهم متشابكي
الأيدي رغم الهموم والأعباء فوق أكتافهم، ما زال

صوت قهقهه الأطفال صادرًا من الحدايق الكبيرة
والشوارع الصغيرة في المناطق المتواضعة، ما زالت
الكرات الزجاجية بالنسبة لهم لعبة لا بأس بها،
والركض هنا وهناك ينهكهم ويستنفذ ضحكاتهم،
وما زال الأصدقاء كما هم، مُجِبُونَ، لينون، وجودهم
يشعر المرء بأنهم يرتبون على قلبه وليس كتفه،
وهو كان يملك هذا النوع من الأصدقاء، أصدقاء
شاركوه مراهقته وشبابه حيث جمعتهم مدرسة
ثانوية واحدة ثم افترقت طرقهم في الجامعة وهنا
أعتقد من حولهم أن صداقتهم قد إنتهت، ولكنهم
ظلوا ملتصقين ببعضهم البعض وحتى باتوا في
الثلاثين من عمرهم. وها هم يجلسوا معًا في إحدى
زوايا المقهى المفضل لديهم، يتابع الأخوين إحدى

مباريات كرة القدم المحلية بالكثير من الحماس
يقبع داخل قلب كل واحدٍ منهم، وما جعل الأمر
مضحكًا حقًا بالنسبة ليونس الذي لا تعد كرة القدم
من اهتماماته المشادات الكلامية بينهم من وقتٍ
لآخر، فكما يختلف أحمد ومروان في الشكل الطول
والملامح رغم كونهم توائم، فكل واحدٍ منهم يدعم
فريق كرة قدم مختلف ولحسن حظ صديقهم سيء
المزاج فالأهلي الذي يدعمه أحمد بكل جوارحه
يشارك الزمالك المباراة اليوم والذي يقدسه مروان
بطريقة مجنونة تثير ضحكه هو وتثير خنق يارا حد
السماء. انتفض أحمد صارخًا مع معظم الرجال
الموجودين في المقهى عندما احرز الأهلي هدفه
الثاني لهذه المباراة جهة صفر للزمالك، كان أحمد

يقهقهه بأستفزاز أمام وجه مروان الأحمر من شدة
عصبيته وقهقهه يونس صاحب الغمازة التي حفرت
في منتصف خده الأيمن بصوتٍ خافت محاولاً عدم
جذب انتباه ذلك الغاضب الذي يتخيل داخل عقله
الآن مئة طريقة فعالة لقتل شقيقه ونادى الأهل
في الوقت ذاته، ولكنه لم يفلح في إخفاء ضحكته عن
أعين مروان الذي يجلس أماماً تمامًا بينما يجلس
أحمد بينهم. دفع مروان أحمد من أمامه يعيده إلى
مقعده وصرخ بهم بعصبية : _ ما تقعد يلا في أي؟،
الماتش لسة مخلصش ولو خلص وانتو كسبتوا
مش هعرفك، وأنت يا كوميدان عصرك لو
مبطلتش ضحك همسك فيك وهوديك لأمك في
شوال. استمر أحمد في الضحك غير أبهاً بتهديد

شقيقه الذي وعده بالتبري منه من أجل مباراة ودية
بين الفريقين ولكن يونس زم شفتيه معًا يبتلع
ضحكته وهو يرفع يديه في الهواء بأستسلام وعاد
يشرب من كأس الشاي خاصته الذي تركه حتى
أثلج كما يقول مروان له دائمًا وهو يمدح طعم
الشاي وهو مغليًا وقد صب لتوه، يونس يجزم أنه أن
تمت تشريح معدته ستكون حتمًا شيئًا خارقًا
للطبيعة، فهو يحب كل ما هو ساخن وحار.

قاطع الأجواء اللطيفة بينهم صوت رنين هاتف
يونس الذي كان يضعه أمامه على الطاولة، امسكه
بتروي وهو ينظر إلى المتصل لعل الشخص الذي
يزعجه منذ بداية اليوم يتوقف عن هذا ولكن امنيته

لم تتحقق ليجد أن المتصل هو نفسه، خالته
العزيزة الذي يحبها بحق ولكن هذه الليلة سوف
يتوقف عن حبها لبعض الوقت وهو يرفض تلقى
مكالمتها، فهو يعلم سببها بالفعل ولا يريد إحراج
نفسه معها. ترك الهاتف يرن بمفرده بعد أن
اخفض صوته وتركه أمامه مرة أخرى على الطاولة
بهدهوء، ذهبت أعين كلاً من أحمد ومروان إلى الهاتف
يفحصوا هوية المتصل ليتضح لهم أنها خالته
الوحيدة نهال، قال أحمد بعثيادية يسأله بما لديه
من طريقة ملتوية تدفع الآخر ليثرثر بما يخفيه
عنهم : _ مش هترد؟، أتخانقت مع طنط سلوى
تاني والا أي؟. التفت لهم يونس مستعداً ليلقي
عليهم ما لديه بالفعل، فقد بد لهم كأنه كان ينتظر

سؤالً فقط، كان إهتمام أحمد له منذ البداية وعندما
بدأ في التحدث التفت له مروان ايضاً يعطيه اهتمامه
رامياً مبارياته خلف ظهره فالنهاية محسومة ولن
يسلم من سخرية يارا منه على أي حال. _
أتخانقت معها اه، تخيل أنها بتغصبني اتجوز كئي
مراهق فاسد عايزة تلمه من الشوارع، والمرة دي
حطتلي العقدة في المسمار وعشان أنا حظي وحش
سارة بنت خالتي رجعت من أوروبا إمبارح دلوقتي
معرفش خالتي بتتصل ليه، عايزة تكلمني في
موضوع الجواز والا هتتعد تحاول تقربني من سارة
بالاتفاق مع ماما؟. قال مروان وهو يحرك رأسه
متفاجأ : _ أمك دي قادرة يا يونس. ضربه يونس
في كتفه بخفة وقال بأنزعاج واضح : _ ما تحترم

نفسك يا عم بدل ما اقولها وأوديك ليها في شوال.
قال مروان بتوتر وهو يحك مؤخرة عنقه بعد أن
ارتعد خوفاً وهو يتخيل نفسه يتعرض للضرب من
سلوى والددة يونس العصبية بطريقة مرعبة والتي
كانت ذات يوم تعتبره صديق سوء لأبنها وعلى
العكس أحمد التي كانت تأيد علاقته بيونس بشدة :
_ يا عم اقصد قادرة على التحدي والمواجهة، أنت
مبتسمعش أمال ماهر وألا أي؟. ابعده أحمد نظراته
عن تؤامه بقلة حيلة ثم تحدث بجدية لصحاب
الملاح المضغوطة : _ طب فكرت هتعمل أي،
تهربك من المكالمات مش حل، أنت ممكن تلاقي
خالتك جياالك ومعها بنتها اصلا. اتسعت أعين
يونس البنية صاحبة الرموش الطويلة بشدة وهو

يصدق بوجه أحمد وكأنه انتبه لتوه أن هذا بالفعل قد يحدث، حافظ الأخوين على هدوئهم وهم يتركوه ليفكر لبعض الوقت في ما عليه أن يقوم به بشأن هذه الورطة التي سقطت عليه من حيث لا يحتسب وعادا ليتابعا المباراة مرة أخرى بهدوء أكثر، أما عنه فهو ظل يفكر لعدة دقائق في ما عليه أن يقوم به، أعليه تلقى تلك المكالمات والاعتذار من لقائهم لعدة أيام حتى يفكر بحل لأزمته مع والدته الذي يدعو ربه ألا تكون قد طلبت الفتاة من والديها بالفعل فسارة شقيقته الصغيرة ولن تكون إلا هذا

ن تك... بعد دقائق طويلة من الصمت عليهم تحدث أحمد وهو يشرب قهوته الداكنة الذي طلبها

لتوه وقال : _ صحيح، محدش فيكم يعرف مكان
شقة فاضية حوالىكم؟ ، أو تبع حد تعرفوه؟ جذب
انتباه شقيقه وأخرج يونس من بين أفكاره الصاخبة،
وكان شقيقه أول من أجاب بنبرة مازحة معتادة،
فهو أن طرح أحدهم عليه سؤال سوف يمزح بشأنه
أولا وإن تذكر يمكنه أن يجيب على السؤال لاحقاً :
_ له حصل أي؟، فرحني وقول أن نور هتطردك
طاردة الكلاب المجربة. ابتسم له أحمد ابتسامة
مزيفة اختفت خلال لحظة وقال يجيبه : _ لا
يخفيف مش ليا وبعينك أن حبيبتي تطردني، دي لـ
ليلي بنت خال نور فاكرنها. بنبرة شاردة تمتم يونس
أسمها بطريقة لم يلاحظها أحد، هو تذكرها فور أن
سمع إسمها، تلك الصغيرة العشرينية التي لم

يلتقي بها إلا مرة واحدة طوال الخمسة أعوام
الماضية، يوم وفاة والديها، هو فكر بأمرها عدة مرات
وظهرت في رأسه عدة مرات أخرى، فكر بشأنها
وبشأن حياتها بعد أن اختفي والديها من بين
قبضتيها خلال لحظة، سمع عنها من نور عدة مرات،
علم منها ذات مرة أنها أجلت دراستها عامًا حتى
تعيد هندمة حياتها، ومرة أخرى سمع نجاحها بأنهاء
طريقها التعليمي حيث أصبحت محامية في بداية
الطريق. ولكن في الكثير من المرات كان تفكيره
يصل إلى نقطة واحدة فقط تخصها، وهي كيف لم
يلتقي بها أبدًا مرة أخرى بعد تلك المرة الوحيدة،
حدث الكثير من المناسبات الذي أعتقد أنه سوف
يراهها بها ولكن هذا لم يحدث، لما يراها في خطبة

احمد ونور أو عندما ذهب إلى منزلها بصحبة أحمد
ومروان ليطلبوها من أجل أحمد، وفي الزفاف لم يرى
منها سوى ظهرها طوال الوقت، لم يرى منها شيء
سوى فستانها الأزرق المنفوش والذي جعلها تبدو
بالنسبة له وفي عيناه كسندريلاً الهاربة الذي شك
بحقيقة هويتها، ولكنه لاحقاً رآها في الصور وقد
كانت حقيقية وليست خيالاً من عقله. عاد يونس
ينجذب إلى حديثهم مرة أخرى بعد أن لاحظ أنه أوقع
جزء من القصة ولكن جملة أحمد جعلته يعرف
القليل فوق ما يعرف : _ معرفش عايزة تسيب
بيت عمته ليه، نور قالتلي أنها عايزة تستقل وكدا،
لو حد لقي قدامه شقة مناسبة وأمان يقولي عشان
نور كلت دماغي بالموضوع دا، وقال اي بتقولي لو

ملقتش بأسرع وقت هتروح تقعد معها يومين ثلاثة
كل أسبوع. قال مروان ما جعله يضحك هذه المرة
بصحبة شقيقه الذي لم يستطيع منع نفسه هذه
المرة : _ أكيد البنت المسكينة هربانة من هتلر
حماك ونور خايفة عليها ليأكلها، معرفش بجد
الراجل دا بلوة ولا ابتلاء والا عقبة في حياة الناس والا
اي؟، وأفقوه جميعًا الرأي فحسن والد نور رجل لا
يمكن أن يكون طبيعيًا، لا يطاق بكل المعايير ولا
أحد يدري كيف تحملته والدة نور كل تلك الأعوام،
فمروان يجزم أنه وأن كان مكانها لقتل نفسه منذ
وقتٍ طويل .

..... وضع مروان مفتاحه في باب شقته
بهدهء حارصًا على عدم إصدار أي صوت لكي لا
تستيقظ يارا الذي اعتقدها نائمة منذ وقتٍ طويل،
فالساعة قد تخطت الثانية بعد منتصف الليل ولم
يلاحظ الأمر إلا بعد أن صرح أحمد بالأمر قبل أن
يغادر عائداً إلى حبيبته كما يقول دائماً، أكلت
السعادة قلبه عندما فتح باب الشقة وظهر الظلام
الدامس في كل أركانها فعلي ما يبدو أنه سوف
ينجو من النكد والتوبيخ لهذا اليوم، ولكنه فور أن
عبر إلى الداخل وأغلق الباب خلفه ظهر صوت
تمتمات من منتصف غرفة المعيشة! تتمات
بصوتٍ منخفض وجاد جعل من أصغر جزء في
جسد مروان يرتعد خوفاً بعد أن شهق بقوة والتصق

في الباب من خلفه، الصوت الذي لم يكن عائدًا إلا
إلى يارا التي تغني في منتصف الظلام كما لو كانت
تقوم بتحضير الأرواح في المكان : _ السكة شمال،
بنهد جبال، جاينين بأعلي صوت نشجع الأبطال.
اقترب مروان بسرعة من أقرب مصدر للضوء في
غرفة المعيشة وهو يضع يده على الحائط يتحسس
القابس والأخرى وضعها على قلبه الذي يشعر بأن
صوت نبضاته وصل إلى اذنيه، أشعل الضوء وفور أن
أضاء المكان وقع نظره عليه وعلى شعرها المنساب
على وجهها برعب قال بتوتر يطالع هيأتها المخيفة :
_ بسم الله، عفريت أهلاوي. ابعدت يارا خصلاتا
عن وجهها تنظر إلى بغضب وقبل أن تتحدث اقترب
منها مروان وهو يلقي نفسه على الاركة بجانبها

وقال وهو يتنفس بهدوء محاولاً تنظيم نبضات قلبه

: _ كدا تقطعيلي الخلف، هو عشان أنتِ خلاص

حامل يعني وخدتني مني اللي أنتِ عيزاه، طب

افرضي أنا عايز أخلف تاني! صرخت به يارا قائلة :

_ يعني زملكاوي خسران ومتأخر وبجح، ليك عين

تتكلم. اعتدل مروان في جلسته وقرب وجهه منها

يباغتها فجأة وقد تفاجأت بالفعل وهي ترمش عدة

مرات أمام وجهه تنتظر التالي والتالي لم يكن إلا

شيء لم يكن متوقع : _ أنتِ عارفة اني بحبك وأنتك

وحشاني صح، كنت عايزة أجيلك من بدري عشان

مسبكيش لوحذك بس الأوباش اللي كنت قاعد

معاهم مسابونيش أمشي وقعدوني غصب. أشرقت

ابتسامة يارا العريضة على وجهها وقالت وهي

تقترب منه أكثر قليلاً لتزيد من ضئالة المسافة
بينهم وقالت : _ بجد؟ ، طب عشان أنت اعترفت
الإعتراف الحلو هحضرلك العشاء. أوما لها مروان
وهو ينظر إليها وهي تنهض وتتجه إلى المطبخ وقبل
أن يبتسم بأنتصار على تداركه المصيبة الذي كان
واقعا بها حد النخاع سمعها توجه حديثها إليه
مدمرة سعادته بالكامل : _ بس الصبح هكلم
يونس وأشوف حقيقة كلامك يا مروان ولو طلعت
بتكذب عليا هقطعلك الخلف بجد.

ن تك... أبتلع مروان ريقه وهو يلقي جسده على
الاريكة متسطحاً عليها وهو يتوسل الله أن يتخلى
يونس عن نزاهته هذه المرة ويكذب لأجله، فنور ويارا

اصبحتا تأخذانه مثالا للشرف والصدق، فكل واحدة

منهن تشك به أو بشقيقه تتصل بذلك الوديع

لتسأله عن حقيقة الأمر وهو كالعصفور يغرد لهن

بكل ما يريدون معرفته، والآن هو يشعر أنه غداً

سيملك يوماً طويلاً مع زوجته المجنونة في الأساس

ولكن هرمونات الحمل لديها تجعل جنونها مضاعفاً،

هي في شعرها الثالث ولكنه سوف يجن بالفعل.

..... في اليوم التالي كانت تسير هي بهدوء

كهدهة غيمة صغيرة تسير بالتوازي مع رأس طفل

تناظر السماء بحالمية، بين يديها تمسك هاتفها وهو

تتحرك هنا وهناك في هذه المنطقة السكنية الشبه

فارغة من أي شخص منذ ساعة تقريباً، داخل

هاتفها يوجد موقع لأحدي مكاتب المحاماة التي

خرجت لها على الشريط البحث وقد كانت واحدة
من الكثير الذي اختارتهم بعناية لتذهب لجميعهم
باحثة عن عمل. كان هدوء المكان غريباً عليها
فرغم أن الوقت منتصف النهار إلا أنه لا يوجد أحد في
الشارع لتسأله عن المكان الذي تقصده، عانت
لبعض الوقت وحاربت عقلها قليلاً فهو يخبرها أن
تعود ادراجها فالأمر بشكلٍ كلي غريب وغير مريح
ولكن قلبها يدفعها للأمام لعل هذا المكتب يكون
المنشود، لعل هناك عملاً ينتظرها به ولعل خلاصها
من زياد وكابوس البقاء معه أسفل سقف واحد قد
اقترب ولهذا استمرت في البحث عنه وبعد نصف
ساعة أخرى وصلت إلى البناية المطلوبة. نظرت
إليها وقد كانت بناية عادية قديمة الطراز ولكن

شققها واسعة وقد تصلح لتكون مكتبًا بالفعل،
تشجعت وصعدت إلى الطابق الثاني على الدرج
بتمهل بينما تطبق على هاتفها داخل كفها بعنف
فأكثر ما تكرهه بعد الإمكان المزدحمة بشدة هو
الذهاب إلى مكان جديد وخوض شيء لم تخضه
قبلاً. وصلت إلى الشقة المطلوبة وبكفٍ متعرق
ضغطت جرس الباب بتروي وعلى الفور لبي أحدهم
النداء وفتح الباب من الداخل ولكن ولصدمتها
تجمدت في مكانها بعد أن توسعت عيناها كثقب
أسود لا نهاية له، فمن كانت تقف أمامها لم تكن
سكرتيرة كما توقعت، لقد كانت امرأة وجهها ملطخ
بالكثير من الألوان الفاقعة الصارخة، تأكل علكة
كبيرة بطريقة مقززة وملابسها كانت أكثر الأشياء

المربية بها، لقد كانت ترتدي بذلة رقص تشبه
قمصان النوع الخليعة التي تعرض في المحلات
الخاصة بهذه الأشياء. اعطت ليلي ابتسامة غريبة
الأنوار وبسرعة سحبتها إلى الداخل غارقة الباب
خلفها وبسبب بطء حركتها وأستيعابها كانت قد
أدركت متأخرة أنها الآن تقف في وقر للخطئية، أنها في
بيت دعارة مختبيء في إحدى البنايات الفاخرة
وملتف برداء مكتب محاماة. قالت لها الفتاة أمامها
بنبرة ملتوية وهي تستمر بتحريك العلكة داخل
فمها يمينًا ويسارًا : _ جاية عشان أنهى نوع من
الممنوعات يا قطعة، اللي بتتشرب وألا الطويلة ام
دقن. نفت لها ليلي عدة مرات وهي تتراجع
بخطواتها إلى الخلف عدة مرات وقالت بنبرة ظهرت

الرجفة بها : _ أنا.. أنا غلطت في العنوان، أنا كنت
جاية مكتب محاماة. قهقهت الفتاة قهقهة خليعة
شاركتها بها عدة أشخاص من الموجودين الذين لم
تنتبه ليلي لوجودهم قط وقبل أن تلتفت وتركض
مغادرة من هذا المكان غريب المحمل برائحة
الذنوب كسر باب الشقة وظهر من خلفه كابوسًا
جديدًا دمر آخر ذرة آمل داخلها لتحيا حياة طبيعية،
أنهم رجال شرطة الآداب. ' ما كل ما يتمنى المرء
يُدركه، تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ' أبو
الطيب المتنبي.

———— Part Break ————

القيود التي تقيد الإنسان كثيرة حد الاختناق، يوجد
قيود المجتمع والعادات والتقاليد، قيود تدمر الأمل
وتهمش الإنسان وحياته ورغباته، وأكثر من يعاني

من تلك القيود هم نساء هذا المجتمع، فأكبر عدد من العادات والتقاليد هي تلك القيود الذي يفرضها المجتمع عليهم، القيود التي تجبر المرأة أن تحترم من لا يستحق الإحترام، والالتزام بقوانين خيالية صنعت فقط لتهمش دور المرأة التي هي النصف من كل شيء، نصف المجتمع، نصف المنزل، ونصف المسؤولية. أما عن النوع الآخر من القيود فهي قيود القانون التي أصبحت هي جزء منه لعلها تملك القوة لتقدم يد المساعدة لهؤلاء النسوة الذين يظلمهم المجتمع، هي ودت أن تكسر قيود القانون شوكة قيود المجتمع الذي تقف في حلق النساء خانقة اياهم ومقلقة حياتهم، ولكن ربما الآن كل أحلامها قد إنتهت فهي قد سقطت في إحدى أفخاخ

القانون ظلماً وعلى الأغلب قوتها فقط لن تكفيها
لتخرج من هذا المأزق. هي كانت جالسة قبل
دقائق في تلك السيارة الخائقة بجانب المرأة التي
ورطتها بكل هذا والتي سحبتها إلى الداخل على
غفلة منها، وفي باقي السيارة يجلس كل الرجال
والنساء الذي افرغتهم الشرطة من هذه الشقة، كان
المشهد كارثيًا على عيناها، فيوجد نساء بالكاد
يرتدين شيئًا كملاءة السرير التي تلفت حول
اجسادهن، أو ملابس خليعة كحال صاحبة العلكة،
أما عن الرجال فهم بحالة يرثي لها، قمصان مفتوحة
الازار وبناطيل بالكاد تلتصق بهم، وفي نهاية السيارة
هناك رجل بملابسه الداخلية فقط فلم يكن يملك
الوقت ليرتدي المزيد. أما عنها فكانت هالعة،

حاولت عدة مرات التحدث مع الضابط الذي أمسك
وشرح الأمر له وكونها اخطأت العنوان فقط ولكنه
لم يكن ينصت لها كأنه اعتاد على سماع هذه
الأشياء من النساء الذي يمسك بهم، وفي آخر مرة
حاولت التحدث مع الآخر وجه لها لفظًا بذيئًا لم
يسبق لها أن سمعته أو وجهه أحدهم لها، لهذا
اكتفت بالصمت والبكاء وهي تنتحب على حياتها
ومستقبلها الذين انتهوا خلال لحظة فقط، خلال
لحظة اختفي كل شيء. حاولت إخراج هاتفها
خلسة لتستعين بأحد من تعرفهم ك نور مثلاً
ولكن كأن الشرطي شعر بما ستفعل لينتفض
ناهضاً وخلال لحظة كان قد مر علي مقاعد الجميع
يأخذ منهم كل شيء شخصي يملكوه، الهواتف،

المال محافظ الرجال وكل شيء آخر يملكوه وهي
لم تكن استثناء فقد أخذ الشرطي حقيبتها بالكامل
وكل ما بها. لم يكن الطريق طويل حتى قسم
الشرطة الخاص بالمنطقة، وأمامه توقفت السيارة
ليخرج رجال الشرطة أولاً ثم بدؤوا بدفعهم بعنف
واحدة تلو الأخرى إلى الداخل تحت أنظار الناس
المتقززة منهم وعلى سبيل سوء الحظ كانت هي
أكثر من تحصد هذه النظرات، فهي المحجبة
الوحيدة وصاحبة الملابس الكاملة الوحيدة بين كل
النساء الذين معها وهذا ما جعل الجميع يستحقها
أكثر من البقية، فهي فاسدة من الداخل بمظهر
صالحة من الخارج أمامهم.

ن تك... اتجه ذلك الشرطي الصامت الذي لم
يعيرها إهتمامه إلى مكتبه، والذي استطاعت
بسهولة أن تعرف أنه الأعلى رتبة بين الجميع، وأن
عملية السطو على هذا المكان خاصته هو وخطته
هو، كانت ستحاول أن أن تتحدث معه مرة أخرى
لعله ينصت إليها ولكنه أمر قبل أن يبتعد عن
ناظرها : _ أرميهم كلهم في الحجز يا بني، خليهم
يتعفون الأول تحت. تم دفع الجميع إلى الزنزانة
الخاصة بالمكان بعنف وهي من بينهم، دموعها لم
تتوقف للحظة وبدأت كما لو كانت الوحيدة من
بينهم التي تبالي بما يحدث، فعلي الأغلب تلك لم
تكن المرة الأولى ليتم الإمساك بجميعهم في مثل
هذه الظروف القذرة، بعد السير لدقائق وصلوا إلى

تلك الغرفة صاحبة الرائحة القذرة والأرض الاسمنتية
المبتلة بخفة، كان المكان مناسبًا للمصطلح الذي
قاله الضابط فهي تجزم أنها وإن بقت هنا لليلة
واحدة سوف تتعفن بحق. فور أن فتح الضابط
الباب لهن تدافعت النساء المشبوهات إلى الداخل
وهي كانت أخرهم والذي اضطرت خطواتها البطيئة
الضابط ليدفعها من كتفها إلى الداخل دفعة عنيفة
جعلتها تسقط بين أحضان إحدى النساء صاحبة
المظهر المريب والتي دفعتها هي أيضا عنها وهي
تصرخ بحلق قائلة : _ ما توعي يا اختي في أي،
هتدخلي في عبي. أبتعدت عنها ليلى بسرعة وهي
تعذر بصوت خافت بالكاد ظهر بسبب بكائها،
تراجعت عدة خطوات وهي تبحث عن مكان تقف

به وجسدها ينتفض خوفًا، وكان العجيب بالنسبة
لها أن كل النسوة الذين أتو معها قد تفرقن في
المكان وبدأنوا يثرثروا مع نساء أخريات كانوا في
الداخل، هن لديهن أصدقاء هنا! عادت تنظر حولها
مرة أخرى باحثة عن مكانٍ لا يعود لأحد لتلتقي
عينها بجوز من الأعين قد كانت تنظر إليها بالفعل
وعلي الفور أشارت إليها صاحبة العيون الصارمة أن
تقترب منها بأصبع من يدها، كانت امرأة سمراء
رفيعة الجسد يحيط عينها طبقة عريضة من كحل
العينين الداكن، شعرها ناعم يستلقي علي ظهرها
وفي الأعلى تربط شالًا حول رأسها لا يخفى من
شعرها شيئًا، ومن الأسفل ترتدي عبائة سوداء
جميلة، اقتربت منها ليلى بخطواتٍ مهزوزة والخوف

يأكلها من الداخل، ولكنها تعلم أنها لا تملك خيار
وربما إن انصاعت إليها تكون لطيفة معها بشأن أي
شيء ستطلبه منها. دفعت المرأة الفتاة التي
تجلس بجانبها تجبرها على النهوض وبصمت ربتت
بجانبيها على الأريكة الاسمنتية التي بطول إحدى
الحوائط، جلست ليلي بجانبها وهي تعطيها وجهها
الذي مدت يديها إليه تمسحه من الدموع التي لوثته
بغزارة، وبعد أن استقرت خرج صوت المرأة مكحلة
العينين تسألها بصوتٍ خشن أدركت ليلي أنه خرج
بتلك الهيئة بفضل التدخين : _ أنتِ جاية مع بتوع
الدعارة؟. أومأت لها ليلي التي قالت بصوتٍ خافت
بعد أن عادت تبكي مجددًا :

_ اه معاهم بس والله أنا مش كدا، أنا غلطت في
العنوان وكنت لسة هخرج راح البوليس دخل
وخدونى معاهم. وعلي عكس المتوقع ربنت المرأة
علي كتفها وقالت : _ أنا عارفة من غير ما تقولي،
باين عليك إنك مش شمال، أصل الست من دول
تعمل الرزيلة وتتحبس وتخرج وترجعها تاني
وتتحبس وتخرج، مشوفتش واحدة فيهم بتعيط
قبل كدا. أطمئن قلب ليلى قليلًا بعد أن تحدثت
معهما الغريبة قائلة : _ كلمتي أهلك وألا
ملحقتيش؟ نفت لها ليلى الباكية بدون أي قدرة
على الإجابة وهنا فهمت المرأة أي نوع من سيء
الحظ تكون هذه الصغيرة، لهذا قالت وهي تضع
يدها داخل عنق عبائتها تخرج شيئًا منها : _

متقلقيش حلك عندي، ياكش بس تكوني حافظة
رقم حد من أهلك. وعلى الفور أخرجت المرأة هاتف
صغيرة قديم الطراز للغاية وأعطته إلى ليلي متسعة
الأعين والتي ابتهجت أسايرها على الفور وأخذته
منها وهي تقهقه بدون تصديق بين دموعها، كانت
سوف تتحدث شاكرة صاحبة الهاتف ولكنها أشارت
لها أن تتصل أولاً بحركة من رأسها، أمسكت ليلي
الهاتف بقوة وفتحته وهي تزيل دموعها بيدها
الثانية لتبصر الأرقام بشكلٍ صحيح، كانت في طريقها
لتكتب رقم نور ولكنها توقفت في منتصفه تمسحه،
فالاتصال بنور الآن خيار سيء، هي قد حملتها
بالفعل أكثر من اللازم بجعلها تعرف ما يحدث بينها
وبين زياد وفي المقابل قد عرفت أن نور تثقل كاهلي

أحمد بالبحث عن شقة لها. وإن اتصلت بهم الآن
سوف يجلبوا محامياً لها ويدفعوا له أموالاً طائلة
ليخرجوها من هنا وهذا سوف يأخذ الكثير من
الوقت، ووقتها سوف تعرف عمتها والجميع بهذه
الكارثة وقد يحدث وقتها ما لا تحمد عقباه، لهذا لا
يجب أن تتصل بنور ولكن عدا نور وأحمد هي لا
تعرف أحد.. سواه. منقذها الأول. برفق بدأت تكتب
رقم يونس الشخصي رقمًا تلو الآخر، الرقم الذي
حدقت به الأيام السابقة وهي لا تصدق بأنها قد
حصلت عليه، الرقم الذي حفظته عن ظهر قلب
بدون أن تدري بالأمر إلا الآن، كتبت رقمه وتأكدت
من صحته وبسرعة ضغطت على زر الإتصال الذي
سوف يوصلها به، لم تكن تملك وقتًا لتتردد أو تقلق

بشأن أي شيئًا آخر الآن سوى أمر خروجها من هنا،
ويونس فقط من كان يملك مفتاح هذه الزنزانة، فقد
سبق أن أخرج زياد من مصائب كان قد قام بها
بالفعل من أجل نور لذا لابد أنه قادر على إخراجها
وهي بريئة. حل الصمت لثواني، تركتها السيدة مع
الهاتف لتحظي ببعض الخصوصية وكان كل ما
تسمعه هو صوت جرس الهاتف الذي ينبهها بأنه
يتصل وبأن المطلوب لم يجيب بعد ولكن قبل أن
تفقد الأمل وقبل أن ينتهي صوت الجرس أتى صوته
من الجانب الآخر، صوته الجاد الذي ألقى تحية الله
على المتصل، صوته الذي جعلها تعود لتبكي مرة
أخرى بعد أن حاولت أن تهدئ لكي يفهم ما لديها
من كلمات.

وبصوت خافت خرج اسمه من ثغرها، اسمه الذي
خرج بطريقة ممتلئة بالحزن الذي أجبره علي
الاعتدال في جلسته يعطي إهتمامه للمتصلة
مجهولة الهوية. _ يونس.. أنا ليلى. انتفض يونس
واقفًا مبتعدًا عن مكتبه بعد أن أتت له هوية
المتصل قبل أن يسأل، هو لم يكن يملك الكثير من
الوقت ليطردها من باله فهو كان يستمع إلى حديث
أحمد عنها قبل عدة ساعات فقط، لابد أنها هي ليلى
التي يعرفها فهو لا يعرف ليلى إلا هي. قال بملامح
امتلاّت بالقلق وهو يسمع بكائها الذي بد له أنها
تكافح لأيقافه فصوت أنفاسها عالي يصل إلى اذنيه :
_ ليلى قريبة نور صح؟، مالك بتعيطي ليه؟ ،

حصلك حاجة والا أي؟ كان واثقًا بأن أيًا كان ما يحدث فهو قد حدث معها هي، فأن كان قد أصاب نور مكروه فلن تكون هي من تتصل به وتخبره لهذا كان سؤاله عنها، وعندما طال صمتها قال مرة أخرى وهو يسير عدة خطوات داخل مكتبه بعد أن أكل التوتر أعصابه : _ أهدي يا ليلي وقوليلي مالك؟، أنتِ فين طيب وأنا هجيلك؟. تحاملت ليلي علي نفسها وقالت ما لديها هذه المرة دفعة واحدة : _ أنا في القسم، كنت رايحة أشوف شغل بس المكان اللي كنت ريحاله طلع مكان مشبوه والحكومة جت وأنا جوا وفكرني واحدة منهم ومحدث راضي يسمعني هنا يا يونس. امتلأت ملامح يونس بالهلع وهو يقترب من مكتبه بسرعة يلتقط مفاتيح

سيارته وباقي اشيائه وبينما يذهب خارج مكتبه
بخطوات سريعة كان قد سألها عن مكان مركز
الشرطة التي هي به وقد أخبرته قبل أن تسحب
المرأة الهاتف منها بسرعة وتغلقه معيدة اياه إلى
مكانه بعد أن اتى إحدى رجال الشرطة ليأخذ إحدى
النساء من أجل لقاء ضابط الشرطة. لم يأخذ يونس
وقتًا طويلًا إلى هناك فقد كان يقود بسرعة خارقة
بينما يمر بين السيارات لكي لا يفقد الكثير من
الوقت، هو حرفيًا لا يصدق ما استمع إليه من ثغرها
الباكي، هو قد تخيل عدة أشياء سيئة قد حدثت لها
قبل أن تجيبه وتخبره بما حل بها ولكنه لم يتخيل
هذا أبدًا، تلك الصغيرة التي تبدو في عينيهِ كورقة
شجر خريفية تتأرجح من هنا وهناك بلا حيلة كانت

ألف من أن تمر بتلك التجربة، هو لا يعرفها تمام
المعرفة ولكنه واثق من ما قالته له ولهذا سوف
يعمل جاهداً لانتشالها من هذه التجربة البشعة.
توقفت سيارته بالقرب من مركز الشرطة الذي
أخبرته بأسمه قبل أن يُغلق الهاتف الذي معها،
وأخذ خطواته السريعة إلى الداخل باحثاً عن مكتب
المسئول هنا والذي عرف اسمه من إحدى أصدقائه
الذي كلفه بالبحث عن شخص يمكنه أن يتحدث
معه هنا، وبالفعل استطاع صديق يونس أن يصل
إلى شخص يعرفه هنا وأخبره بشأنه، وخلال لحظة
كان قد وقف أمام مكتبه يخبر الواقف علي الباب
برغبته في لقاء رئيسه، وبعد أن عرف حاتم هوية
الرجل الذي ينتظره سمح له بأن يدخل. نهض حاتم

هادئ الملامح الذي اطفئ سيجارته بعد أن لمح
يونس أمام عيناه وبطريقة عملية صافحه قائلاً : _
أهلا يا باشا شرفتنى. أوماً له يونس وهو يبادل
التحية والمصافحة قبل أن يجلس أمام مكتبه، سأل
عن ما يريد شربه وبعد أن رفض يونس بأصرار
اكتفى حاتم بأحضار الماء له وبهدوء سأل : _ خير
يا باشا، مصطفى كلمنى قالى إنك جاي بس
مقاليش أى المشكلة. اعتدل يونس فى جلسته
وبسرعة قال : _ فى بنت اسمها ليلى، أنا أعرفها
شخصيًا وأعرف أهلها هى كلمتنى من هنا وقالتلى
إنها اتمسكت بالغلط فى شقة مشبوهة فأنا جيت
عشانها. اقترب حاتم إلى الأمام منه وقد ظهرت ليلى
فى رأسه على الفور فهو قد أمسك بها منذ أقل من

ساعتين ولم ينسي ما حدث بالتأكيد، حك رأسه
بخفة وهو يقول : _ هو اه في بنت فعلا قعدت
تقول إنها هنا بالغلط بس أنا مصدقتهاش، بس أنت
أكيد فاهمني يعني، معظمهم بيقولوا كدا عشان
يخلعوا. أوماً له يونس بتفهم وهو بالفعل لا يلقي
باللوم عليه فهو يتعرض لمثل هذه المواقف ايضاً
وابسط شيء يقوله المذنبون دائماً بأنهم في المكان
الخاطئ وأنهم ليسوا جزءاً من هذا، نهض حاتم من
مكانه وهو يخرج للشرطي الذي يقف أمام الباب
وقال : _ في واحدة إسمها ليلي سليمان تحت
هاتالي وبراحة عليها وخلي حد يجبلها كل حاجتها.
غادر الشرطي بعد أن حياه وعاد هو مكانه يستمر في
التحدث مع يونس حول ما قالته له يستفسر أكثر

حول ما أخبرته به، هو لم يسأل كيف اتصلت به من
داخل الزنزانة فهو وجميع من يعملوا في القانون
يدركوا أن هناك من يخالف القانون دائماً في عقر
القانون. دقائق مرت عليه وهو يجلس ينتظر
قدومها وبالفعل صدر طرقٍ على الباب وهو ما أن
سمعه اعتدل في جلسه وعيناه الزائغة القلقة
تعلقت بالباب وفي تلك الاثناء سمح حاتم للطارق
بأن يدخل وهناك ظهرت أمامه، الفتاة الباكية التي
ألقي بها في المقابر قبل خمسة أعوام، وها هو
يلتقي بها للمرة الثانية في ظروف غريبة أخرى،
فمركز الشرطة ليس المكان المثالي للقاء. كانت
تقف في منتصف الغرفة بجانب الشرطي الذي
احضرها، وجهها أحمر اللون من شدة بكائها منذ أكثر

من ساعتين، تنظر إليه بذات العينين السوداوتين
الحزينتين، شعلة الحياة داخلها ما زالت منطفئة
وقد بدت له كأنها ما زالت عالقة في ذلك العام
الحزين حيث أغسطس البائس، ومرة أخرى شعر
بما شعر به قبل خمسة أعوام. لقد شعر بأنه يريد
أن يزيل تلك الدموع عن عيناها ليرى كيف تبدو
بدونها. " أما رأيُتم شاردًا عيناهُ نجمَتان. " محمود
درويش.

———— Part Break ————

كل شيء في الحياة له عدة أنواع وأشكال مختلفة،
أنواع رديئة من كل شيء وأنواع ممتازة أخرى،
والاختيار دائماً يقع على الإنسان، مثل أنواع القهوة
المختلفة أو أنواع التفاح التي لا تتشابه، أشكال
القطارات والطائرات، الغيوم العواصف والزلازل،
وكذلك الدموع الذي ربما البعض لا يستطيع أن
يميزها أو يعرف كيفية التفرقة بينهم. فيوجد دموع
حقيقة كدموع أم سعيدة في حفل زفاف ابنتها، أو

دموع الحزن التي تملأ المقابر، يوجد دموع كدموع
المظلوم التي لا تجف، ودموع مصطنعة غير حقيقة
يكون الظالم بارعًا في اصطناعها ولا يستطيع الإنسان
أن يفرق بينهم إلا أن حدق بأعين من أمامه جيدًا
وفي ذلك الوقت فقط سوف يدرك حقيقة هذه
الدموع ومنبعها، أهو القلب أم العقل. أما الآن وهو
يحدق بعيناها الباكية وهي تقترب بخطوات مهزوزة
أثر خوفها أدرك أن دموعها كانت صادرة من أعماق
نقاط قلبها، دموعها كانت حزينة وبائسة بشكلٍ
أصابه بالتوتر، جلست ليلى على المقعد الذي أمامه
بعد أن أخبرها حاتم أن تفعل وقد لبت النداء
سريعًا، أما عنه فقد كان صامتًا ينظر إليها فقط
وعيناها تطارده كطفلٍ صغيرٍ ألتقي بشخصٍ يعرفه

بعد أن كان تائهاً. رفعت ليلي يديها تمسح على
وجهها وتحاول تهدئة نفسها لتجيب على أي سؤال
سوف يتوجه لها ولكن فور أن تزيل ما لديها من
دموع تنجب عيناها غيرهم، اقترب يونس من
الطاولة التي بينهم أمسك كأس الماء الخاص به
الذي لم يشرب منه شيئاً وأعطاه لها وهو يحادثها
بهدوء : _ خدي أشربي وأهدئي. أومأت له ليلي
وهي تأخذ الكأس من جزئه السفلي بعيداً عن
أصابعه التي تمسكه من أعلاه، وشربت منه بهدوء
بعد أن التمسست الهدوء بين كلماته ، وضعت الكأس
بعد أن شربت من القليل وهي تحاول أن تتنفس
بعمق لتنظم أنفاسها، ومرة أخرى تحدث يونس قائلاً
: _ حد عملك حاجة تحت أو برا؟ نفت له ليلي

وهي تجيبه بصوتٍ مبحوح : _ لا محدش كلمني.
أوماً لها يونس براحة وهو يريح ظهره علي المقعد
من خلفه ثم بهدوء حرك رأسه إلى حاتم يعطيه
الإشارة ليبدأ في سؤالها عن عدة أشياء يحتاج لأجابة
منها عليها لكي تستطيع المغادرة بعد أن هدأت
وتوقفت عن البكاء، رأت ليلي حركته إلى حاتم
فعلمت أنه سوف يحادثها لهذا أعطته انتباهها
بالكامل وعلي الفور سألها حاتم بما لديه : _ ممكن
أعرف كنتي بتعملي أي هناك؟ أجابته ليلي علي
الفور بصوتها المبحوح ذاته وهي تبرر موقفها أخيراً
بعد أن أهتم ذلك الشارد بالاستماع إلى ما لديها من
كلمات : _ أنا محامية ومتسجلة في النقابة وكنت
بدور علي شغل ولما بحثت على أماكن طلعتلي

الشقة دي بأسم مكتب خالد توفيق للمحاماة
عشان كدا روحت ولما البنت المربية دي فتحتلي
الباب كنت همشي على طول بس هي سحبتني
وقفلت الباب، كانت فكراني هشتري منها مخدرات

أوما لها حاتم بتفهم فقد عثروا على أنواع مختلفة
من الممنوعات في تلك الشقة ومبلغ كبير من المال
فعلي ما يبدو ذلك المكان كان وقراً لكل ما هو
دنيء، كان سوف يتحدث مرة أخرى ولكن أوقفه
طرق باب المكتب مرة أخرى يجذب انتباه ثلاثتهم،
سمح حاتم للطارق بالدخول وقد كان إحدى رجاله
يحمل بين يديه حقيبة ظهرها السوداء وهاتفها معه،
أشار له حاتم ليقترّب ويعطيها أشياءها وأخذتهم منه

بسرعة وهي تعانق حقيبتها تحتمي بها وتعتصرها
بين يديها، نظرت إلى يونس تتسأل عن التالي
وكأجابة لها قال بصوته الهادئ نفسه : _ شوفي
شنطتك لو في حاجة ناقصة. لبت ليلى علي الفور
وفتحت حقيبتها تعبت بها يمينًا ويسارًا تتفحصها
وبعد لحظات أغلقتها وقالت بينما تعطيه كل
انتباهها : _ كل حاجة موجودة. حدثها حاتم مرة
أخرى متسائلًا : _ ممكن أشوف البوست بتاع
المكتب اللي روحتي هناك على أساسه؟. فتحت
ليلي هاتفها بأيدي مرتعشة خوفًا وقد اخطأت
إدخال كلمة السر عدة مرات وفي النهاية نجحت، لم
يأخذ الأمر منها الكثير من الوقت حتى أخرجت
المنشور التي ذهبت علي أساسه وبدلاً من إعطاء

الهاتف لصاحب السؤال مدته إلى يونس الذي أخذه
علي الفور منها ينظر به أولاً قبل أن يمرره إلى حاتم
وهو يبتسم لها بخفة لعلها تهدء ويختفي ارتعاش
جسدها. أما هي فظلت تحقق به حتي بعد أن أبعد
عيناه عنها ينظر إلى حاتم الذي قال شيئاً لم تسمعه
له، كانت تنظر إليه بتمعن للمرة الأولى منذ أن عبرت
الباب ووجدته جالساً أمامها بعد مرور أقل من
ساعة على مكالمتها له، لقد كان جديراً بالثقة واتي
لأجلها، وها هو اللقاء التي كانت تخشاه وتتجنبه قد
اتي، وكما كانت تبكي في أول مرة رآها بها حيث قدم
لها يد المساعدة للمرة الأولى محاولاً لملمة شتات
قلبها ها هو يراها تبكي مرة أخرى ولكن هذه المرة
يحاول لملمة الأمل الذي تحول إلى قطع متناثرة

حولها ككأس متهشم من الزجاج. هي كانت تريد أن
تراه في ظروفٍ عادية فقط وليس في ظروف تكون بها
على الحافة، كانت تريد أن تراه بدون أن يقدم لها يد
المساعدة لترى حقيقته. لترى كيف يكون في الوقت
الذي لا يقرر به أن ينقذ حياة أحدهم ولكن معظم
الوقت ما تتمنى لا يحدث، ولهذا تراه الآن وتري
جزءه اللطيف مرة أخرى، لهذا ترى ابتسامته لها
التي تتبع من عيناه قبل فمه وداخلها تتسأل، أ تلك
حقيقته، أهو لطيف بهذا الشكل دائماً أم أنه قناع
البطل الخارق فقط. عادت إلى وعيها مرة أخرى
عندما أغلق باب المكتب خلف حاتم الذي غادر إلى
مكاناً ما مع هاتفها، نظر يونس إليها بابتسامة
صغيرة يطمئننها أكثر ولكنها ما زالت كما هي، وجهها

أصفر اللون يديها ترتعش وساقها تتحرك بتوتر لهذا
تحدث قائلاً لعل الكلمات تطمئنّها : _ متخافيش،
أنا مش همشي من هنا غير وأنتِ معايا. انتشرت
السكينة داخلها كحقنة مهدئة ولم تشعر بنفسها إلا
وهي تبتسم إليه ابتسامة باهتة صغيرة بعد أن
لمست ذلك الوعد الصادق بين كلماته، لم يمر
الكثير من الوقت وقد عاد حاتم مع هاتفها بعد أن
أخذ رجاله المعلومات اللازمة منه عن الصفحة التي
أنزلت ذلك المنشور، أعطاها هاتفها وأخبر يونس
أنهم يمكنهم الذهاب الآن، لا يوجد قضية أو أي
شيء يدينها بعد أن استطاعت إثبات سبب وجودها
هناك، نهضت تسير بجانبه خارج غرفة حاتم بعد أن
فتح الباب لها لتخرج أولاً كانت قصيرة إلى أعلى

صدره وحجمها ضئيل مقارنة به فهذا ما لاحظته
يونس الذي ينظر إلى وجهها الشارد من وقت إلى آخر

ن تك... وقف أمامها بجانب سيارته وقال بنبرة
هادئة استطاعت أن تعلم من خلالها أنه يمازحها : _
اعزمك على قهوة وألا اجبك عيش وحلاوة.

ابتسمت له في المقابل وقالت بأختصار : _ أنا
محبش الحلاوة. ابتسم لها يونس وهو يحرك رأسه
موافقًا ولكن قبل أن يتحدث مرة أخرى عارضًا أمر
القهوة عليها قد تحدثت هي وهي تسحق حقيبتها
بين يدها من التوتر : _ أنا هعزمك أنا علي قهوة
بس في يوم تاني عشان أنا المفروض أكون في البيت
من ساعة ولو اتأخرت أكثر هبقا في مشكلة. أوما لها

يونس يتفهم الأمر فحسن زوج عمتها قد يقوم
بمصيبة إن عرف عن ما حدث معها، اقترب خطوة
من السيارة وهو يفتح الباب لها من جهة الراكب
وقال عارضا شيئاً مختلف : _ طب اركبي هوصلك،
أنا أسرع من المواصلات وأنتِ كذا كذا على طريقي.
كانت تود أن ترفض ولكنها بالفعل متأخرة ولا تدري
اي شيء عن المكان الذي تقف به لهذا اقتربت
تصعد إلى الجيب السوداء خاصته ليغلق الباب من
خلفها وهو يسمع همسها اللطيف بالشكر له ولم
يستطيع تمالك نفسه أو إخفاء ابتسامته، لقد عرف
أنها تود أن تهرب منه من اللحظات التي وقفت
تفكر بها أمام باب السيارة المفتوح ولكن الوقت
الذي تأخرته عن المنزل لم يترك لها فرصة لترفض.

كان الطريق إلى المنزل قصير رغم طول المسافة،
الوقت بينهم قد مر بسرعة رغم أنهم تمسكوا
بالصمت حتى اللحظة الأخيرة ولكن قالت ليلي بعد
أن توقفت سيارته علي بُعد شارع من منزل عمته :
_ يونس هو أنت.. ممكن متقولش لنور وأحمد عن
اللي حصل، أنا مش عيزاهم يقلقوا. ابتسم إليها
يونس مطمئنًا وقال بهدوء وهو يضع يده التي
تستند على شرفة السيارة أسفل رأسه الذي ميله
ليراها بشكلٍ أوضح : _ متقلقيش مش هقولهم،
سرك في بير يونس الغويط. ابتسمت علي طريقته
اللطيفة في الحديث وقبل أن تغادر قالت وهي
تحقق في كف يده الكبير والقوي الذي يمسك طارة
السيارة متجاهلة وجهه وعيناه التي تذكرها بفنجان

قوتها المفضلة : _ شكرًا إنك جيت، ليك عندي
فنجان قهوة عشان أنقذت حياتي. لم تنتظر إجابة
منه ولم ترى ردة فعله، فقط فتحت باب سيارته
وغادرت بسرعة بدون أن تلتفت له وبعد دقيقة من
مغادرة سيارته سمعت إطارات السيارة لتعلم أنه
غادر، ألتفت إليه تنظر إلى ظهر سيارته التي تبتعد
وقالت بصوتٍ خافت : _ ثاني، أنقذت حياتي ثاني يا
يونس. ظل يبتسم طوال طريقه
إلى العمل على لطف الطريقة التي شكرته بها،
حتى انها تجاهلت النظر إلى وجهه وهي تفعلها وهذا
ما جعلها تبدو ألطف في عيناه، أما عنها فكانت في
مزاج جيد بعد عودتها إلى المنزل وبعد أن صدقت
عمتها كذبة ضغط العمل التي خرجت بها مبررة

سبب تأخرها حتى هذا الوقت، أما عن زوج عمتها
فكل ما أخبرها به كانت جملة واحدة أقلقـت قلبها :

ن تك... _ أنا مش مرتحلك يا ليلي. كان شعوره
المرتاب يخبره أنها تخبئ شيئًا ما عنهم هذه الفترة
وهي بالفعل كانت كذلك ولكنها تماسكت بأعجوبة
أمامه حتى لا يكشفها أو يشعر بأن شكه أكيدًا
بشأنها، فإن علم بخطة انتقالها وتملصها من منزل
الرعب خاصته قبل أن تفعلها سوف يحول حياتها
إلى جحيم أكثر مما هي عليه. جلست على سريرها
بعد أن غيرت ملابسها حررت شعرها من الحجاب
بعد أن أغلقت باب غرفتها بالمفتاح كالمعتاد، وقبل
أن تندس أسفل غطاء سريرها الخفيف التي لا

تستطيع التخلي عنه حتى في الصيف، لتحظي
بقسط من الراحة صدر صوت رنين هاتفها لتعتدل
مرة أخرى جالسة لتجد أن نور هي المتصلة، وبهدوء
تلقت المكالمة ليأتي لها صوت نور التي تبدأ
التحدث بدون أن تحيي من يتلقي المكالمة منها
اولاً : _ حبيب قلبي، أي أخبارك وأخبار مقابلة
الشغل النهاردة؟ ودت ليلي لو تثرثر لها بشدة عن
ما حدث لها في هذا اليوم الحافل ولكنها ابتلعت كل
الأحداث السئية والجيدة وأجابتها إجابة اعتيادية
بصوتٍ منخفض لكي لا يخرج صوتها لأي شخص
في الخارج وأن كان يمر من أمام غرفتها خلصة : _
أنا كويسة الحمد لله بس المقابلة منجحتش فيها،
كانوا لقوا حد خلاص. وعلي العكس المتوقع لم

تحزن نور من هذا الخبر الذي اعتقدت ليلى أنه
سوف يخزنها للغاية بل هتفت قائلة بحماس : _
أحسن برضو، أنا كنت قايلة لأحمد يدورك على شقة
بس وهو بيدور على شقة لقالك شغل. قهقهت
ليلى بصحبة نور التي شاركتها الضحك على هذه
الصدفة، فهو أن كان سوف يبحث لها عن عمل كان
سوف يجد شقة للسكن، ومرة اخري تحدثت نور
شارحة ما لديها للآخري التي تنصت إليها بعد أن
اعتدلت في جلستها أكثر : _ أحمد ومروان عندهم
صاحب يعني عنده مكتب محاماة بتاعه هو ووالده
العيلة كلها محامين باين وكانوا عايزين حد
يساعدهم وكدا عشان الشغل عندهم شغال ومش
ملاحقين، أحمد قاله عليكى وهتروحي تقابليه

الأسبوع الجاي تمام؟ أخبرتها ليلى بشأن موافقتها
على هذا العرض المثالي لها فبعد ما حدث معها
اليوم تجزم أنها باتت تخاف دخول أي مكان غريب
عليها وفكرة البحث عن عمل باتت مرهقة لها
كالجحيم، ولهذا فهي سوف تقبل بهذا فأحمد لن
يرسلها إلى مكان لا يثق بصاحبه أو إن كان يظن أنها
لن تكون بأمان هناك، ثرثرت مع نور لعدة دقائق
إضافية بعد أخبرتها أنها سوف ترسل لها عنوان
المكان وكل شيء يخصه في رسالة. وبهدوء
تسطحت على سريرها تأخذ راحتها منه، رفعت
رأسها تنظر إلى سقف الغرفة وهي تحقق بها وفي
داخلها بدأت تنجرف خلف أفكارها حول هذا اليوم
الرهيب الذي تحولت نهايته بطريقة عجيبة بسبب

صاحب الأعين البنية والغمازة الساحرة التي رأتها
لعدة مرات اليوم. مظهره ما زال كما هو عدا عن
ذقنه التي كانت طويلة هذه المرة وتحيط وجهه
بشكلًا مرتب، داخلها لا تصدق أنها التقت به، لقد
حدثته على الهاتف واتي إليها ينقذها من كارثة
وأعادها إلى المنزل في سيارته أيضا، هذا لم يكن
متوقع ولم يكن جزءًا من خطتها ولكن يبدو بأنها
كانت خطة القدر. مر الأسبوع عليها بشكل سريع،
كانت تغادر المنزل بشكل يومي وتذهب للبحث عن
شقة لتسكنها بعد أن تدبر أحمد لها أمر العمل،
واليوم هو اليوم الموعود، يوم المقابلة، أرتدت بذلة
نسائية سوداء كانت قد ارتدها سابقًا في حفل
التخرج الخاص بها، أخذت أوراقها التي يحتاج إليها

أي شخص سيعينها أن ينظر إليها وغادرت ذاهبة
إلى حيث العنوان المضمون هذه المرة. وصلت إلى
المكان وصعدت إلى الطابق الأول بتوتر ولكن الباب
المفتوح بالفعل جعلها تسترخي فعيناها قد
التقطت المكتب والسكرتيرة التي كانت تبحث عنها
سابقًا قبل أن تدخل، قابلها خالد صديق أحمد الذي
كان يكبره عمرًا بخمسة أعوام ويكبرها هي بعشرة
أعوام، كان ودودًا رحب بها ودردش معها وبعد أن
رأي أوراقها وسمع أرائها بشأن عدة أشياء أخبرها
بأن الوظيفة لها، كانت سعيدة وتكاد تحلق من
الفرحة وهي تصافحه شاكرة إياه، فهو لم يثرثر بشأن
العمل السابق لها أو بشأن كونه العمل الأول لها في
القانون بعد أن تخرجت. حملت أوراقها وهي تغادر

بابتسامة مشرقة ولكنها من شدة حماسها كادت
تصدم بأحدهم لو أنه لم يتجنبها بنفسه، رفعت
رأسها تنظر إليه لتعتذر منه وفي هذه اللحظة صُعق
جسدها بأكمله وأول ما اهتز بها هو قلبها، فالرجل
التي كادت تلتصق به لم يكن إلا يونس الذي يناظر
ملامحها المشدوّهة بابتسامة واسعة، كل واحدٍ
منهم تلقي الصدمة بطريقته. كان يونس أول من
تخطي صدمته وقال لها وهو يبعد خصلاته المموجة
الناعمة عن مرمي عيناه وبينما يحدق بعيناها
السعيدة التي كانت مزينة بابتسامة قبل لحظات
قال بدون أن يدري ما الذي يتفوه به : _ ما
الشمس بتطلع بالليل أهي! لقد توترت أطرافها
وهي لا تعلم ماذا يقصد، وهو أيضًا لم يكن يعلم

ماذا يقصد بالضبط، أيقصد عيناها السوداء التي
تزينت بابتسامة تشبه إشراقة قرص الشمس؟ أم
يعني أن ابتسامتها شمسًا جديدة حطت علي
العالم بعد أن أتى القمر وحل الليل؟ لعينيك ما
يَلْقَى الفؤادُ وَمَا لَقَى، وللحُب ما لم يَبْقَ منِّي وما
بقي. وَمَا كُنْتُ ممن يدخلُ العشْقُ قلبه، ولكن من
يُبصرُ جفونَكَ يعشقي. المتنبي.

———— Part Break ————

البشر دائماً يكونوا بشرًا مهما ساءت الأمور ولكن
ليس كل البشر أناسًا، فالإنسان هو وحده من يملك
الإنسانية داخل قلبه، هو من يكون قادرًا على رؤية
حزن الآخرين واصطياده من بين كلماتهم، الإنسان
هو من يكون قادرًا علي أن يشارك الآخرين
سعادتهم وأن يسعد لأجلهم على أصغر الأسباب
قبل أكبرها، الإنسان يكون عاجزًا عن النوم وهو
يستمتع إلى صوت قطة تنوح أمام منزله والإنسان هو
وحده من يخرج فمه عطرًا وليس كلمات. الإنسان
يجب أن يحب، يتعاطف ويحزن مع الآخرين

ولأجلهم، وغير ذلك فهو بشرًا عاديًا مجرد من
الإنسانية وهذا هو الفرق بين الكلمتين، الفرق الذي
يبدو كالفرق بين السماء والأرض، والفرق بين
القلوب السوداء والبيضاء النقية. أغلقت نور التي
يتشابه إسمها مع ما يختبئ داخل صدرها الهاتف
وهي تقفز بحماس، فهي للتو قد أنهت مكالمتها مع
ليلي التي أخبرتها أنها حصلت على العمل، كانت
سعيدة للغاية فالخطة التي وضعتها ليلي تسير
بشكل مثالي ولم يتبقي شيء سوى عثورها علي
مكان لتسكنه، قاطع نوبة حماسها صوت فتح باب
شقتها لتعلم علي الفور أن محبوبها قد وصل
وبنفس الإبتسامة الواسعة خرجت من غرفتها وهي
تتمايل علي ألحان أغنية صادرة داخل رأسها فقط.

كان أحمد يقف عند باب الشقة بعد أن أغلقه وهو
يخلص نفسه من حذائه بينما يبحث عنها بعيناه
ولم يستغرقه الأمر وقتًا طويلاً لأيجادها فها هي تأتي
إليه بينما تتمايل بهدوء هنا وهناك وعلي وجهها
ابتسامة عريضة وجميلة، وقف مكانه يراقب مزاجها
الممتاز بابتسامة واسعة فهي تبدو له خلاصة حتى في
أبسط الأشياء التي تقوم بها. وصلت إليه بعد عدة
خطواته ولم يشعر بها إلا وهي ترتمي بين أحضانه،
تلقى عناقها علي الرحب وهو يقهقه علي أفعالها
فهي تبدو كطفلة صغيرة تتعلق بوالدها الذي اتي
لتوه من رحلة سفر طويلة، عانقته لعدة ثواني ثم
ابتعدت عنه ولكنها ما زالت تحيط رقبتة بذراعيها،
عوقالت ما جعله يدرك سبب كل هذا الحب الذي

أمطر عليه من السماء : _ ليلي خدت الشغل، أنا
قولتلك إني بحبك النهاردة؟ . أجابها أحمد ممازحًا
وهو يحيط خصرها بذراعيه : _ اه يا مصلحجية، كل
دا عشان ليلي خدت الشغل، أنا قولت إنك راضية
عني والا حاجة. قهقهت نور على نبرته المازحة التي
تحبها وقالت : _ مانا طبعا راضية عنك وعشان كدا
عملتلك حتة غداء، هتأكل صوابك وراه. رفع
أحمد قبضته أمام وجهها بنصر كأنه قد فاز بمباراة أو
شيئًا ما، لتقهقه عليه نور للمرة الأخيرة قبل أن
تنفصل عنه وتتجه إلى المطبخ تجهز الغداء حتى
يغير ملابسه ولكنه لم يذهب إلى الغرفة كما ظنت
أنه سوف يفعل، لقد تحرك خلفها يستند على باب

المطبخ وبهدوء سألها ما جعل يدها تهتز للحظة

: وهي تلتقط إحدى الأطباق من المفاجأة

ن تك... _ مش هتقوليلي أي اللي حصل فجأة مع

ليلى عشان تدوري ليها على شقة وشغل بالسرعة

دي؟ دارت أعين نور بتوتر في كل أنحاء المكان وهي

تعطيه ظهرها، كانت تعلم أنه ذكي بشكلٍ كافٍ

ليلاحظ أنها تحاول إخفاء شيء ما عنه بهذا

الخصوص ولكنها لم تكن تعلم أنه سوف يشك

بهذه السرعة ويسألها بهذه الصراحة، وها هي الآن

واقعة في ورطة ويجب أن تعثر علي كذبة سريعة

لأجله ولكنها لم تنتبه أن صمتها قد طال وأن كان

يشك بأخفائها شيء عنه فهو الآن متأكد. ألتفتت

إليه نور وهي تبتسم ابتسامة حاولت قدر الإمكان
أن تبدو حقيقية له : _ مفيش حاجة حصلت، هي
بس ليلي قالتلي أنها عايضة تستقل وأنا وافقت على
قرارها عادي. نظرات أحمد الهادئة لم تختفي عن
وجهه وقد أدرك أنها لن تخبره بحقيقة الأمر الآن،
هي لا تكذب عليه بشأن أي شيء إلا نادرًا وهو الآن
يدرك أنها تكذب بقدر إدراكه أن ابتسامتها تلك لم
تكن حقيقية بل مزيفة تخفي خلفها الكثير، اقترب
منها أحمد يفرغ يدها من الطبق التي كانت تحمله
وبدلاً عنه أمسك هو بكفيها بين يديه بلطف وقال
بتفهم : _ مفيش داعي تكذبي عليا، أنا عارفك أكثر
من نفسك وعارف أن في حاجة وهستناكِ لحد ما
تكوني جاهزة تقوليلي، بس لو المشكلة اللي هي

واقعة فيها حاجة مش هتقدري تتعاملي معاها
لوحدك قوليلي وأنا هتصرف، ليلي زي ماهي أختك
الصغيرة هي أختي أنا كمان. أومأت له نور موافقة
وهي تشاهده يغادر إلى غرفة نومهم بعد أن أخذ من
عينها إجابة، فكما أخبرها هو، لا داعي للكذب عليه
فهو سوف يعرف علي أي حال أن كانت تكذب أم لا،
وهي وعدته داخلها الآن أنها سوف تخبره بكل شيء
ولكن ليس الآن، سوف تخبره عندما تكون متأكدة
أنه لا خطر عليه وسوف تخبره عندما تكون
ليلى بعيدة عن أنياب الذئب شقيقها أولاً، فلا يمكن
للذئب أن يكون وديعًا ولا يمكن أن يحصل على
ليلي أبدًا، فالذئب والإنسان لا يمكن أن يجتمعوا
وليلي إنسانة بكل جوارحها وزياد ذئب بكل ما فيه

من حقارة. وفي إحدى المقاهي الهادئة كانت تجلس
ليلى علي إحدى الطاولات التي اختارتها بعناية فهي
بجانب النافذة التي تطل على الشارع الهادئ
والأشجار شاهقة الطول، وفي تلك الأثناء كان يونس
يقوم بركن سيارته في الخارج بعد أن أخبرها أن
تسبقه إلى الداخل أولاً، هي مسترخية رغم أن
الشمس قد غربت ولكنها قد أخذت إذن التأخر من
عمتها وزوجها قبل أن تغادر قائلة بأنها سوف تمر
علي نور بعد العمل، هي واثقة أن حسن لا يثق بها
بما يكفي ليسمح لها بأن تتأخر عن الموعد الذي
وضعه لها لتكون خارج المنزل، لهذا هو على الأغلب
تواصل مع نور يسألها على صحة هذا الخبر لهذا
اتفقت مع نور علي هذا مسبقاً. صدر صوت جرس

الباب الغير صاحب لتلفتت إليه تنظر إن كان
الدخيل هو أم لا وقد أصابت، فها هو يقف أمام الباب
بحلته السوداء الشبابية يبحث عنها بعيناه وهي قد
ساعدته لإيجاد مكانها رافعة ذراعها تشير إليه يمينًا
ويسارًا، ألتقت عيناه بعينها لتتسل الإبتسامة إلى
ثغره وهو يقترب منها بخطي ثابتة وخلال ثواني قد
سحب المقعد بيده الخالية من خاتم زواجه الذي
كان ما زال يرتديها في كل مكان قبل عامين فقط أي
بعد موت زوجته بثلاثة سنوات، كانت قد رآته في
إحدى صور زفاف نور وقد لمع خاتمه في الصورة
كإبتسامته.

ن تك... جلس أمامها براحة وهو يشير إلى النادل
ليأخذ طلبهم، أخذت هي قهوة مع سكر زيادة وأخذ
هو قهوة مضبوطة، بعد أن غادر النادل نظرت إليه
وكان ينظر إليها بالفعل بهدوء كهدهوء الأجواء من
حولهم وفور أن ألتقت عيناهم قال : _ أنا اللي
عازمك المرة دي يعني لسة ليا عندك فنجان قهوة.
وضعت كفها تحت وجنتها تسندها علي الطاولة
وبابتسامة صغيرة قالت : _ طب ما تخليني اعزمك
أنا المرة دي ونبقا خالصين. حرك يونس رأسه
رافضاً وهو يقول بأصرار بدا لها مضحكاً : _ على
فكرة أنت كنتِ هتمشي وتسببيني من غير عزومة
وَألا حاجة وأنا اللي وقفتك يا آنسة. ضحكت ليلي
عليه بخفة وهي توافقه بصمت فهو محق على أي

حال، لقد كانت سوف تعتذر لأنها كادت تصتدم به
وتهرب منه من فرط ما شعرت به من توتر ولكنه
من أوقفها ودعاها لتشرب معه فنجان من القهوة
في إحدى المقاهي القريبة وعندما وافقت غادر
معه بعد أن أجل العمل الذي كان قد أتى من أجله
إلى خالد صديقه. أما عنه فهو كان يراقب ابتسامتها
بسرور ولا يكاد يصدق أنه يجلس معها بدون أن
تبكي، تبدو طبيعية وهي تشعر بالراحة وتبتسم، وها
هي قد حققت له إحدى امنياتهِ برؤية عيناها الغير
باكية وكيف تبدو بدون دموعٍ تلوثها، خلال دقائق
الصمت تلك كانت قد أتت قهوتهم، وفي تلك الأثناء
تحدث يونس متسائلًا : _ كنتِ عند خالد؟، في حاجة
والا أي؟ نفت له ليلى برأسها وأجابته بابتسامة

متحمسة لم تستطيع إخفائها : _ هشتغل هناك،
الأستاذ خالد كان بيدور عن محامي يساعده هو
وباقى المحامين اللي في المكتب وأحمد رشحي
والنهاردة خدت الشغل. شاركها يونس الإبتسامة
فقد بدت له كطفلة صغيرة متحمسة لزيارة مكان
ما لم تذهب اليه من قبل، هنئها على وظيفتها
الجديدة بعد أن أخبرها بشأن ثقته بأنها سوف تبلي
حسنًا به، تحدثوا طويلاً بشأن عدة أشياء خلال ساعة
ونصف شربوا بها عدة كؤوس من القهوة وبعد هذا
همت بالمغادرة فهي كانت تعلم بالفعل أنها تعطله
عن عملاً ما في مكتب خالد المحامي. دفع يونس
الحساب فكما قال لها تلك كانت دعوته لها ثم
غادروا باب المقهى سويًا، ألتفتت له ليلي بغية

توديعه والذهاب ولكنه تحدث أولاً : _ استنيني
دقيقة هجيب عربيتي من أول الشارع وهو صلك.
نفت له ليلي بأصرار وقالت : _ لا ملهاش داعي
المرة دي، أنا مش متأخرة هركب مواصلات عادي.
حرك يونس رأسه لها بدرامية والتصوير البطيء وهو
ينفي يمينًا ويسارًا وقال كأنه قد تلقي طعنة غادرة
في قلبه : _ على فكرة أنا قلبي رقيق وبتجرح
بسرعة، ازاي تفكري تركبي مواصلات وأنا معاك،
غدارة. لم تستطيع ليلي إخفاء قهقهتها الصاخبة
عن الخروج وهي تنظر إلى وجهه الدرامي الذي
تحول إلى ابتسامة عريضة وهو يراها كيف تضحك
كأنها طائر تذكره لتوه أنه يمكنه أن يحلق، لم تحاول
ليلى أن ترفض عرضه مرة أخرى ولكنها أصرت أن

ترافقه حيث سيارته وبهذا كانوا يسIRON مَعًا جنبًا
إلى جانب، هو يتحدث معها بشأن عدة أشياء غير
مترابطة وهي تضحك على ردود أفعاله المبالغ بها
في بعض الأحيان، ردود الأفعال التي لم تتخيل أن
تخرج من رجل بمثل هيئته الجادة والتي تشبه
رجال القانون بشكلًا كبير ولكنه كما وصف نفسه
بطريقة مازحة، هو يملك قلب رقيق يُسعد ببساطة
ويحزن بسرعة.

ن تك... أما هي فقد عثرت على إجابة لسؤالها
الذي كانت تنظر اجابته منذ خمسة أعوام، أهذا
اللطف هو حقيقته أم أنه قناع البطل الخارق
خاصته؟ ، والإجابة التي حصلت عليها كانت أن

حقيقته هي قناع البطل الخارق الذي أدركت أنه
ليس قناعًا، هو بالفعل رجل دافئ يميل إلى أنقاذ
الجميع من كل شيء وأي شيء معونيًا كان أو
ماديًا، وكان قلبها سعيد بهذا بشكل كارثي، فهذا
الرجل الفريد من نوعه بالفعل دافئ طوال أيام السنة
ولا يكون باردًا حتى هو يجلس مع أحد لا يحتاج إلى
الإنقاذ منه. كان الطريق إلى المنزل هذه المرة ليس
هادئًا كالمرة السابقة فهم تحدثوا طوال الطريق،
علموا خلالها أنهم يحبوا أن يشربوا المشروبات
الساخنة بعد أن يتم صبها ببعض الوقت، والقهوة
شيئًا مفضلًا لديهم، أخبرته ليلى عن حبها للقهوة
مع النعناع وعلى عكس نور والجميع لم يشعر
بالغربة بشكلٍ كلي من هذا المزيج الغريب بل

أخبرها أنه سوف يود أن يجربها ليري كيف يكون
مذاقها، أهو قريب بما يكفي لطعم القهوة أم يميل
إلى طعم النعناع اللازع وظل يتخيل مذاق المزيج
بينهم وليلى فقط تضحك علي تعابير وجهه التي
بدت كما لو أنه أكل ليمون حامض لتوه. وصلت
سيارته إلى حيث توقفت المرة السابقة، نظر إليها
يونس ولم يخجل بالتعبير عن سعادته لهذا اليوم :
_ مبسوط أننا اتقابلنا النهاردة، كان يوم جميل.
تحدثت ليلي تلك المرة قائلة ما اضحكه حقًا فهي
قالت ما كان يفكر به ولكنه قرر أن يحتفظ به
لنفسه : _ علي الأقل مشوفتنيش وأنا بعيط تاني.
رفع يونس يديه إلى الأعلى مستسلمًا وقال ضاحكًا :
_ أنا مش معترض أنتِ اللي بتقولي. أومأت له

ليلى بابتسامة واسعة ثم ودعته وغادرت سيارته
وهي تلوح إليه، لوح إليها في المقابل وغادر بعد أن
بدأت تسير في الطريق إلى حيث منزل عمتها، كانت
الإبتسامة ما زالت ملتصقة في وجهها حتى بعد
دقائق من مغادرته، لقد كان هذا اليوم مثالي بطريقة
لا تصدق، حصلت على عمل تستطيع أن تخبره لمن
حولها بفخر والأهم أنها تستطيع أن تحقق أحلامها
بعد أن صعدت أول درجة على سلمه شاق
الإرتفاع، وفي نهاية يومها الذي كان بالفعل جيد رماه
القدر في طريقها مرة أخرى ولكن هذه المرة لم يكن
مدعوًا من قبلها بل كانت صدفة رائعة كما أعترف
هو بذلك. كان كل شيء جيد بطريقة اشعرتها كأنها
في حلم لا تريد أن تستيقظ منه ولكن لأنها سيئة

الحظ ولا شيء جيد يكتمل معها تحول كل شيء
فجأة إلى كابوس سقطت داخل أعرق أعماقه، فقبل
أن تعبر بوابة منزل عمتها تحول كل شيء إلى ظلام
عندما أطبق أحدهم بيده على شعرها من فوق
حجابها حتى شعرت بأنه سوف يخلعه من جذوره.
لم يأخذ الأمر منها الكثير من الوقت لتفكر بالفاعل
أو تسأل عن هويته لأن صوت زياد الذي تكره صدر
من خلفها وهو يدفعها إلى الداخل بقسوة حتي كاد
يسقطها أرضاً جعلها تقشعر من الخوف وقد سقط
قلبها أرضاً عندما تحدث بغضب قائلاً: _ مين اللي
نزلتني من عربيته دا يا ست الحسن يا شريفة،
أنطقي يا بنت بدل ما اقتلك هنا، وألا أنتِ عاملة
شريفة عليا أنا. تحركت ليلي بين يديه بعنف

لتحاول أن تهرب من داخل قبضته التي ما زالت
تطبق على شعرها وبصوتٍ مهزوز قالت : _ أبعد
عني يا حيوان يا همجي، سبني بدل ما اقتلك.
قهقهه زياد بجنون وهو يسحق شعرها داخل قبضته
أكثر حتى سمع صوت أنينها بين يديه وقال بنبرة
حقيرة بجانب أذنيها : _ هو عشان معاه عربية
يعني وأنا لا، طب مانا قولتلك طبطيني وأنا هدلعك.
انزلقت دموع ليلي من عيناها رغماً عنها بدون أن
تبكي ولكن الألم التي كانت تشعر به أثر قبضته
علي شعرها لا يحتمل، أدارت عيناها الحمراء إليه
ونظرت له بجانبه حيث كان يقف خلفها وبتحدي
قالت وهي تحقق به كأكثر شيء تكرهه على
الإطلاق : _ أنا بخاف ربنا مش زيك يا حثالة بس

عارف؟ ، حتى لو كنت كذا كنت هختار أي راجل في
الدنيا حتى لو كان بيشحت إلا أنت يا زياد ومكنتش
خليتك تلمس مني شعرة برضو. عض زياد علي
شفته السفلية بغضب عارم بعد أن أخرجته عن
السيطرة برفضها الواضح له، فهذه كانت أول مرة
يتحدث معها بشأن رغبته بها وهو مستيقظ وواعي
على ما يقوم به وأول مرة ترفضه بالكلمات : _
قولتلك يا ليلي، يانا يا القبر وبما إنك مش عيزاني فأنا
هوديك للقبر بأيدي. " آه... من يوقف في رأسي
الطواحين؟ " أمل دنقل.

———— Part Break ————

مشاعر الإنسان هي نافذته على العالم، يمكنه
إغلاقها والبقاء في عزلة داخل نفسه ولا يعلم العالم
عنه وعن ما يشعر شيئًا وفي المقابل سوف يتوقف
هو أيضًا عن فهم العالم، سيكون كل شيء يحدث
معه وأمامه مجرد عبء يثقل كاهليه، لن يصدق
الدموع أو الابتسامات التي تأتي إليه، لن يحب أو
يكره، سيكون فارغًا ككوب خالي من كل شيء.... أو

يمكنه فقط فتحها لينظر إلى العالم بوضوح ويسمح
للعالم بأن ينظر داخله، يمكنه أن يبكي براحة عندما
يكون حزينًا ويمكنه أن يبتسم ويقهقه عندما يكون
سعيدًا أو متحمسًا، ولكن في بعض الأوقات هناك
بعض المشاعر التي تجعل الإنسان يتمنى لو كان
متبلد المشاعر، هناك بعض المشاعر التي تجعل
الإنسان يتمنى لو كان قادرًا على إغلاق تلك النافذة
ليحمي نفسه من بطش هذا العالم وما يفعله به.
وإحدى تلك المشاعر كانت تشعر بها وهي تُجر من
شعرها كأحدي الحيوانات في حظيرة ما في هذه
اللحظة، كان زياد يصعد الدرج بسرعة كبيرة
وخطواته الغاضبة تكاد تحفر السلم ويده ما زالت
تطبق عليها وهو يسحبها خلفه إلى الأعلى حيث

والديه، لا يهتم بما تقوله له ولا يهتم بكونها سقطت
عدة مرات منه بسبب سرعته التي لم تستطيع
مواكبتها، فقط يسحبها إلى الأعلى مرة أخرى
ويستمر في الصعود. وصل بها إلى باب شقته، نظر
إلى وجهها الأحمر أثر الألم الذي تشعر به وأثر محاولة
حبس شهقاتها داخلها، ولكن دموعها كانت قد
صنعت لها طريقًا على وجنتيها وهذا ما جعل
ابتسامته الحقيرة تعود إلى وجهه مرة أخرى وبصوتٍ
هامس قال أمام وجهها : _ بصي بقا هعمل فيكي
أي. وخلال ثانية وقبل أن تحاول أن تسأله أو تحذره
كان يطرق باب المنزل بأقوى ما لديه بيده الحرة بعد
أن تأكد من أنه قد أخفي ابتسامته الخبيثة جيدًا،
أتت عمتها من الداخل راكضة وهي تفتح الباب

ترى ما الكارثة التي سقطت على رأسهم هذه المرة
ولكن المشهد الذي رأيته فور أن فتحت الباب قد
فجعها، فهي لم ترى رجال الشرطة الذين يأتوا من
وقتٍ لآخر باحثين عن ابنها الفاسد زياد ولكنها قد
وجدت زياد نفسه بملامح غاضبة كالجحيم وبين
يديه تقبع ابنة أخيها التي أوصاها عليها، يضبق على
شعرها ويبدو أن الأمر يؤلمها بحق فهي تبدو كأنها
سوف تنفجر في أي لحظة من شدة احمرار وجهها.
اقتربت منه امه بسرعة تحاول فكها من داخل
قبضته وهي تصرخ به بأن يتركها بنفسه ولكنه لم
يفعل أو يسمح لها بأن تنقذها من قبضته، بل
دفعها عنه بيده الحرة وهو يستمر في سحب ليلى
خلفه حتى وصل إلى غرفة المعيشة حيث كان

يجلس أبيه الذي عاد ليجلس مجددًا بعد أن تأكد
أنهم ليسوا رجال الشرطة مرة أخرى، فهم يقتحموا
المكان بدون استئذان. ولكن فور أن وقع نظره على
هذا المشهد تجعدت المسافة بين حاجبيه وهو
يعود ليقف مرة أخرى وينتظرهم ليأتوا إليه مغردين
بما لديهم، وصل زياد إلى والده ليدفع الفتاة التي
بين يده بأقوى ما لديه حتى التصق جسدها بالأرض
بعنف، اقتربت عمتها فاتن منها تجثو على الأرض
بجانبها وهي تتفحص جسدها بعيناها القلقة التي
اشفقت على حالتها وبدفء مسحت دموعها عن
وجهها، رفعت نظراتها الغاضبة إلى وجه ابنها الصغير
: الذي بات لا يحتمل كوالده تمامًا وصرخت به قائلة

ن تك... _ جرا أي يا زياد، ليه كدا يا بني تعمل في
بنت خالك كدا، أنت مبتخافش ربنا يا بني. وفي
المقابل صرخ هو في وجهها حتى ظهرت عروق رقبتة
قائلاً : _ لا اللي مبتخافش ربنا دي بنت أخوكِ
الشريفة اللي عمللنا البحر طحينة، ورايحة الشغل
وجاية من الشغل، لسة قافشها نازلة من عربية
واحد غريب دلوقتي ولما وقفتها وعتبتها اسئلها
مين دا هزقتني وهددتني وتقولي هتقول لأبويا إني
بحاول أدخل عليها الأوضة، الفاجرة اللي قعدناها في
بيتنا خمس سنين واكله شاربة نايمة. اتسعت
أعين ليلي التي ما زالت ملقاه أرضاً وهي عاجزة عن
النهوض وزاد وضعها سوءً بعد ما فجره زياد في
وجهها في آخر كلامه، ذلك الوضع الوقح قد ألزق

فعلته الدنيئة بها بعد أن تحملته وتحملت وضاعته
لستة أشهر كاملين، حتى وهو لم يراها بعيناه تغادر
سيارة يونس التي يعرفها هو ويعرف صاحبها قد
تحدث عنها بتلك الطريقة طاعنًا شرفها بنصل
حقارته، فهو أن كان قد رآها تغادر سيارة يونس
بعيناه لتعرف عليها ولم يكن ليتحدث معها عن هذا
أبدًا. نظرت إلى عمتها تنفي لها بعنف وهي تتلقي
نظراتها الغير مصدقة لما سمعته بالفعل، أما عن
نظرات حسن زوج عمتها كان ينظر لها وكأنه كان
يتوقع أنها ذلك النوع من الفتيات بالفعل، انحنى لها
سريعًا يلتقط ذراعها بين يديه القاسية وهو يرفعها
عن الأرض بعنف وأمام وجهها نفث كلماته السامة :
_ بقا دا جزاتي عشان لميتك من الشوارع يا بنت

سليمان، بقا دي تبقا نهايتنا معاكي في الآخر، بقا كدا
تقولي على ابني... لم يكمل حسن رجها بين يديه أو
يكمل رص كلماته القاسية عليها كأنه التقطها
بالفعل من سرير رجلٍ غريب لأن ليلي بكل ما
تملك من قوة سحبت ذراعها من بين كفه بعد أن
فاض كيلها منهم، فحسن وابنه آخر من يمكنها أن
تسمح لهم بأن يحادثوها بهذه اللهجة، حركت كفيها
الاثنتين على وجهها وهي تمسح دموعها وتتنفس
بأعمق طريقة تعرفها ثم وقفت تقابله بأعين حادة
وهي تقول : _ اه يا عمو هقول، هقول كل حاجة
وبما أن ابنك كتر خيره فتح الموضوع خلينا نقفله
هنا وإحنا متجمعين كدا، ابنك اه كان بيحاول يدخل
عليا الأوضة كل يوم بعد الفجر وهو راجع بيطوح

اديله ست شهور، اه ابنك خمورجي ومجرم وبيعمل

كل حاجة حرام في الدنيا، اه ابنك مبيخفيش ربنا

وجاب وساخته يلزقها فيا أنا في الآخر. سحق زياد

اسنانه بيعضها البعض وهو ينظر إليها كأنه يريد

قتلها في تلك اللحظة، أما عن نظرات حسن فقد

كانت تخرج شرارًا لها، لا يصدق أن من تتحدث أمامه

الآن وتحادثه بتلك الشجاعة هي ليلي نفسها، تلك

الوديعة التي كانت مسيرة من قبله منذ أن سكنت

تحت سقف هذا المنزل، هو كان سوف يجيبها

ولكن يبدو بأنها لم تكتفي بل استمرت في التحدث

بينما تلقي نظرات متقززة على زياد من وقتٍ لآخر:

_ وبمناسبة السقف والبيت والكلام القديم دا، أنت

معملتش فيا جميلة، أنا كنت قاعدة هنا بفلوسي،

بشتغل وبديك مبلغ كل شهر ابنك الشريف مش
بيديك ربعة، يعني أي لقمة كلتها في بيتك وكل
ساعة نمتها هنا دفعت حقها بس خلاص يعني
متقلقش، أنا هاخذ فلوسي ووساخي اللي هتلبخ
بيتك الطاهر وهمشي.

استدارت تتجه إلى حيث غرفتها لتغادر في الحال
ولكن حسن كان يملك رأي مخالف لما قررته، فهو
قد قبض على ذراعها مرة أخرى يعيدها إلى حيث
تقف وبأقوي ما لديه أنزل على وجهها صفعة
اسقطتها أرضاً أمام نظرات زياد المتشفية ووالدته
الباكية التي صرخت عليه بأعلي صوتها تحاول
إنقاذها من هذا المصير التي عاشته عدة مرات

خلال سنوات بقائها علي ذمة حسن. رفعها حسن
مرة أخرى عن الأرض ينهضها ويسحبها إلى غرفتها
وهي يتمتم بقسوة متجاهلاً زوجته التي تتعلق
بذراعه الآخر تتوسله ليطرحها : _ بما أن أبوكي
معرفش يربكي أنا هربكي يا ليلي. استمر في
سحبها حتى وصل إلى الغرفة، وبعنف ألقاها في
الداخل ليهوي جسدها على أرض الغرفة، انتشل
مفتاح الباب من الخلف وغادر الغرفة غالقاً الباب
من الخارج وهو يصرخ بالمتفرجين قائلاً : _ محدش
يهوب ناحية الأوضة دي، ولا يدخلها لقمة والا بوء
ماية لحد ما تتربي، وأنت يا فاتن لو عصيتي كلامي
أو اتصلتي ببنتك عشان تيجي تتطلعها تبقي طالق
بالتلاتة وهرميكي في الشارع أنتِ وهي. لم تكن

تملك أي طاقة لتنهض من مكانها حيث ألقها زوج
عمتها، الصفعة التي تلقتها منه خدرت نصف
وجهها وأصابتها بالصداع النصفي، جزور شعرها
تؤالها ولم تشعر بأي شيء إلا وهي تسقط مكانها
فاقدة للوعي، اخر ما سمعته كانت أصواتهم
المختلطة، زياد يقسم بكل شيء مقدس في الحياة
بأن ما قالته عنه كذب، ابيه يؤيد موقفه وفاتن
تصرخ عليهم بأن ما يفعلونه بها ظلمًا سيحاسبهم
الله عليه ولكنها لم تظن أن أحدهم أهتم بهذا،
فقلوبهم سوداء بما يكفي لكي لا يخشوا الله ويوم
الحساب، يوم تلتقي الخصوم. نهاية يومها المثالي
تبددت وكل الأشياء الحلوة التي حدثت معها
اختفت كما لو كانت سرابًا، بعد أن تقيأت سعادتها

علي شكل دماء، ظلت طوال اليوم ملقاه أرضًا
مكانها، لا تستوعب الكثير سوا أنها حبيسة غرفتها
التي شهدت علي الكثير من أنهارتها ولكن قلبها
يصرخ من بين أضلعها أن هذه المرة اقساهم، هذه
النكسة أقوى من كل نكساتها ولم يتمني قلبها سوا
شيئًا واحدٍ فقط، هي تمنّت لو يرسله الله لها الآن
ليخرجها من هذا الكابوس كما أخرجها من الكابوس
السابق. لقد تمنّت وجود تلك السيدة مكحلة
العينين وهاتفها الصغير مرة أخرى لعلها تستطيع
الإتصال به مرة إضافية ليأتي إليها هنا ايضًا، ولكنها
كانت تدرك أن هذا لن يحدث، هي كانت تعلم أن
هذه الزنزانة ليست كالأخرى، فهذه الزنزانة حصينة
أكثر ويونس لا يملك مفتاحها. في صباح

اليوم التالي كان يجلس يونس أمام مكتب خالد
يتبادلًا الأحاديث معًا بعد أن أنتهي العمل الذي كان
عليه أن بنجزه منذ الأمس ولكن هذا لم يحدث
بسبب لقاءه بها، الساعة قد تخطت العاشرة صباحًا
وهو هنا منذ أكثر من ساعة، شرب عدة فناجين من
القهوة وهي لم تأتي بعد، لقد ظل هنا حتى هذا
الوقت ليراها ويرى حماسها لأجل أول يوم عمل فهو
قد سمع خالد يقول لسكربتيره أن تخبر ليلي بأن
تأتي إلى مكتبه فور أن تصل ولكن الجميع قد وصل
عداها وهذا ما لا يفهمه.

لقد أعتقد أنها ربما قد تأتي بخيمة وتجلس أمام
المكتب تنتظر الصباح ليأتي لتبدأ في العمل فقدت

بدت سعيدة للغاية لحصولها علي هذا العمل
ولكنها ليست هنا بعد، طرق صدر عن الباب جعلهم
يتوقفوا عن الحديث بعد أن سمح خالد للطارق بأن
يدخل ومن خلف الباب ظهرت سكرتيه التي قالت
من مكان وقوفها علي الباب : _ أستاذ خالد، ليلي
لسة مجدتش لحد دلوقتي رغم إني نبهتها بخصوص
موضوع التأخير دا. قال خالد صاحب النظرات بهدوء
: _ طب حاولتي تتصلي بيها. أومأت له السكرتيرة
وقالت : _ اه جربت أكثر من مرة بس تليفونها
مقفول. أشار لها خالد لتغادر بعد أن تركته مصاباً
بالحيرة من أمره وتركت الأخير يفكر بعمق عن سبب
ما يحدث، لما قد لا تجيب على هاتفها بل وتغلقه
وتتغيب في أول أيامها في العمل، بدون إرادة منه

بدأت ساقيه في التحرك بتوتر أخفاه داخله ببراعة،
وفي تلك الأثناء تحدث خالد بغرابة ظهرت علي وجهه
بوضوح : _ غريبة! حرك يونس رأسه متسائلاً وهو
يمثل الجهل عليه لعله يصل لأجابة على الأسئلة
التي اندلعت داخله كحرب عالمية ولم يحتاج خالد
أكثر من هذا ليثرثر حول الأمر معه : _ أحمد اقترح
عليا ليلي دي عشان تشتغل معايا لما قولتله
بالصدفة إني بدور على محامي، قالي أنها قربته
وشكر فيها وفي ألتزامها بس زي مانت شايف
مجدتش أول يوم. تحامل يونس علي نفسه ليخرج
صوته عاديًا وقال : _ اتصل بيه قوله ممكن يكون
حصل معاها ظرف طارئ أو حاجة وهو أكيد هيكون
عارف. أوما له خالد الذي لم يحاول أن يتصل به في

الحال، فيبدو أن لديه أشياء أهم ليقوم بها وهذا ما دفع يونس ليغادر متحججًا بأمر تأخره عن العمل، فمن كان ينتظرها لم تأتي ويبدو أنها لن تأتي اليوم، كان طريقه إلى السيارة بطيء لأنه كان منطويًا داخل أفكاره وهو يتمني أن يسرع خالد ويتصل بأحمد اليوم ليخبره عن تغييبها عن العمل، لأنه أن لم يفعل لن يستطيع أن يحافظ على سرها معه أكثر، سوف يذهب إليه ليخبره كل شيء حتى يصل للحظة الذي سوف يخبره بها أن يذهب ويطمئن عليها ومعرفة سبب تغييبها عن العمل الذي كان سبب في إبتسامة عيناها. لا يعرف يونس كيف مر يومه وحل الليل عليه، كان طوال اليوم يحاول أن يورط نفسه بأكبر كمية من العمل ليشغل عقله عن التفكير

بأمر فتاة الأعين السوداء، منع نفسه عدد مرات غير
محددة عن الإتصال بأحمد وقول كل شيء له فقط
ليصل لتلك النقطة التي تقلقه وتجعلها تحتل باله
منذ بداية اليوم، ولكنه يهدء عندما يذكر أنه وعدھا،
لقد وعدھا وإن كانت بخير لن تسامحه على نكس
وعده معها، ولكن مجددًا ينحرف عقله إلى تلك
النقطة، ماذا أن لم تكن بخير؟ _
متقلقيش يا نور، ليلي جت من الشغل تعبانة
ونامت وتلاقي تليفونها فصل ونسيت تشحنه.
تنهدت نور بهدوء بعد أن كان القلق يأكل قلبها منذ
بعض الوقت، فهي تحاول منذ عدة ساعات الإتصال
بليلى لتتأكد إن كانت بخير أم لا، وتسألها عن العمل
الجديدة وتثرثر معها ككل يوم ولكن هاتفها كان

مغلّقًا ولم يفتح لبرهة حتى وبعد أن اكتفت من
القلق إتصلت بوالدتها تسأل عليها ولكنها أخبرتها
أنها نامت بعد أن عادت من العمل، لا بد أن العمل
الجديد مرهق بالنسبة لها. _ تمام يا ماما خليها
نايمة بس لما تصحى خليها تشحن تليفونها وتتصل
بيا أنا هستناها، متنسيش والنبى. أنهت والدتها
معها المكالمة سريعًا وهي تعدّها بأن تذكرها بهذا،
رفعت عيناها عن الهاتف بعد أن أغلقته لتنظر في
أعين زوجها بأعين دامعة، ندمًا وخوفًا من عقاب
الله على ما تفعله بتلك اليتيمة المسكينة، أما عنه
فهو كان يجلس أمامها كالجلاد الذي يحذر من
ارتكاب أخطاء، نور لطالما كانت ألّمًا في الرأس
بالنسبة له، لا تستطيع أن تضع لسانها داخل فمها

لوقتٍ طويل وأكثر ما كان يكرهه بشأنها هو حبها
الشديد لليلي، وهذا حتمًا سبب تهديده لفاتن بأن
تخبرها بأي شيء، فإن أتت نور وزوجها شبيهه
القاضي ذاك لن يتركوه يهذب تلك المزعجة، لهذا
عليه أن يجد حلًا لأجلها بأسرع وقتٍ ممكن، وهو
بالفعل قد وجد الحل المناسب لها. بعضُ المعارِكِ
في خُسْرَانُهَا شَرُفٌ مَنَ عَادَ مُنْتَصِرًا مِّنْ مِّثْلِهَا إِنْهَزَمَا
تميم برغوئي.

———— Part Break ————

مشتت الفكر لن يكون قادرًا على الحياة براحة، تلك
الجملة دائمًا تجول داخل عقلي، فلم يسبق لي أن
رأيت أحد يفكر بأكثر من شيء واحد ويعيش هانئًا
بعقلٍ صافٍ، من لديه أكثر من علاقة حب أو صداقة
يكون مشتتٌ بين الجميع، لا يعلم ما يفترض به أن
يقوم به معهم جميعًا، لا يكون قادرًا على تحديد أي

واحدٍ منهم يستحق حبه اليوم، ويأخذه عقله في
جولة صاخبة من التفكير، جولة لن تنتهي إلا بأنتهاء
ما يشتهه. التشتت يأتي من الكلمات والأفعال أيضًا،
ففي بعض الأحيان يكون الإنسان مشتتًا بين
موقفين مختلفين أعطاهم إياه شخص واحد، مثل
أنه يحبه ولكنه لا يريد التحدث معه خلال هذه
الفترة، وفي أحيانًا أخرى يتشتت الإنسان بشأن
كلمات الآخرين المتناقضة مع أفعالهم، كقول
شخص بأنه يصدقك ولكنه يكون أول من يرفع
أصبع الاتهام نحوك، كشخص يخبرك من حوله بأنه
في حالة ممتازة ولكن في الأسبوع التالي تذهب
لزيارته في المشفى لأنه أراد إنهاء حياته. وكانت نور
من هؤلاء المشتتون خلال اليومين الماضيين،

تتصل بـ ليلي طوال اليوم ولكن هاتفها ما زال مغلق
كما كان، تحادث والدتها التي تخبرها بصوتٍ باهت
أن كل شيء على ما يرام وتخرج حججًا واهية
جعلت تشتت عقلها يصل إلى قمته، لهذا اكتفت
من الصمت، لقد اتجهت إلى غرفة نومها لتبادل
ملابسها لتتجه إلى منزل والديها الآن، ليلي لم يسبق
لها أن فوتت مكالمة لها ولكنها عاجزة عن التواصل
معهما منذ ثمانية وأربعون ساعة، ذلك لا يشير إلا
بحدوث شيءٍ سيءٍ معها. كانت تخرج الملابس من
خزانتها ولكنها توقفت بعد أن صدح صوت رنين
هاتفها في الغرفة، ركضت إليه لتري هوية المتصل
لعلها تكون ليلي التي تحمل في جعبتها تفسير
لغيابها طوال اليومين الفائتين ولكن هذا لم يحدث،

لأن المتصل كانت إحدى جيران نور التي تقع شقتها
مقابل شقة والديها، كانت سوف تتخطي المكالمات
وهي تعود لتفعل ما تفعله ولكنها قررت أن تجيب
قبل أن ينتهي هاتفها من الرنين، السيدة أم محمد
صديقة مقربة من والدتها لعلها تملك شيء مهم
لتخبرها به. أجابت نور وهي تلقي التحية عليها
ليأتي لها صوت أم محمد المضطرب من الجهد
الأخرى والتي بدأت تقول ما لديها بدون أن تضع
الوقت : _ ازيك يا نور يا حبيبتي، بصي امك لسة
خارجة من عندي وقالتلي أتصل بيكي اقولك على
اللي بيحصل عندكم وأنها كانت عايزة تتصل بيكي
تقولك بس ابوكي حلف عليها بالطلاق. جلست نور
على السرير بينما تمرر كفها على شعرها بقلق

وقالت متسألة : _خير يا طنط حصل أي؟ أجابتها
السيدة أم محمد علي الفور تلقي كلماتها شبيهه
الأحجار في وجهها بدون مقدمات : _ أبوكي اللي
ربنا يسامحه اديله يومين حابس ليلي بنت خالك في
اوضتها وواخذ منها التليفون، زياد اخوكي قاله أنه
مسكها نازلة من عربية واحد بيوصلها وهو صدقه
وحالف ما يخرجها من الأوضة والا بيأكلها والا
يشربها غير اللي يخليها عايشة.

ن تك... نهض نور من مكانها منتصبه بعد أن فارت
أعصابها من هول ما سمعته بعلي ما يبدو أن زياد
قد حصل على فرصته الأخيرة بالفعل وهي بداية
من الآن سوف تجعله يدفع ثمن أفعاله، أنهت

المكالمة سريعًا مع أم محمد بعد أن شكرتها على
أخبارها بما عملوا جميعًا جاهدين على إخفائه،
وخلال دقائق ارتدت أول شيء التقطته من خزانته،
أخذت مفاتيح شقتها وحقيبتها وغادرت وهي
تتصل بأحمد في طريقها إلى الأسفل وهي تركض
على الدرج تسابق نفسها لتصل إلى هناك بسرعة،
حيث الظالمون ينتظرون. لم تستطيع الإتصال
بأحمد الذي كان يحاول الإتصال بها بالفعل في ذات
الوقت، لتغلق هي أولًا تنتظر اتصاله في أثناء
انتظارها لمرور سيارة أجرة من أمام منزلها لتأخذها
إلى هناك وخلال دقائق فقط قد أوقفت سيارة
تاكسي لتصعد بها في نفس الوقت الذي أتاها به
إتصال أحمد الذي تلقته بسرعة، كانت سوف تحادثه

ولكنه من تحدث أولاً قائلاً : _ ايوة يا نور، خالد
صاحبي المحامى لسة قافل معايا وقالى أن نور
مراحتش الشغل اليومين اللي فاتوا، أنتِ عرفتى
توصليلها؟ أجابته نور التي لم تستطيع إخفاء التوتر
من وجهها أو نبرة صوتها واعطته ملخص سريع عن
الأمر : _ لا مكلمتهاش بس طنط أم محمد كلمتني
من شوية وقالتلي أن بابا حابسها ومانع عنها الأكل
والشرب وواخد تليفونها بس الحيوان زياد، شكله
اخترع حوار وقال انه شافها نازلة من عربية حد وبابا
صدقه. خرج صوت أحمد القلق أيضًا والذي قال
يسألها بينما يجمع أغراضه ايضًا : _ طيب أنتِ
فين؟، نزلتي وألا أعدي عليك؟ أجابته نور قائلة أنه
في سيارة الأجرة بالفعل وهو عليه بأن يلحق بها إلى

هناك فقط، هي قد اكتفت من أفعالهم مع تلك
المسكينة ولن تغادر إلا وهي معها وابيها لن يسمح
لها بهذا على الأغلب لهذا سوف تحتاج إلى أحمد
الذي أخبرها أنه سوف يساعدها عندما تكون عاجزة
عن التعامل مع الأمر. كانت هي في طريقها وأحمد
في طريقه إلى الخارج من مقر عمله ولكن للمفاجأة
قد وجد يونس يقف خارجًا بجانب سيارته يغلقها
ويبدو كما لو كان على وشك الدخول إليه، اقترب
منه يونس بلامح لم يستطيع أحمد تفسيرها، لم
تكن ملامحه العادية ولم يكن يبتسم أو حزين، هو
كان مضطرب و فقط. اقترب منه أحمد وهو يحرك
رأسه متسائلًا وعلى الفور تحدث إليه يونس قائلاً:
_ كنت جاية اقولك موضوع كدا، أنت مستعجل وألا

أي؟ أجابه أحمد وهو يأخذ طريقه إلى مقعد السائق

الخاص بسيارة يونس : _ مستعجل اه، قولي

الموضوع وأنت بتوصلني عشان عربيتي في الصيانة.

فتح يونس وهو يصعد ليجلس في مقعد السائق

وهو يسأل الآخر عن الوجهة وعلي الفور قام أحمد

بأخباره كل ما لديه :

_ على بيت حمايا المصون اللي ولا مريح وألا

مستريح. بدأ يونس يقود بالفعل واستمر في سؤال

أحمد عن ما يعكر مزاجه بتلك الطريقة ويجعله

مستعجل وهو يتمنى فقط ألا يكون للأمر علاقة بها،

فهو كان قد أتى إليه في عمله ليحدثه بشأنها بعد

منع نفسه ليومين بالكاد، فهو لم يعرف أي شيء

عنها منذ ذلك اليوم الذي كان به في مكتب خالد، لم
يكن يعرف إذا أخبر خالد أحمد بأمرها، لا يعلم أن
ذهبت إلى العمل في اليوم التالي، والأسوأ أنه لا يملك
رقم هاتفها ليسألها أن كانت بخير أم لا؟ _ حمايا يا
عم، حابس ليلي اديله يومين بسبب المتخلف أبنه
اللي مترباش ربع ساعة، قال ايه شافها نازلة من
عربية واحد. أتسعت أعين يونس علي وسعها
فالأسوأ الذي كان يتخيله قد حدث معها ولكنه لم
يدرك أنه السبب في ما يحدث وعلى الفور تحدث
قائلاً ما جعل أحمد يلتفت له بكامل جسده : _ دا
أنا يا أحمد، أنا اللي كنت معاها ووصلتلها. قال
أحمد وهو لا يصدق ما يسمعه : _ أنت كنت مع
ليلي ازاي مش فاهم؟ مرر يونس يده بين خصلات

شعره الفوضوي بعد يوم طويل وقال مبرراً : _
اتقابلنا صدفة في مكتب خالد كنت راичله في شغل
وشوفتها وهي خارجة عزمته علي فنجان قهوة
وروحته بعد كدا. أبعد أحمد عيناه عن وجه يونس
المتوتر وقال متسائلاً وهو يحرق في الطريق بشرود :
_ طب بما أنه كنت أنت تفتكر ليه زياد عمل الحوار
دا؟ أجابه يونس بالاحتمالين الذين لم يكن لهم
ثالث وقال وهو يعطي انتباهه إلى الطريق بعد أن
عادت ملامحه الجادة مرة أخرى بعد أن تم ذكر ذلك
الشاب الوضيع الذي لم يحبه ابداً : _ ياما هو
مشفهاش وهي نازلة من عربيتي اصلا وحد قاله،
ياما هو شافها بس هبد عشان يوقعها في مشكلة
مع أبوك. أوماً له أحمد الذي أكتفي بالصمت حتى

يصل إلى هناك ويتمنى ألا تصل نور قبله، فهي
تحب ليلي ولن يرضيها ما يحدث معها هناك وقد
تقوم بهدم ذلك المنزل علي رؤسهم جميعًا، وإن
وصل هو ورأي أن أحدهم قد تجاوز حدوده معها
سوف يساعدها بهدم ذلك المنزل ولن يسمح
لأحدهم بأن يخرج من تحت انقاضه حيًا.

..... صوت طرقاتٍ مرتفع على باب
المنزل أجبر فاتن أن تأتي راكضة من الداخل وهي
تضع حجابها فوق رأسها تحاول تثبيتته بكفيها، وهي
تتمنى أن يكون ذلك الطارق الشرطة أو ابنتها البكر
نور لأنهم هم وحدهم القادرين علي تخليصها من
عبيء ابنها العاق زياد الذي يدعمه والده على كل
أفعاله بلا مبرر، فتحت الباب لتظهر أمام عيناها نور

صاحبة الملامح الغاضبة التي أشعرتها بأن أحدهم
قد سكب عليها كوبًا باردًا من الماء لتهدئ أنفاسها
وأعصابها، فنور وحدها من تستطيع إخراج ليلى من
هذه الغرفة.

تخطتها نور التي اقتحمت المنزل بخطوات سريعة
كأن زلزال قد أصاب أعصابها اتلفها، اتجهت إلى غرفة
المعيشة حيث يجلس والدها الذي كان يسترخي في
مكانه بدون أن يهتم بمن الذي يطرق باب منزله
بهذه الطريقة ولكنه فور أن رآها تجمدت ملامحه
التي حاول أن يجعلها هادئة قدر الإمكان، ابعدت
ملامحها الغاضبة عن وجهه لتحقق في وجه زياد
الذي أصبح يقضي الكثير من الوقت في المنزل

على عكس العادة وهو يقوم بدور السجان علي
ليلى، التي كان يخشى بأن تأتي شقيقته في أي وقت
لتخرجها وها هو الآن ينظر إلى كابوسه الذي عبر
الباب للتو، أزال هاتفه منتظرًا ما سوف تفعله
وتقوله وعلي الفور سألت نور بعصبية وصراخ قائلة
: _ هي فين؟، عملتوا فيها أي؟ توجهت نور
بخطواتها إلى غرفة ليلى لتطرق الباب بخفة عدة
مرات لعلها تتلقى استجابة من الأخرى ولكن
الصمت كان الشيء الوحيد الذي قابلها، حاولت
فتح الباب عدة مرات ولكنه كان مغلق من الخارج
وهذا ما جعلها تتوجه بغضبها إلى غرفة المعيشة
مرة أخرى بعد أن تأكدت من ما وصل لها معلومات،
وقفت أمام أبيها هادئ الملامح التي علمت أنه

يزيف الأمر فعيناه تكاد تكون مشتعلة، فهي لطالما
كانت غير قابلة للسيطرة إلا بالطريقة الصعبة وها
هي الآن تقف أمامه بتحدي وقالت بينما ترفع كفها
أمامه : _ هات المفتاح يا بابا بعد إذنك. خرج
صوت حسن العصبي وهو يقول : _ أنتِ خليتي
فيها بعد إذنك يا نور، البت دي مش متربية
ومحدث هيجرجها من الأوضة دي غير بمزاجي
وبعد ما أربيها الأول. صوت ساخر خرج من فم نور
التي قالت : _ تربية!، أنت من أمتا بتعرف تربى؟،
أنت لو كنت بتعرف تربى كنت علمت ابنك
الخمورجي دا ازاي يحترم بنات الناس. ملأت
الصدمة وجه حسن وهو يسمع هذه الكلمات
الجريئة من فم ابنته للمرة الأولى والتي لم تتوقف

هنا بل استمرت قائلة : _ طول عمرك كنت بتيجي
عليا عشانه، طول عمرك مدلعه علي حسابي، كان
يضر بني واجي اشتكيلك تقولي اخوكي مفيهاش
حاجة، ولو جيت أنا اكلمه كلمة محبهاش كان
يضر بني هو وتكمل أنت عليا رغم أن أنا أكبر منه
بتلت سينين، أنت كنت بتخليه يدوس علي دماغي
بالجزمة وعلمتني أنا احترمه رغم أنه اوسخ خلق
الله. تقدم منها زياد بغضب وعروق وجهه ورقبته
تكاد تنفجر من شدة عصبيته وصرخ بها قائلاً : _
أنتِ بتتكلمي كدا ليه يا نور، أنتِ متعرفيش بنت
خالك المحترمة دي قالت عليا أي، دي قالت.... لم
تتحمل سماعه يتحدث أكثر، صوته بدا لها كأقذر
صوت يمكنها أن تسمعه في حياتها، لم تستطيع

سماع أكاذيبه أكثر وهي تخرج بتلك النبذة الحقيمة
الواثقة، لهذا وبكل ما تملك من قوة رفعت كفها
لتسقطه على وجهه تعطيه صفة قوية أدارت
وجهه إلى الجهة الأخرى وتجاهلت كل شيء وهي
تحقق في عيناه المذنبه، تجاهلت صراخ أبيها عليها
وهو يقترب من وجه عزيزه الصغير يفحصه
وتجاهلت شهقة والدتها المفزوعة من الحرب التي
دارت فجأة في الغرفة. اقترب منه نور خطوة وهي
تناظره بتحدى وتشفي : _ فرحت أنها قالت عشان
لو مكنتش قالت هي كنت هقول أنا، ولو عايزين
تصدقوا أو لا بس اللي ليلى قالته حصل، خليك
راجل زي ما بتقول على نفسك واعترف. سقطت
فاتن متهاوية على إحدى المقاعد بعد أن إنتهت

نور من التحدث، هي كانت واثقة من براءة ليلي من
التهمة التي ألصقها زياد بها ولكنها لم تتخيل أو
تضع احتمالاً بأن ما قالته بشأن فعلة أبنها الدنيئة
حقيقية، ولكنها تسمع الأمر الآن من فم فتاتها
الكبرى التي تثق بكلامها كثقتها في عيناها، نبذة نور
الواثقة ونظرات زياد التي اهتزت بتوتر بعد أن تبخر
غضبه جعلتها تدرك أن ما قالته ليلي بهذه الشأن
حقيقي، لم تستطيع تمالك نفسها ودموعها وهي
تذكر ربها بهيستيرية مستغفرة، بينما تضرب كفيها
بساقها بحسرة على فشلها في حماية ابنة أخيها
الوحيدة. كان زياد ينفي برأسه وهو أن يقنع نفسه
قبلها أنهم لا يقصدوا الأمر ذاته ولكنها اطبقت على
تلايب قميصه وقالت بتوعد بينما ترجمه بين يديها

كأنه خرقة بالية بلا فائدة : _ فاكِر إن محدش كان
هيعرف صح، فاكِر أنك هتلتزقها فيها في الآخر بعد ما
فشلت تطول منها شعرة صح، بس بعينك يا زياد،
بعينك يا أبْن أبويا وأمي، وحيَاة اللي خلقك يا زياد
لندمك، هندمك على كل لحظة خوف عاشتها
بسببك وزِي مانا غلطت وكنت السبب اللي خلاك
واقف قدامي دلوقتي ببجاجة وبتشوف نور الشمس
معنديش أي مشكلة أني اصحح غلطتي. وخلال
تلك اللحظة ومع إنتهائها من الحديث ظهر أحمد
ويونس من خلفها بعد أن عبروا الباب التي تركته
فاتن مفتوح عن غير قصد، تبادل أحمد النظرات مع
يونس وهم ينظروا إلى حالتهم جميعًا، الشك أكل
قلوبهم بعد أن سمعوا عدة جمل من تهديدات نور

إلى شقيقها صاحب الوجه الأحمر من إحدى جانبيه
والتي ما زالت تمسك بملابسه بين يديها، لم يفهم
أي واحدٍ منهم ما هو مجري الحديث بينهم ولكنهم
فقط أدركوا أن ما يحدث بين ليلي وزياد أكبر من
أمر سيارة الرجل الغريب التي تزعمها زياد، وأيَّ كان
ما يحدث ف نور على علم به. أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِ
السَّفِيهِ، فَكُلُّ مَا قَالَ فَهُوَ فِيهِ مَا ضَرَّ بَحْرَ الْفُرَاتِ
يَوْمًا، إِنْ خَاصَّ بَعْضُ الْكِلَابِ فِيهِ. الإمام الشافعي

———— Part Break ————

ن تك... الشك الذي يصيب قلب الإنسان يأكله
باردًا نيئًا، فأَنْ شك الإنسان بشأن شيء لن يستطيع
أن يصدقَه مرة أخرى، لن يستطيع أن يصدق صوت
عقله أو صوت قلبه أو حتى صوت روحه، كل ما
سوف يصدقَه وقتها سيكون شكّه، إن شك أحدهم
في حبيبه أو صديقه فالمشاعر بينهم سوف تجف
وتزبل كزهور فصل الخريف، ولن يتبقي لهم من
علاقتهم سوا غضب ونفور وعناد. السقوط في دائرة

الشكوك كالسقوط في مغارة مظلمة وجميع
مخارجها محاطة بمتاهة لا نهاية لها، ولا يوجد علاج
للقلب المصاب بالشك فهو مرض خبيث لن يعالج
إلا ببتير تلك العلاقة، ولكن ماذا أن شك المرء بشأن
شيء لن يستطيع بتره أو التخلص منه، ماذا أن
شك الإنسان بشأن واقعه؟، ماذا أن شك بشأن
الأصوات الذي يسمعها وبشأن حقيقه ما يحدث
معه؟ وأجابة هذا السؤال هي الدمار، فدمار الإنسان
يبدأ عندما يشك في واقعه وتهتز صورته في عيناه
حتى يصبح ظلًا مهمشًا بلا ملامح، ووقتها سوف
يصيبه الشك بشأن وجوده. أما عن المصاب
بالشكوك فقد كانت ليلي وحدها، هي تتسطح على
فراشها ملتفة بالغطاء الخفيف خاصتها كالشرنقة، لا

يظهر بها شيء سوا رأسها، هي مستيقظة منذ وقتٍ
مبكر من اليوم فهي قد أعادت على الذهاب إلى
العمل في هذا الوقت من الصباح وحتى بعد أن
توقفت عن الذهاب إليه فهي قد استمرت في
مغادرة المنزل في ذات الوقت، كانت شاردة وهادئة
منذ أن حصلت على تلك الصفعة وتم حبسها في
غرفتها، لا يعطيها حسن إلا القليل لتأكله وتشربه
ولم تتذمر بشأن هذا أيضًا. لقد اكتفت بالهدوء
كموقف لها لأنها ليست يائسة لتتوسل زياد ووالده
ليفرجوا عنها، حتى وإن ماتت داخل تلك الغرفة لم
تكن لتطلب منهم كوبًا من الماء ولكن عليهم فقط
أن يتحملوا ذنب ما تعانيه بسببهم على أكتافهم، لم
تضع اللوم علي عمتها فهي تدرك أنها كانت تعيش

في جحيم مع ذلك الرجل منذ أن تزوجته، ثم لاحقًا
زاد زياد عليها الأمر صعوبة فعمتها على عكس
زوجها كانت تدرك وتقر بالفساد الذي يسير في
عروق أصغر أبنائها بدل الدماء ولكن لم يكن بيدها
شيء لتقوم به إن كان أبيه يعجبه ما أصبح عليه
ابنه. وهي كانت دائمًا لا تملك حيلة، لا تملك حيلة
لتنقذها منهم الآن ولم تكن تملك حيلة سابقًا لتنقذ
نور من بين انيابهم وقبل هذا بأعوامٍ طويلة لم يكن
لديها حيلة لتنقذ نفسها من قبضة حسن البغيض،
والشخص الوحيد الذي كان يملك حلًا لها ومفتاحًا
لنزاعاتها قد تخلي عنها بعد أن كبلها بأصفاد العادات
والتقاليد، هي تذكر عدد المرات التي أتت بها عمتها
فاتن إلى شقيقها الوحيد والكبير سليمان طالبة

العون منه على عبئها ليخلصها ولكنه كان يردها
خائبة في كل مرة. أتت إليه في كل حالاتها الصعبة،
أتت إليه بعد أن تعرضت لضربٍ مبرح من حسن
الذي لم يشفق على ضعفها كامرأة ولم يهتم بها أو
بأطفاله الذين يشاهدوا الأمر بلا حول ولا قوة، أتت
إليه بعد أن سبها حسن بكل فردٍ حي وميت من
عائلتها، وأتت إليه بعد أن فضل عليها نساءً لا
يملكوا من الشرف ذرة، بكت إليه وأخبرته أن
يطلقها، أخبرته أنها لم تعد تتحمل وأخبرته أنها قد
اكتفت من أفعال زوجها بها ولكن في كل مرة كانت
إجابة شقيقها واحدة، كان يخبرها أن المرأة لا تملك
في هذه الحياة منزل سوى منزل زوجها، كان يخبرها
أن الطلاق شيء لا يصح وأنها يجب أن تتحمل من

أجل أطفالها، وأن المجتمع سينظر لها على أنها
حثة لا تستحق أنفاسها.

وحتى الآن ما زالت تذكر نظرات عمته لها بعد أن
يعطيها ذات الإجابة في كل مرة، كانت تنظر له كأنها
تدرك أن أول من سيلقي بتلك النظرات عليها
سيكون هو، شقيقها مصدر أمانها الوحيد الذي
يخذلها ببراعة، كانت تدرك أنه يرفض تطليقها لكي
لا تكون عبثًا على كاهليه هي وأولادها وكانت
تشاركها الألم وهي تغادر لتعود لذلك الجحيم، كانت
تفكر بها كثيرًا وبما سيقوم به حسن معها المرة
القادمة، وفي كل مرة كانت تخشى عليها منه، كانت
تريد أن تذهب إلى أبيها لتخبره أن يطلقها منه، كانت

تريد أخباره أنها سوف تشارك غرفتها مع أولاد
عمتها بكل سرور وعندما كبرت أكثر أكثر أرادت
أخباره أنها سوف تعمل لتساعده ولن تترك العبء
عليه ولكن لينقذها فقط. أرادت أن أن تصرخ به
عندما فاض بها الأمر أن طلاق شقيقته أفضل من
موتها علي يد مريض كحسن ولكنها لم تفعل، لأن
الأطفال حتى إن بلغوا الأربعون من عمرهم لا يجب
عليهم أن يتدخلوا بما يخص الكبار، والآن هي
هنا...تشاهد ما يقوم به حسن بعمتها الرقيقة فاتن
عن قرب، تسمع بكائها الخافت بأذنيها بعد أن كانت
ترى اثاره على عيناها الجميلتين التي اهنكهما
البكاء ، وتسمع سبابه لها بأذنيها بعد أن كانت
تسمعه في حديث عمته. والآن باتت هي من تبكي

أسفل سقف منزل حسن نفسه، لعل الأمر صدفة
أو لعله القدر فالصدفة أيضًا جزء من القدر، ولكنها
الآن حبيسة زنزانة حسن نفسها الذي رفض أبيها أن
يحرر عمتها منها، هي تتمنى أنه يستطيع أن يرى
هذا وإن لم يكن يرى فهي تتمنى أن تلتقي به
عندما تذهب إليه، تريد أن تقف أمامه وتخبره أنه لم
يكن عادل مع شقيقته وأن ظلمه هي من تدفع
ثمنه الآن ولا أي شخصٍ آخر عداها، تريد أن تخبره
أن العقوبة الإلهية تحققت حتى بعد موته
فالسكوت عن الحق إحدى أنواع الظلم. كانت
تقضي ساعات يومها تفكر في ما حدث وما يحدث،
تفكر بالأحداث الجميلة التي حدثت معها قبل أيام،
ك حصولها على عمل، وكلقاتها بصاحب أعين القهوة

مرتين متتاليتين بعد خمسة أعوام من الهروب من
ظله، وبدون أن تنتبه قد سقطت في دوامة من
الشك، هي شعرت بالشك بشأن هذه الأحداث ولا
تصدق أن هذا قد حدث معها هي، ف ليلي دائماً
سيئة الحظ في كل العصور والأزمان، فيوجد ليلي
أكلها الذئب الذي وثقت به، ويوجد ليلي أخرى أحبها
أحدهم حد الجنون ولكنها لم تحصل عليه، أما عنها
فهي تطارد الحياة بقله حيلة ولكن الحياة تنبذها
وتتهرب منها لتخبرها أن هذه الغرفة هي كل ما
لديها والكوابيس فقط ما يمكنها أن تزورها بعد أن
تنام، ففي قاموس ليلي لا وجود للأحلام. ولكنه
هنا... الحلم هنا، لقد أتى صوته لها يسحبها من
كابويس عاشته وهي مستيقظة وجعلها لأول مرة

بأهتمام توجه أنظارها ناحية الباب لتسمع ما يحدث
في الخارج، لقد كانت نور في الخارج منذ بعض
الوقت تصرخ علي كل من يقع نظرها عليه ولكن
ذلك لم يكن كافي ليجذب انتباهها، ولكن وجوده
الذي دعت بكل ذرة إيمان في قلبها أن يحدث وكانت
متيقنة بكل ذرة حزن داخلها أنه لن يحدث قد حدث،
فيونس هنا وهو يحارب ليحصل علي مفتاح زنزانة
أخرى كانت هي تنتظره خلف قضبانها.

..... تركت نور تلابيب قميص زياد وهي
تدفعه كأنها قد امسكت كيس قمامة عن غير قصد،
تراجعت إلى الخلف عدة خطوات تقف بجانب أحمد
الذي كان ينظر إلى وجوه الجميع كحال يونس جاد

الملاح، هي توقفت عن تهديه متمنية ألا يكون
أحمد قد سمع ما قالته فما زال الوقت مبكرًا ليدفع
زياد ثمن أخطائه وما زاد الأمر سوءً أن يونس قد
حضر من اللا شيء أيضًا وإن ظهرت حقيقة زياد
أمامهم لن يحاول أبعاد أحمد عنه بل قد يقتلوه
سويًا، نظرت نور إلى أحمد بعد أن حاولت تهدئة
نفسها وقبل أن يسأل قالت نور مشتتة تفكيرهم
عن أي أفكار أخرى : _ محدش فيهم راضي يديني
مفتاح الأوضة. تقدم أحمد خطوة من حماه مترقب
الملاح وقال بهدوء وهو يمد يده له : _ المفتاح يا
عمي بعد إذنك عشان مضطرناش نكسر الباب.
اشتعلت ملاح حسن بغضب مرة أخرى ونظر إلى
ابنته التي تقف بوداعة كأنها لم تقوم بأعادة تأهيل

هذا المنزل قبل لحظات : _ كدا يا نور، جيتي
وجايبة العصابة دي معاكي وعايضة تكسري بيتي!
لم تتحدث إليه نور أو رفعت عينها به، هي كانت
تنظر إلى حيث غرفة ليلي بلا مبالاة كأن الأمر لا
يعنيها، كأنها تخبره بلغة الصمت أنها قد إنتهت من
الحديث وعليه أن يتحدث مع زوجها الآن ويا حبذا لو
يرفض اعطائه المفتاح، سوف تري مشهداً رائعاً
لأحمد وهو يستخدم قواه ليكسر ذلك الباب،
فطباعه الهادئة تجعل من تلك المشاهد النادرة
مميزة بالنسبة لها. استشاط حسن غضباً وما جعله
يصل إلى ذروته هو أحمد الذي حرك كفه أمامه
يسأله اعطائه إياه بالحسنة وبأنه يكاد يفقد صبره،
وضع يده داخل جيب سرواله المنزلي ليخرجه لهم

ولكن زياد الذي امسك يديه يمنعه من اخراجها
ليبقى المفتاح مع أبيه تحدث معترضًا وهو ينظر
لهم بتحدي، وأكثر من حصل على تلك النظرات
الحقيرة منه كانت نور التي يدرك أنها صمتت لقلقها
علي زوجها، فهو في خطر أن قام زياد بأذيته او قام
هو بأذية زياد : _ مظنش أن الموضوع يخصك أنت
وصاحبك يا جوز أختي، فأحسنلك تأخذه وتخرج
عشان ليلي مش هتتحرك خطوة من هنا. أغلق
أحمد يده التي ما زالت تحلق في الهواء لتتشكل
على هيئة قبضة يحاول أن يخرج غضبه الذي
اشتعل خلال ثواني داخلها، فهذا الشيء الذي يقف
أمامه يستطيع إتلاف أعصابه بسرعة خارقة لم يصل
لها أحد قبلاً، كان يفكر للحظة بأن ينهال عليه ضربًا

بعد أن وجد سببًا ليفعل أخيرًا ولكن يونس الذي
سحبه من ذراعه عدة خطوات إلى الخلف ايقظه
قبل أن ينفذ ما يفكر به ويرتاح. انصاع هو مع
سحب يونس له إلى الخلف والذي أعطاه نظرة
سريعة كأنه يخبره - أعرف ما تفكر به ولكن لا
يمكنك أن تفعلها الآن - وعاد ليقف في الخلف
بهدهوء بجانب زوجته التي تربع ذراعيها بينما تراقب
بهدهوء مماثل وأعين غاضبة، أما عن يونس فهو قد
اقترب من زياد متجههم الملامح ووقف أمامه تمامًا،
وضع إحدى كفيه داخل جيوب بنطاله الجينز الأسود
أما الأخرى فهي استقرت علي صدر زياد حيث
قميصه المجدد التي كانت تقبض عليه نور قبل

قليل، وبهدوء قام بتهذيب قميصه له وهو يسحق

: غرور عيناه بنظراته الجادة والشبه غاضبة

_ في حاجات كثير مكنتش تخصني بس أدخلت فيها

عشان خاطر نور، حاجات كانت تخليك في السجن

لحد ما أحفادك يكونوا قدك، فعادي يعني أدخل

مرة كمان ، فيعني أنا شايف أن احسنك تخرج

المفتاح دا بمزاجك بدل ما نكسر الباب وناخذها

غصب عنك وهيبقا شكلك وحش ومش هتعرف

تعمل حاجة اصلا فاهمني؟. أدار يونس وجهه ينظر

إلى حيث أحمد وقال بابتسامة جانبية علت وجهه :

_ وألا أنت شايف أي يا أحمد؟ أوماً له أحمد الذي

وجد أن كيفية تعامل يونس مع الأمر تبدو ممتعة

أكثر من لكمه حتى الموت ولهذا أجاب بسخرية
ممائلة وهو يوافق بهزة من رأسه وهو يسند كتفه
علي الحائط بجانبه : _ الصراحة دا اللي أنا كمان
شايفه، هيبقا شكله وحش فعلاً. أوماً له يونس وهو
يعيد رأسه إلى حيث زياد الذي يقيد غضبه داخله
وإلا سوف يلکم ذلك اليونس مهشماً وجهه الواثق
ذاك ولكنه يدرك أنه أن فعل لن يرى ضوء الشمس
قريباً أو ربما لن يراه مرة أخرى، نظر إلى ابيه كأنه
يرغب بأن يعترض مرة أخرى ولكن حسن قد اكتفي
من هذه المهزلة ووجود يونس بينهم وحديثه الذي
كان يحمل تهديد صريح إلى زياد اربكه، وبدون
لحظة تفكير إضافية أخرج المفتاح من جيبه ليشهره
أمام جسد يونس، ابتعد يونس من أمامه عدة

خطوات يترك مساحة كافية لنور التي على الفور
لبت نداءه الصامت واقتربت تأخذ مفتاح الغرفة منه
بغضب وعلي الفور أخذت خطواتها إلى الغرفة حيث
ليلي التي اعتدلت عن السرير وهي لا تصدق أنها
سمعت صوته. فور أن عبرت نور إلى الغرفة
وأغلقت الباب خلفها ركضت تعانق ليلي التي
قابلتها بعناقٍ قوي مماثل لخاصة الأخرى وبحب
جلست تعانقها بينما تعتذر منها على ما أصابها
منهم مرة أخرى، مسحت علي شعرها عدة مرات
تنتظرها أن تبكي ولكن الأخرى لم تفعل، لقد
اكتفت من البكاء وباتت دموعها حَجَرًا في عيناها. لم
تتحدث نور بأي شيء معها ولم تسألها عن رأيها
هذه المرة، وعلى الفور نهضت تسحب إحدى

ملابس خروج ليلي تعطيها لها وهي تساعد
لتنهض لتغيير ملابسها حيث الحمام التابع للغرفة،
وفي الأثناء التي لبث ليلي النداء بها أخذت نور عدة
أطقم من ملابس ليلي وهي تدسهم في حقيبة
صغيرة يسهل حملها، أخذت أموالها التي جمعتها
من عملها وأخذت ما تبقي من ذهب والدتها التي
كانت تعلم أين تخفيهم ليلي ووضعتهم في الحقيبة؛
لأن السرقة ليست شيء لا يقوم به زياد. خرجت
ليلى بعد أن ارتدت ثيابها واتجهت إلى حيث المرأة
لتقوم بوضع الحجاب على رأسها تخفي شعرها
أسفله، وفي تلك الأثناء خرجت نور تجلب لها حذاءها
من الخارج لتعود به إليها مرة أخرى وبعد خمسة
عشر دقيقة كانت ليلي جاهزة لمغادرة ذلك المنزل

بلا عودة كما وعدتها نور، أخبرته أنها سوف تبقى
لديها عدة أيام حتى تجد لها منزلًا كما تمنّت سابقًا
وحينها سوف تأتي مع أحمد ليجلبوا لها كل ما تبقى
من أشياءها، لقد وعدتها أنها لن تخطو هذا المنزل
مرة أخرى وسوف تعمل هذه المرة علي تنفيذ
وعدها لها. فتحت نور باب الغرفة تجذب الأنظار
إليها مرة أخرى، نظروا جميعًا إلى باب الغرفة بهدوء
ومن خلفها ظهرت ليلي الهادئة بطريقة مرعبة كما
ظهر الأمر داخل عقل كلٍ من أحمد ويونس، فكل
واحدٍ منهم قد توقع أن تكون تبكي أو حتى أثار
البكاء بادية عليها ولكن هذا لم يحدث، اقترب أحمد
منهم يحمل الحقيبة عن زوجته وهو يتجه إلى
الأسفل بعد أن اختار أن يظل هادئًا ولا يلقي التحية

حتى، فرُغم أنها لم تكن تبكي كان يدرك أن وضعها سيء. أما عن يونس فهو ما زال يقف في مكانه وهو يحدق في وجهها الصافي وعيناها السوداء، ينتظر أن تلتقي عيناها التي كانت سعيدة عندما نظر بها في المرة الأخيرة به ولكن هذا لم يحدث، لقد تجنبته كما لو كان غير موجود، نظرت إلى كل شيء في الغرفة عدا، وهذا ما أشعره أن الشمس التي أشرقت داخله بفضل ابتسامتها قد اختفت مع الغروب ولن تشرق مرة أخرى كظاهرة نادرة لا تأتي إلا كل مليون عام. لا السيفُ يفعلُ بي ما أنتِ فاعلهُ، ولا لقاء عدوي مثلَ لُقياكِ. لو باتَ سهمٌ من الأعداءِ في لِيدي، ما نال مِنِّي ما نالتهُ عيناكِ. المتنبي.

———— Part Break ————

جميع أركان العالم من دولٍ عظمي إلى مدن كبيرة
حتى الأحياء الفقيرة عبارة عن أسقف، وأسفل كل
سقف لا يوجد إلا أناسًا. أناسًا لديهم حيوات مختلفة،
أعباء مختلفة وأحلام مختلفة وأهداف مختلفة،
ولكن الهدف الرئيسي الذي يتشارك به الجميع هو

الحياة، الجميع يرغب بأن يحيى وهو يحافظ على
شعلة الأمل الصغيرة داخله مشتعلة، قد تتقاطع
سبلهم في أثناء حياتهم بطريقة سطحية أو عميقة
تخلف ندبة أو زهرة ولكنهم في النهاية لا يبحثون إلا
عن الراحة أثناء حياتهم. الراحة التي قد ينالها
البعض فور أن يولدوا بعد أن يجد الطفل نفسه
ينشأ بين عائلة طبيعية من أبٍ وأمٍ محبوبين
سيخرجونه شخصًا سويًا يمكنه أن يواجه المجتمع
بشجاعة، يمكنه أن يحقق أحلامه بلا خوف ويمكنه
أن ينجب المزيد من الأطفال الطبيعيين بعد أن
يتترك داخل قلوب من حوله الكثير من الزهور،
ويوجد من لا تساعد الظروف ليكونوا طبيعيين،
فالعلاقة التي يرغب والديه أنفسهم علي الاستمرار

بها قد تدمره وتدمر فرصته ليكون شيئًا مهمًا وفردًا
صالحًا في المجتمع، وكل ما يعطيه للناس وقتها هو
الندوب. ليلى باتت تملك ندبة من هذه الآن داخل
قلبها، ندبة صنعها زياد الذي لم تكن عائلته سوية
بما يكفي ليكون طبيعيًا، وخلفها أيضًا حسن الذي
لا بد أن طفولته كانت كارثية، وها هي تغادر منزله
بحزنٍ كامن داخل قلبها كما دخلته قبل خمسة
أعوام، تجلس داخل سيارة يونس التي صعدت إليها
مرتين من قبل ولكن هذه المرة مختلفة، فهي
تجلس في الخلف بجانب نور التي تقبض علي يدها
تعطيها القليل من شعور الأمان بعيدًا عن المقعد
الذي بجانبه حيث يجلس أحمد. هو يوجه أنظاره
إليها من وقتٍ لآخر عبر المرأة التي أمامه، هي تشعر

به ولا أحد يشعر به مثلها ولكن رغم هذا لم تلتفت
إليه، لم تبادله النظرات كما صرخ بها قلبها أن تفعل،
هي فقط استمرت في تجاهله وهي تنظر من النافذة
إلى الشوارع والأشخاص الذين يسرون به، كان
يضرِب سبابته بعجلة القيادة كلما توقفت سيارته
بسبب زحمة السير، كانت تسمع هذا الصوت
الخافت منه والذي أعتقده لها، أعتقده يصنع ذلك
الصوت الطفيق لتتنظر له حتى وإن كان عن طريق
الخطأ. ولكنه كان حاصلاً على انتباهها بالكامل حتى
وهي تتجاهل النظر إلى محياه الوسيم ولهذا لم
تسقط في فخ حركته وفخوخ عيناه، توقفت السيارة
بعد بعض الوقت أسفل منزل نور وأحمد وعلى
الفور خرجت نور وهي تحمل الحقيبة الخفيفة معها

وخرجت ليلي من جهتها بدون أن تودع عيناها عيناها.
صعدت مع نور التي عادت تمسك يدها مرة بعد
أن ودعت يونس وشكرته على هذا اليوم ، لم ترى
ماذا حدث معه أو أين ذهب بأحمد الذي غادر
بسبب وجودها ولن يعود إلا بوقتٍ متأخر من الليل،
وقد لا يعود أيضًا لكي تشعر بالراحة أسفل سقف
منزله، أخذتها نور إلى الغرفة الإضافية في منزلها بعد
أن صعدت بها في المصعد، تركتها مع حقيبتها هناك
وركضت إلى المطبخ وهي تبدأ في تحضير الغداء
المفضل من أجل تلك التي قام والدها بتجويعها
منذ يومين.

..... _ لا يا باشا متجيش عندي بقولك أنا

بطرديك مقدم، أنا مراتي حامل ومش عايز اتعبها
ومش عايز أروق الشقة بعد ما تغور. كاد أحمد أن
يقوم بسبب تؤامه على تصرفاته الحقيرة التي بدأت
منذ أن عرف بخبر حمل زوجته ولكن صوت الصافرة
التي صدرت عن الهاتف أخبرته أن مروان قد أغلق
الهاتف في وجهه، قام بسبه بصوتٍ خافت ثم وجه
أنظاره إلى يونس الذي ما زال يجلس في مقعد
السائق وينتظر أن يقبل أحدهم باستضافة أحمد في
منزله، نظر يونس إلى أحمد الذي أغلق هاتفه
والتفت إليه ينظر لها بوداعة وهو يرمش عدة مرات
لعل مظهره يكون بالوداعة الكافية ليقنعه بما يريد
منه، وبالفعل يونس كان يريد أن يقهقه علي مظهره

الوديع الذي يليق بطباعه الهادئة، وفور أن نظر له
يونس بتلك الأعين المبتسمة قال أحمد : _
وصلني عند أمي بقا يصاحبي ويكون كتر خيرك،
ماهو الواحد مننا ملهوش إلا أمه في الآخر . قال
يونس علي الفور بعد أن بدأ بتشغيل سيارته ليأخذه
إلى حيث والدته التي تعيش بمفردها بعد أن زوجت
أبنائها الوحيدون، : _ أنت مشتريني يا أحمد، لو
ممضيني على عقد قولي يعني. قهقهه أحمد عليه
وهي يكتفي بالصمت، لم يأخذ الطريق إلى منزل
والدته طويلاً فهي أقرب من منزل أحمد عن منزل
مروان، قام أحمد بتوديع يونس لؤهم مغادراً سيارته،
أغلق الباب من خلفه ولكن يونس أوقفه ليعيده
إليه مرة أخرى ويحادثه من نافذة السيارة وقال ما

لم يتوقعه أحمد قط : _ ما تجيب رقم ليلي. حذق
أحمد به بلا ملامح تذكر، لا يفهم ما يحدث مع
يونس اليوم فهو يبدي إهتمامً غريبًا ومفاجئًا ب ليلي
الذي أعتقد أنه لا يتذكرها سابقًا، هو كان ليبرحه
ضربًا الآن إن لم يكن صديقه الذي يثق به والذي
رباه والديه جيدًا، وهو يعرف أيضًا أن يونس قد فقد
إهتمامه بالنساء بعد أن غادرت الوحيدة التي
حصلت على إهتمامه من بينهن جميعا، والآن هذه
التصرفات المريبة منه لا تفعل شيء سوى تشتيت
أحمد الذي ما زال يحدق به بصمت كأنه ينتظر من
الآخر أن يكمل مقدمًا سببً له، سببًا يقنعه. وعلي
الفور فهم يونس متوتر العينين والذي أستمر في
الحديث مبررً : _ متفهمش غلط أنا بس كنت عايز

اعتذرلها عشان اللي حصلها كان بسببي وبسبب أني
أصريت أوصلها رغم أنها رفضت وكدا. لم يصدق
أحمد الأمر ولم يقنعه سبب يونس الواهي ولكنه
على مضض أخرج هاتفه بهدوء وهو ينظر إليه
بأعين ضيقة مشككة وبدأ في اعطائه الرقم لعله
يعرف إلى أين سوف تأخذه هذه الأفعال، وعلى الفور
أخرج يونس هاتفه يتلقي رقم هاتفها منه قبل أن
يغادر أحمد بصمت، و بهدوء غادر يونس إلى منزله
وهو يفكر، أيتصل بها أم يراسلها فقط؟ وبعد ساعة
كانت تجلس ليلي على السرير المريح في الغرفة
الإضافية في شقة نور، تناولت طعامها التي أعدته
الأخرى لها بحب وحصلت على حمام وغيرت ثيابها
إلى أخرى منزلية وها هي تتجه إلى النوم رغم أن

الليل ما زال في بدايته، كانت تنسدل أسفل الغطاء
الخفيف ولكن هاتفها الذي لم تتركه نور لأبيها قاطع
لحظة الهدوء خاصتها بعد أن ارتفع صوت رنينه
الخافت في الانحاء، ألتفتت ليلي إلى الطاولة تحمله
من عليها وتنظر لترى هوية المتصل وقد كان رقمًا
غير مسجل في هاتفها وعلى الرغم من هذا ولكنها
..تعرفت عليه

أنه يونس يتصل بها، توسعت أعيناها الذابلة على
وسعها وهي تعتدل بسرعة جالسة على السرير،
كانت الغرفة مظلمة ولا شيء واضح منها إلا هاتفها
الذي يعكس ضوءه على عيناها، رمشت مئة مرة
وهي تعيد قراءة الرقم داخلها لعلها مخطئة، ولكن

لم تكن كذلك فما هو يتصل بها يذكرها به مرة
أخرى، بعد أن حاولت أن تتناساه وعيناه، من شدة
تفكيرها بكل شيء يخصه أثناء رنينه كادت
المكالمة تنتهي ولكن في اللحظة الأخيرة حركت
أصبعها علي الشاشة وهي تقبل تلقي مكالمته
بكل سرور. وضعت الهاتف علي اذنها ليأتي لها
صوته الذي أصبح له مكان في قائمة الأشياء التي
ستحب سماعها إلى الأبد كسنفونية ولدت في قلب
روما، ألقى عليها السلام ليحييه قلبها قبل لسانها
وبعد السلام عقدت الألسنة ولم يجد أي منهم شيء
ليقلوه، هو لم يُعرف عن نفسه وهي لم تسأل عن
هويته، كان يعرف أنها تعرفه وكانت تعرف بأن
تجاهلها له أزعجه، وبعد لحظات من الصمت فكت

عقدة ألسنتهم في الوقت نفسه بعد أن وجد كل واحدٍ منهم نقطة مثالية لیبداَ بها الحديث : _ أنا أسف. _ أنا أسفة. اعتذارها له جعله ينتصب في جلسته مستغربًا فلما قد تعتذر له ورقة الخريف، أما عنها فهي كذلك لم تكن تعرف ما الذي يعتذر بشأنه صاحب قناع البطل الخارق.. ولكن اعتذاره، تلك النبذة المسترخية منه واختياره للاعتذار كبداية لحديثهم، تلك الأشياء بأكملها جعلتها ترغب بالبكاء حتى تنقطع أنفاسها، رفعت عيناها إلى الأعلى وهي ترمش لعل دموعها تمتنع عن النزول وفي تلك الأثناء قال يونس يوصل إليه الغرابة في قلبه : _ أنا عارف أنا بعتذر علي أي، أصريت أوصلك وكل اللي حصلك بسببي، أنتِ بقا بتعتذري علي أي. في أثناء

محاولتها لمنع دموعها من التدفق ابتسمت على
تفكيره، أنه يبدو كطفل صغير يحمل نفسه ولعبته
ذنب دخول والدته في نوبة عصبية هستيرية، وبهدوء
يناسب الأجواء من حولها قالت : _ عشان تجاهلتك
النهاردة رغم إنك جيت علشاني، بس.. أنا لو كنت
بصتلك كنت هعيط ومكنتش عيزاهم يشوفني
بعيط. كان يمكنه سماع صوتها الهادئ بوضوح، كان
يستطيع أن يميز أنها تحاول منع نفسها من البكاء
بصعوبة وهذا جعله فقط يحزن عليها وهو يتسأل
لما يحدث معها هذا، إنها تبدو ألطف من أن تعيش
كل هذه المأسى، عيناها أجمل من أن تبكي كل
هذه الدموع ولكنه كان يدرك أن الدموع تجعله
المرء يشعر بالراحة، فابيه كان يخبره دائمًا أن يبكي

في أي وقت يشعر به أنه يريد البكاء ثم في اليوم
التالي يمكنه أن يعود ليكون الرجل الصلب الذي
يعرفه العالم، ولهذا قال لها أن تبكي، أخبرها أنه لا
بأس في البكاء الآن وغدًا وبعد غد، أخبرها أن تبكي
لعل هذا يشعرها بالراحة، وهذا ما فعلته، لقد
عجزت عن التحكم في دموعها وبدأت تبكي بصوتٍ
خافت وهو على الجهة الأخرى من الهاتف يستمع
إليها بهدوء.

..... في اليوم التالي استيقظت بشعورٍ أفضل،
كانت تعلم أنها بدت كالجثة ليلة امس ولكن مكالمة
يونس الذي دفعها لتبكي جعلتها تشعر بالراحة
أكثر، تحدثت نور معها في الصباح لتخبرها أن أحمد

قد تحدث مع خالد بشأن إعطاها فترة قبل أن تبدأ
العمل عليه وقد وافق خالد الذي قد أحضر بديلاً
عنها بالفعل ولكن رغم هذا قد أخبر أحمد أن قرييته
لديها مكان بينهم بالفعل ويمكنها أن تحصل عليه
حين تكون مستعدة، عاد أحمد في المساء وأتى معه
مروان ويارا زوجته صاحبة البطن الصغير للغاية،
قضت ليلي معهم وقتاً رائع في المطبخ بينما
يصنعوا الطعام سوياً. صرخت نور بهم فجأة وهي
تنظر إلى محتوى ثلاجتها : _ دا مفيش بيض
عشان الكيكة، آخر واحدة حطيتها على وش
المكرونه. نظرت إليها يارا وقالت بينما تتناول
تفاحتها الثالثة منذ ساعة فقط : _ السوبر ماركت
مش قريب والا أي. قالت نور تجيبها بخبث : _ لا

قريب، استنوا هخلي أحمد يروح يجيب، أو يكلم
المتأخر يونس يخليه يجيب معاه. قهقهت يارا علي
أفعالها بينما قالت ليلي بدون تصديق التي تقوم
بصنع طبق من السلطة : _ أنتِ مفترية يابت، بقا
في حد بيعت راجل طول بعرض عشان يشتري أربع
بيضات. قالت نور وهي في طريقها إلى الخارج : _
وفيها أي يعني لما يجيبوا بيض، مش هياكلوا منه.
أوقفتها ليلي التي تركت ما بيدها قائلة : _ استني
هروح أنا اجيب، عشان تلحق تستوي. حاولت نور
منعها ولكنها أصرت علي الذهاب، فعلي الأقل يجب
أن تساعد من وقتٍ إلى آخر، كانت في طريقها إلى
الخروج من الشقة حيث كانت بالفعل ترتدي
ملابس للخروج ولكن أوقفها أحمد يسألها عن مكان

ذهابها وبعد أن أخبرته قال لها : _ طب خليكى أنتِ
هكلم يونس يجيب معاه. لم تستطيع أي من
الفتيات الثلاقة منع ضحكاتهم عن الخروج فالشبه
بين نور وأحمد تخطي الشبه الغير موجود بين أحمد
وتؤامه الذي لا يفهم ما يضحك النساء المجتمعات
بتلك الطريقة، غادرت ليلى المنزل وهي لا تحمل
شيئًا إلا محفظتها وهاتفها، ذهبت إلى محل البقالة
التي في بداية الشارع احضرت ما تحتاجه نور من
هناك وفي أثناء يسيرها لم تشعر بشيء إلا بضربة
سقطت على رأسها من الخلف، سقط الهاتف
والبيض والمحفظة أسفل إحدى السيارات
الموضوعة أمام محل البقالة الذي كان صاحبه في
الداخل ولم ينتبه على زياد الذي حملها بخفة بعد

أن سقطت مغشية عليها ووضعتها في سيارة الأجرة
التي تعود إلى إحدى أصدقائه وغادر بها. غادرت
سيارة الأجرة من نهاية الشارع وأتى يونس بسيارته
من بدايته، ركن سيارته ثم صعد إلى الأعلى بخطوات
سريعة فهو متأخر وآخر مرة حادثه أحمد هده من
البدأ بدونه، طرق الباب ليتبادل التحية مع رفاقه
وأنت يارا ثم نور لتحيه ايضاً وفور أن جلست قالت
مقهقهة : _ مآنا قولت خلوا يونس يجيب البيض
محدث سمع مني، أدى يونس جاه والبيض لسة.
أبعد يونس عيناه عن نور ونظر إلى زوجها قائلاً
بأنزعاج مزيف : _ إمبارح كنت شغال عندك سواق
والنهاردة هشتري لمراتك طلبات البيت، هي دي
الصحوبية يعني. رفعت نور كتفها بغرور وقالت : _

مش عايزين منك حاجة، ليلي راحت تجيب. قالت
يارا بتسيأل وهي تتناول إحدى ثمار الفواكة ضاربة
كلمات مروان الذي يخبرها عن تناول الفواكه عرض
الحائط : _ بس اتأخرت أنتِ مش قولتي المحل
قريب. نهضت نور التي أومأت لها واتجهت إلى
حيث شرفة شقتها المطلة على الشارع، نظرت إلى
محل البقالة القريب لدرجة أنها تستطيع رؤيته من
الأعلى ولو تجد أي شخص، الشارع فارغ من أي
شخص لأن الساعة قد تخطت الثامنة ليلاً وفي هذا
الوقت تكون هذه المنطقة هادئة عن غيرها من
المناطق المجاورة، أخرجت هاتفها من إحدى جيوب
بنطالها وهي تتصل بها لعلها تجيب أو تخرج لها من
مكانٍ ما ولكن هذا لم يحدث. ألتفتت إليهم وهم

يعطوها كامل إهتمامهم، وقالت بعد أن لوح القلق
داخل عيناها : _ معرفش راحت فين ومش بترد
على تليفونها. نظر مروان إلى أحمد ويونس الذين
تبادلوا النظرات معًا وتحدث مشتتًا نظرات الفتاتين
عن الأمر قائلًا : _ اتلاقيها ملقتش في المحل اللي
تحت وبتدور على مكان تاني تجيب منه. استمرت
نور في الإتصال وهي تتجاهل ما قاله مروان فهو
بالفعل اقلقها أكثر، فأن كان يرى أن تأخرها لا بأس
به لم يكن ليتحدث بهذه الطريقة، كان سوف يمزح
بشأن قلقها المبالغ به كما العادة. الود لا يخفى وإن
﴿خَفَيْتُهُ. وَالْبُغْضُ تُبْدِيهِ لَكَ الْعَيْنَانِ. زهير بن أبي
سُلَيمي.

——— Part Break ———

الفقدان هو شعور سيء آخر يضاف إلى قائمة اسوأ الأشياء التي قد يشعر بها الإنسان، أن يفقد المرء حلم كان كل ما يتمناه من العالم، أن يرى آخرون يعيشون حلمًا تمناه هو بأخلاص أو أن تركه شخصًا أحبه هو بكل دقة في قلبه، أن يتركه لأنه يريد أو لأنه لم يكن له من البداية، يكون الفقدان هو ما يشعر بالإنسان وقتها. أنه يكون مثل أعراض الإنسحاب من إدمانًا ما، تريد ذلك الشخص مرة أخرى حتى وإن كان الأمر مستحيلًا فلا يهم، ولكنك تعلم إنك لن تحصل عليه ولن يعود إليك مرة أخرى، ذلك الشعور المخيف بالموت وحيدًا حتى وإن كانت حياتك ممتلئة، وشعور الحزن الذي يأكلك من الداخل، كل هذا هو الفقدان الذي يمكن للمرء أن

ينجو منه فقط أن عاد إليه محبوبه. كانوا جميعًا
يشعروا بهذا الشعور المخيف من فقدان، فشعور
القلق لم يعد إحساسًا طفيفًا بل بات خوفًا عسيرًا،
الساعة قد تخطت الثانية عشر بعد منتصف الليل و
ليلي ما زالت مفقودة والجميع يبحثوا عنها، يارا
ونور يجلسوا في الشقة وكل واحدة منهم تمسك
بهااتفها لتحادث زوجها كل بضع دقائق لعلها تصل
إلى إجابة تريح قلبها، أما عن البقية فهم كانوا في
الشارع الخاص بشقة أحمد ونور، يونس أحضر
إحدى أصدقائه من رجال الشرطة وبعضًا من رجاله
ومعًا بدئوا يفحصوا كاميرات المراقبة في كل زقاق
من هذا الشارع لعلهم يصلوا لشيء. وما وصلوا
إليه وبات أكيدًا أنها لم تغادر المكان بأرادتها فهم قد

وصلوا إلى هاتفها ومحفظتها وبقايا الأشياء التي
قامت بشرائها، وقف يونس بجانب إحدى السكان
الذين يضعوا كاميرات مراقبة حقيقية أسفل منزلهم
بعد ساعات من البحث، ملابسه لم تعد مرتبة كما
كانت وخصلاته الطويلة ازدادت فوضوية، وقف
وبجانبه مروان الذي لحق به بعد أن أخبره أخيه بأنه
يهتم بالأمر على الجهة الأخرى من الشارع. عرض
عليهم صاحب المنزل التسجيلات وتركهم
يشاهدوها علي هاتفه. أبعد يونس خصلاته عن
عيناه وهو يقوم بتركيز عيناه عليها بعد أن ظهرت
أمام ناظريه وهي في طريقها إلى محل البقالة، كان
كل شيء بخير حتى أخذت الأشياء وغادرت وهنا
ظهر آخر شخص توقعه يونس علي الإطلاق والذي

جعله يتجمد في أرضه وهو يشاهد تلك اللقطات مرة
تلو الأخرى، أنه زياد، نعم زياد لقد قام بضربها،
افقدها وعيها وأخذها في سيارة كانت تنتظره بالفعل،
عيناه البنية أحمر بياضها من شدة غضبه وهو لا
يتخيل أنه منع أحمد عن أبراحه ضربًا، لما لم يدعه
يقتله فقط لربما كانت ليلي الآن تتشارك المائدة
معهم وتتضحك بسرور. كان مروان يثرثر بجانبه
منذ عدة لحظات وهو يعبر عن غضبه وعدم
تصديقه لما يراه وعلى الفور أتصل بشقيقه ليأتي
بعد أن أخبره أنهم قد حصلوا على دليلهم، لم يعود
يونس إلى وعيه إلا وهو يراه يركض إليهم من نهاية
الشارع، وبصمت أعطاه يونس الهاتف ليري طا به
بنفسه ولم تكن ردة فعل أحمد أفضل أفضل من

أي واحدٍ منهم، لقد جن جنونه وخرج عن هدوئه بعد
أن شاهد الفعل، أنه اخو زوجته الذي لا يحبه والذي
لم يتخيل أنه قادر على فعل هذا بأبنة خاله التي
يجب أن يحترمها كما يحترم اخته ولكنه يعلم أن
زياد لم يكن يحترم نور نفسها فهذا لم يعد بعيد
الآن.

قام أحمد بنقل لقطات الكاميرا تلك إلى هاتفه واتجه
إلى منزله ليخبر نور بما حدث فالمجرم هو شقيقها
والضحية هب ابنة خالها وصديقتها المقربة لهذا هي
من عليها أن تقرر ما الذين يجب أن يحدث، ذهب
مروان ويونس خلفه، وفور أن عبر ثلاثتهم الباب
بملامح لا يمكن للمرء أن يفسرها شعرت نور بأنهم

قد وصلوا لشيئًا ما، وبهدوء حاولت أن تتماسك به
وبعد أن ابعدت دموعها لتستطيع أن ترى ما أمامها
بوضوح أومأت إلى أحمد قائلة : _ أي؟، عرفتوا
حاجة؟. لم يجيبها أحمد بل أخرج هاتفه يعرض
لقطات الكاميرا عليها هي ويارا الملتصقة بها، ظلت
نور تتابع بأعين زائغة تذهب هنا وهناك بقلق حتى
ظهرت مصيبتها على الشاشة لتشقق بقوة بعد أن
خرجت دموعها هاربة من عيناها ولم تكن حالة يارا
أفضل منها فهي وضعت كفها علي شفتيها وهي
تراقب بذهول، جلست نور على الاريقة بعد أن
عجزت على الوقوف أكثر، وضعت كفيها على
وجهها واجهشت بالبكاء ولم يوقفها أحد فهي
أكثرهم خوفًا علي ليلي والآن قد علمت أن من

قبض عليها سالبًا حريتها ليس إلا شقيقتها. جلس
أحمد بجانبها وهو يأخذها بين أحضانه ويربت على
ظهرها ومن بين دموعها اوبذائها اعطتهم القرار الذي
كان ينتظره الجميع وأكثرهم كان يونس الذي يقف
بجانب الباب ساندًا ظهره عليه : _ أنا مش عيزاه يا
أحمد ولو ربنا خده مش هزعل عليه، رجعولي ليلي
بس والنبى. رفع أحمد نظره عنها وهو يستمر
بالتربيت عليها وبأشارة من رأسه كانت زر الإنطلاق
ليونس الذي غادر الشقة بمفرده وأغلق الباب خلفه
بعد أن علم ما الذي سيقوم به، هو سيضع ذلك
الوضع خلف القضبان في زنزانة مظلمة رطبة مليئة
بالقذارات حتى يتعفن هناك ووعداً منه أنه لن
يجعله يرى ضوء الشمس مرة أخرى، فهو بات

يعرف نيته بوضوح فلا شخص يخطف امرأة إلا أن
كان غرضه منها واحدًا، وهو أحقر من كل من
يملكون تلك النية داخلهم تجاه امرأة، فهذه المرأة
ليست أي واحدة، بل هي قريبتة وتشاركه ذات
الدماء. كل ما كانت تشعر به هي هو
الألم، رأسها يؤلمها والصداع يكاد ينهشه، الإضاءة
من حولها عالية وهي لا تستطيع فتح عيناها بعد، لا
تعلم ما حدث معها وآخر ذاكرة تملكها مشوشة،
ولكنها تذكر أنها غادرت منزل نور وذهبت لشراء عدة
أشياء ولكن بعد هذا لا تذكر إلا الألم الذي شعرت به
على رأسها والذي ما زالت تشعر به. كان الهدوء
حولها من كل مكان ولكن صرير الباب الذي تعرفه
عن ظهر قلب جعل الوعي يعود إليها بأسرع ما

يمكن وعلى الفور انتفضت علي السرير ناهضة
وهي تنظر إلى كل شيء حولها بهستيرية يمينًا
ويسارًا، صوت صرير الباب ذاك هو صوت صرير
غرفتها في منزل عمتها، المنزل الذي تمقت وعودتها
إليه لا تعني أي شيء إلا أن زياد هو من أعادها رغبًا
عنها هذه المرة. كانت تنظر حولها باحثة عن الدخيل
وتستعد لتقتل نفسها أو تقتله أن كان زياد ولكن
عمتها التي ظهرت أمامها وهي تكمم فمها بكفها
جعلت هيسيريته تهدئ حتى توقفت عن محاولة
الهرب من كفها، وعندما هدأت ابعدت فاتن كفها
عنها وبدأت تقول بسرعة وهمس وهي تنظر إلى
: الباب كل لحظة وأخرى

_ اسمعي ليلي، خدي الفلوس دي وألبسي
جزمتك وجهزي نفسك وأنا هخرجك، متخليش حد
من صحاب زياد يشوفوكي وارجعي لنور بسرعة،
زياد هو اللي خطفك وجابك هنا وابوه عشان يحميه
من غبائه قاله أن أول الشمس ما تطلع هيجيب
مأذون وهيخليه يكتب عليك غصب. قُبض قلب
ليلي فور أن سمعت ما قالتة عمتها، لا تصدق أن
الأمر قد وصل بهم إلى هنا، زواج إجباري لهذا
المختل المريض هو آخر شيء سوف تسمح له بأن
يحدث ويبدو أن هذا كان رأي عمتها التي عانقتها
بسرعة وهي تستمر بالهمس لها : _ سامحيني يا
ليلي، معرفتش احميكي منهم في بيتي. بادلتها
ليلي العناق بسرعة وهي تخلص نفسها من

دموعها وبسرعة ابعدتها عمتها عنها وهي تخبرها
بأن تستعجل وترتدي حذاءها، إنتهت ليلي من
هندمة نفسها وهي تطبق علي ما لديها من مال
وبدأت تسير خلف عمتها بخطوات بالكاد مسموعة
حتى وصلوا إلى باب الشقة، وعلى الفور فتحتة
عمتها التي وأخرجتها وهمست لها بأن تركض
بأسرع ما لديها في الوقت الذي خرج منه حسن من
غرفة نومه ورأي فعلتها، حاول أن يذهب خلف ليلي
يمنعها من المغادرة ولكنها كانت قد سمعت
نصيحة عمتها وركضت حتى وصلت إلى الأسفل.
أما عن حسن فقد دفع فاتن الشامطة به من أمامه
وهو يتجه إلى حيث هاتفه وبأسرع ما لديه أتصل
بزياد الذي إجابته بدون تأخير وقال : _ ألحق يا زياد

البت ليلى هربت، ألحقها بدل ما ترجع لنور وتقولهم
عليك، مينفعش البت دي توصل قبل ما تتجوزها
أنت سمعت هتروح في داهية. أغلق زياد الهاتف
بدون أن يعطي ابيه إجابة وعلي الفور ترك رفاقه
الذي كان يجلس معهم وعاد إلى حيث منزله بأسرع
ما لديه، بحث عنها بس كل مكان هناك أو الأماكن
القريبة من منزله ولكنه لم يجد لها أثر، كأن الأرض
قد ابتلعته لتخفيها عن عيناه وعلي الفور ركب
سيارة أجرة ليذهب إلى حيث منزل نور ليمسك بها
قبل أن تصعد إلى يوم هناك قائلة للجميع عن
فعلته الدنيئة بها. اتجه حسن إلى فاتن زوجته وهو
يخطط بأن يصب عليها غضب بالكامل ولكن
الطرقات الصاخبة التي أتت من باب الشقة جعلته

يركض إلى الخارج لعله زياد قد عاد بصحبة تلك
المصيبة المتحركة التي تسبب له ولأبنه أَلَمًا في
الرأس ولكن من وجده أمامه كان يونس والذي من
نظرة إلى عيناه أدرك حسن أنهم بالفعل يعرفوا أن
ابنه الفاعل، والجنود من خلفه أكدوا له هواجسه.
تقدم يونس من فاتن وهو يتجاهل حسن وقال
يسألها بهدوء بعد أن حاول أن يسيطر على غضبه
وهو يسألها بيأس لعلها تعرف شيئًا عنها، لعلها هنا
وينتهي كل شيء ويعيدها إلى حيث الأمان مرة
أخري : _ زياد فين يا طنط؟، حضرتك عارفة هو
عمل ايه وألا معنديش فكرة؟. أبعدت فاتن عينها
عن حسن الذي كان يحدق بها بأن تنفي كل شيء
ولكنها لم تهتم بما يأمرها به بصمت فهي قد

اكتفت من الصمت على أفعالهم، اقترب من يونس

: خطوة وقالت بأعين دامعة

_ عارفة يا بني، هو جابها هنا بس أنا هربتھا وزمانھا

في طريقھا لبیت نور دلوقتي، دور علیھا واحميھا

عشان هو راح وراھا وابعدھ يا بني، ابعدھ عنها وعني

وعن أختھ، انا خلاص استعوضت ربنا فيه ولو فيه

خير ليا ربنا هيرجعھولي أكيد. أوما لها يونس وهو

يقبل رأسھا بخفة بعد أن أخبرته شيء جيدًا خلال

هذه الليلة التعيسة، تراجع هو ورجاله وقبل أن

يغادر الشقة نظر إلى حسن متجههم الملامح وقال

بتهديد : _ لو تعرف تكلمه كلمه وقوله يبعد علي

أد ما يبعد، عشان أنا لما امسكه مش هخليه

يشوف نور الشمس تاني. غادر يونس وهو يحادث
أحمد ليخبره أنها حرة من زياد الآن ولكن عليه أن
ينتبه أنه يطاردها وقد يذهب اليه، هو بالفعل قد
ترك جنود من جنوده هناك ولكنه أخبر أحمد لعل
معرفته بما يحدث تساعده، كان أحمد ومروان
ينتظرون عودتها إلى المنزل هناك ويونس قام بقطع
الطريق بين منزل نور ووالدتها عدة مرات باحثًا عنها
في الطريق ولكن لا أثر لها، نور عادت تبكي وهي
تقول بأنه قد أمسك بها مرة أخرى حتمًا وهذا ما
جعل الأمر يزداد سوءًا أكثر. أما عن يونس فهو وقف
في منتصف الطريق يفكر بمكان قد تذهب إليه
عندما تشعر بأنه لا مكان في العالم يمكنها أن تكون
أمنة به، أي مكان قد تتجه له أن لم تكن سوف

تعود إلى نور، لم يكن لديه الكثير من الخيارات فهي
لا تملك أقارب آخرون هنا ولا أصدقاء لها عدا عن نور
ويارا، وبهذا لم يتبقى إلا مكان واحد فقط لم يفحصه،
مكان كان يذهب هو إليه عدة مرات في أوقات كالآن
لهذا قاد سيارته إلى هناك بسرعة وهو يتمنى أن
يجدها هناك في نفس الوقت الذي يتمنى ألا يجدها
هناك. بعد ربع ساعة توقف يونس أمام المكان
المنشود، ما زال كما هو، رمادي اللون رائحة التراب
تملأه وهواءه ممتلأ بالحزن، أنها المقابر المظلمة
والموحشة في هذا الوقت من الليل وقبل الفجر
بدقائق لا بأس بها... قطع يونس المسافة يتجه إلى
قبر والده ليلي، قمر التي ما زال يذكر أسمها. كان
الطريق إلى هناك طويل بسبب تشابه الممرات

بالنسبة له بعد أن تشتت ذكري زيارته لها في ذاكرته،
صوت الطيور يصدر من كل مكان حوله والظلام لا
يعينه على السير في هذا العمق من المقابر حيث
الأموات يستريحون، أخذ الأمر منه بعض الوقت
ولكنه في النهاية وصل إلى هناك وكما تمنى وعلي
عكس ما تمنى قد وجدها هناك، تجلس أمام قبر
والدتها بوضعية منطوية علي نفسها، تعانق جسدها
بأحدي يديها وبالأخري تربت على القبر كالمرة الأولى
التي رآها بها. ولكن الفرق بينهم أنها هذه المرة لم
تكن تبكي كالمرة السابقة، هي كانت تحرق في القبر
بأعين ثابتة كأنها شاردة، كان مظهرها سيئًا وحزينًا
كلوحة من العصور الوسطى، وهذه المرة هو من
شعر بأنه يرغب بأن يتجنب النظر إليها لكي لا يبكي

على حالها، فهي تعرضت للظلم وما زالت تفعل،
هي في ريعان شبابها ولكنها تبدو كما لو كانت عجوز
في جسد شابة. اخرج يونس هاتفه وهو يرسل
لأحمد رسالة نصية يخبره أنه قد عثر عليها وسوف
يعيدها إلى المنزل، أعاد هاتفه إلى جيبه مرة
أخرى واقترب منها بخطوات حاول أن يظهر لها
صوتًا لكي لا تفزع ولكن ذلك لم ينجح فهي التفتت
إليه بسرعة كأن عزرائيل قد ظهر أمامها في منتصف
المقابر وعلي الفور قال يونس لعل الهدوء يجد
طريقه إلى قلبها : _ متخافيش، أنا يونس.
رمشت عدة مرات تتأكد من ما سمعته وما تراه،
الظلام دامس من حولها ولكنها استطاعت تمييز
هياته وهو يقترب منها ليجلس أمامها معيّدًا ذات

الموقف الذي جمعهم قبل خمسة أعوام، وبهدوء
تسرب من صوته الحاني قال : _ أي اللي جابك
المقابر بليل لوحذك، مش خيفة!. أعادت ليلي
رأسها تسنده علي القبر مرة أخرى وقالت بهدوء : _
الأموات مبيأذوش، محدش بيأذي العايشين غير
العايشين يا يونس. وفي ذلك الوقت أوما لها يونس
موافقًا وهو ينظر إلى وجهها الصافي بشكلٍ حزين
والذي بدّ له كغيمة وحيدة في منتصف سماء فصل
الشتاء، لم يعرف ماذا يقول لها أو من أين اتي بهذا
القرار الذي خرج من فمه على هيئة كلماتٍ ووعد
حين قال : _ أتجوزيني يا ليلي، أديني فرصة
أحميك من الحياة. ' لا أراك ولكني ألقاك، فرؤية
العَيْنِ رؤية، ورؤية القلب لقاء ' جلال الدين الرومي

———— Part Break ————

ن تك... عندما يريد المرء شيئًا هو من داخله يعلم
أنه لن يحصل عليه، لا يكون يطلبه بشكل مزعج أو
يكون مصرًا وهو يطلبه، عندما يدعو من أجل ذلك
الشيء تبقي لديه نقطة وصوتٍ داخلي يخبره أنه

ليس عليه أن يطلبه لأنه لن يحصل عليه، ربما لأن
هذا الشيء ليس له ولن يليق به أن يملك شيئًا
باهظًا كهذا، أو ربما لأن هذا الشيء ملكًا لشخصًا
آخر بالفعل. الأمر يكون نفسه بالنسبة لامتلاك
الأشخاص، فمن يريد شخصًا له ولكنه يعرف أنه
ليس له يكون في حالة سيئة من الإنكار، فهو يريده
له بيأس وبأصرار ولكنه يشعر بأنه لن يحصل عليه
فقط لأنه ليس له، وفي هذه الحالة لا يملك إلا الدعاء
فقد قال أحدهم ذات مرة أن الدعاء هو السبيل
الوحيد لتغيير الأقدار. وليلى كانت دائمًا تدعو، تدعو
في كل صلاة تصلّيها وفي كل سجدة تسجدها، ولكنها
لم تحصل على أي شيء تمنته من قبل ولكن ذلك
لم يزيدها إلا إيمانًا، وهو الآن يجثو أمامها في المقابر

حيث لقائهم الأول وأمام قبر والدتها أشعرها أنه ربما
أحلامها سوف تتحقق، وربما تأخر الأمر فقط لأن هذا
التأخير ليس إلا اختباراً لها، والآن هو يبدو كمكافأة
علي الصبر والمرور من هذا الاختبار بنجاح، يونس
الذي يخبرها أن تتزوج الآن وفي ذات اللحظة ظهر
صوت أذان الفجر من خلفهم يقول بصوتٍ عالي -
الله أكبر الله أكبر - جعل قلبها يرتعش من أجله.
لم تعطيه ليلى إجابة وبدلاً عن هذا ثرثرت معه وهي
تتجنب النظر إلى نظراته اللطيفة : _ تعرف أن بابا
علمني إني لازم دائماً لو هاخذ حاجة من حد أبقا
مستعدة إني اردهاله، حتى لو مش هي نفسها بس
على الأقل حاجة في نفسها مستواها، هدايا أعياد
الميلاد كنت بجمعها ومستعملش حاجة منها إلا لما

أدي اللي اداني هدية اديله بدلها واحدة، كنت ببقا
مستغربة الأول من الموضوع بس لما كبرت عرفت،
عرفت أن أي حد بيدي حد حاجة بيبقا مستني
مكانها حاجة حتى لو هدية. أعادت نظرها إليه
وقالت بهدوء : _ وأنت يا يونس، عايز أي مني في
المقابل؟. أجابها يونس علي الفور بدون ذرة تفكير
وهو يقول : _ أنا هاخذك وأنتِ هتاخدينني،أظن أن
دا كفاية كمقابل، أنا هحميك من كل حاجة ممكن
تأذيكِ وأنتِ هتساعديني من مصير مأساوي .
كانت تلك دقة عالية أخرى أتت أعلى من باقي دقات
قلبها الطبيعية، يبدو أن هذا الرجل هنا قد وعد بأن
يقلب حالها رأسًا على عقب اليوم، لقد وعد
بحمايتها من كل شيء يمكنه أذيتها وهذا الوعد

فقط أشعرها بالأمان، هو لم يتحدث مرة أخرى بل
ظل صامتًا وهو يحدق في وجهها، لم يتحدث بالمزيد
مبررًا أمر المصير المأساوي الذي ينتظره أن لم
تتزوج به وهي لم تحاول أن تسأل أكثر، هو ظل
جالسًا أمامها فقط وهو يسمح لها بأن تجلس
مكانها حتى ترغب بأن تغادر، وعندما اكتفت من
البقاء بصحبة والدتها نظرت إليه قائلة :

_ ممكن توديني عند بيت نور، زمانها قلقانة عليا.
أومأ لها يونس علي الفور بابتسامة ونهض أولاً عن
الأرض ثم نهضت هي خلفه، وجانبًا إلى جنب غادروا
المقابر سويًا وهم يعودوا إلى حيث الرفاق ما زالوا
مجتمعين بعد أن استرخت أعصابهم جميعًا، أعادت

نور هندمة مشاعرها وقالت لهم بأنه لا أحد منهم
سوف يتحدث بأي شيء معها، وسوف يتصرفون
معهما كأنها قد احضرت ما كان ينقصهم وعادت،
ذهبت لتحضير الطعام الذي لم يلمسه أحد بعد مع
يارا بعد أن صرخت بمروان الذي كان يريد المغادرة
قائلة أن لا أحد سيغادر إلا بعد أن يتناولوا هذا الغداء
سويًا، غداء متأخر في الرابعة صباحًا. لم يأخذ
الطريق إلى منزل نور وقتًا طويلًا لأن الطرقات كانت
بالفعل فارغة، غادرت ليلي السيارة بعد أن فتح لها
يونس الباب حيث كانت شاردة ولم تنتبه لتوقفهم
وبهدوء صعدوا معًا في المصعد الكهربائي، وقبل أن
يغادره قالت ليلي التي تقف في مقدمة المصعد
بينما تعطيه ظهرها : _ لو أنا هو المقابل الوحيد

اللي هدفعه عشان أخذك فأنا موافقة اتجوزك يا
يونس، أنا أصلا معنديش حاجة اديها لك غيري.
غادرت المصعد هاربة أولاً بعد أن تركته خلفها
متجمد، لقد عرض الزواج عليها وهي وافقت في
الرابعة صباحًا من أكثر يوم مرهق مر عليه منذ فترة،
سماع موافقتها لم يجعله يشعر بشعور جيد كما
توقع أنه سوف يحدث، بل شعر بأن أحدهم قام
بنغز قلبه بأبرة بحجم السيف، هو يلبي طلب والدته
وفي ذات اللحظة سوف يحافظ على تلك الصغيرة
من الأخطار، إذا لما يشعر الآن بأنه عاجز عن التقاط
أنفاسه رغم أن العالم ما زال واسعًا. كان لقاء ليلي
بالتاتين حميمًا حيث اجتمعن في عناق واحد عبرت
كل واحدة منهن عن اشتياقها وقلقها بشأن ليلي

بصمت، وبعد أن افترقت عنهن عاد كل شيء إلى طبيعته، أمتلأ منزلهم بالابتسامات والضحكات حيث اجتمعوا جميعًا علي المائدة كما خطت نور وكما كان يجيب أن يحدث منذ عدة ساعات مضت، وليلى كانت أول من شاركهم بكل سرور فجزء منها كان يحمل هم هذا اللقاء، اعتقدت أن الجميع سيقابلها بالدموع والنظرات المفجوعة ولكنها شاكرة لما يقوموا به الآن، فهي للحظة تناست الوقت، تناست كل ما حدث معها وما كان سيحدث أن لم تهربها عمتها. هي أكلت حتى امتلأت، ضحكت حتى تألم فكها وألقت كل شيء خلف ظهرها، لقد عاشت بطبيعة لأول مرة منذ وقتٍ طويل مع أشخاص تحبهم وترتاح لوجودهم وكان

هو يشاركها المائدة ايضاً، تنظر إليه من وقتٍ لآخر
بدون أن ينتبه تعيد حديثه داخل رأسها لكي لا
تنسي أبداً، لكي لا تنسي كلماته التي زرعت في
قلبها المتصحر بذرة أمل ولكي لا تنسي نبرته
ووعده لها بالأمان. انتهوا من البقاء معًا عندما دقت
الساعة الخامسة صباحاً وبدأت خطوط النهار تملأ
السماء، نهض مروان وهو يسحب يارا خافه والتي
كانت تكاد أن تميل إلى وساوس نور بالبقاء والبيات
معها هي وليلى لأقامة -حفل فتيات- كما دعتة نور
التي كانت تخطط ايضاً لطرد شقيقه الذي نظر له
يحذره من ترك زوجته هنا لكي لا يقتله ونعم لقد
بدأ أحمد مخيفاً له هو ويونس الذي يراقب بصمت
فهو سيغادر إلى منزل على أي حال.

ن تك... نهض يونس ليغادر تاليًا بعد أن نهضت نور

تسحب ليلي معها إلى الداخل وذهب أحمد معه

يوصله إلى الخارج ليعرف منه آخر الأخبار، خرج معه

إلى الخارج وأغلق الباب خلفه لكي لا يتسرب

الصوت إلى الداخل : _ عملت أي؟، مسكت زياد؟.

نفي له يونس الذي يستند بظهره علي الحائط

الرخامي : _ لا، كان مشي من بيتهم عشان

يمسكها فملقتوش هناك، بس هقفشه يعني

متقلقش، نشرت صورته وكدا علي زمايلي وأي حد

هيمسكه في كمين وألا حاجة هيعرفني. تنهد أحمد

بخفة واكتفي بالصمت فقط، كاد يودع يونس

ويغادر عائداً إلى الداخل ولكن أوقفه يونس الذي

تحدث إليه بنبرة مليئة بالحرص في أثناء اعتداله في
وقفته إستعداد لتلقي أي ردة فعل عنيفة منه : _
أحمد، أنا عايز اتجوز ليلي وقولتلها وهي وافقت. لم
يجيبه أحمد لدقيقة كاملة ولم يظهر على وجهه أي
ملامح تظهر للمضطرب الآخر كيف نزل الخبر عليه،
هو حتمًا يعلم بأنه ليس سعيد ولن يسعد بهذا
الخبر ولكنه أيضًا لا يعلم أهو غاضب أم يفكر
بطريقة ليخبره برفضه، أم أنه فقط يجهز نفسه
ليعطيه لكمة مباغطة تسبب له أصابة لا بأس بها،
كان يفكر طويلًا وهو ينظر إلى الآخر الذي قرر أن
يتحدث أخيرًا بدون ملامح تذكر : _ طب
ومستعجل ليه يا يونس يا حبيبي، ما كنت عزميني
على كتب الكتاب علي طول. لم يجيبه يونس الذي

حـدق به في المقابل بعد أن ظهر التعجب على
مـلامحه، فهو قد تخيل كل أنواع ردود الفعل ولكن
رد الفعل الساخر ذاك ربما توقعه من مروان
صاحب الشخصية الهزلية ولكن ليس أحمد، فهو
يأخذ كل الأمور بجدية والآن هذا الموقف هو من
أهم المواقف الذي كان عليه أن يتعامل معه بجدية
ولكنه فقط سخر من الوضع، واستمر في الحديث
قائلاً : _ هو أنت ومروان أخويا عندكم حاجة في
دماغكم؟ ، محتاجين تتعالجوا طيب؟، في حد يقول
لحد الأخبار في أوقات غريبة زي كداا، هو جاه يقولي
أن مراته حامل الساعة اتنين بليل وأنت جاي تقولي
إنك عايز تتجوز ليلي بنت خال مراتي الساعة خمسة
الصبح، هو في أي؟. استمر يونس في صمته ولم

يشعر إلا بأحمد الذي اقترب منه يدفع بأحدي يديه
جهة المصعد وبالجهة الأخرى ضغط على ذره
يستدعيه بينما يقول : _ رُوح رَوح يا يونس يا
حبيبي وبكرة تعالي اطلبها زي الناس الطبيعية.
وفور أن انتهى دفعه إلى المصعد وغادر يعود إلى
شقته بهدوء وكأن شيء لم يكن، وترك خلفه يونس
الذي ما زال يحدق في اللا شيء وخلال ثواني فقط
قهقه بشدة وهو يحرك رأسه بلا تصديق على ردة
الفعل تلك، يبدو أنه ومروان سوف يدخلونه إلى
مشفى الأمراض العقلية قريبًا بسبب الطريقة التي
يلقوا عليه بها الأخبار الجيدة.. صحيح أنه خبر جيد،
زواجه من ليلي خبر جيد وهذا ما عليه أن يفكر به

الآن، فأمه سوف تصبح راضية عنه مرة أخرى بعد
أن قاطعته بمثالية طوال الأسابيع الماضية.

..... هتفت نور قائلة بعد أن نزل عليها الخبر
كصاعقة : _ لا وألف لا، أنا مش موافقة، تتجوزي
يونس ازاي يعني. كان الصوت العصبي الشبه
صارخ الذي خرج منها مفاجأة بالنسبة إلى ليلي التي
انتفض جسدها بعنف أثر صراخها وهي تجلس
أمامها علي طرف السرير كطفل أذنب بحق والدته،
وكان صوتها مرعبًا أكثر بالنسبة لأحمد الذي كان
يمر من أمام الغرفة ذاهبًا إلى حيث غرفته، وصوتها
جعله يستمر في الذهاب إلى غرفته بسرعة أكبر
ولكن بصمت لعله يغرق في النوم قبل أن تنتهي

تلك العاصفة من تدمير غرفة ليلي وتذهب إليه
وتدمره في طريقها، وعلى الأغلب التدمير الأكبر
سيكون من نصيبه فيونس الذي تجرأ وفكر بالأمر
للأسف يكون صديقه المقرب. أما في داخل كانت
نور تجول الغرفة ذهابًا وإيابًا وهي تفكر جديدًا للمرة
الأولى بالإتصال بـ يونس الذي كان دائمًا أكثر شخص
وديع تعرفه، والشجار معه حتى وأن إنتهى الأمر
بقطع علاقتها به، هي حتى الآن لا تصدق ما
سمعتة، لا تصدق أن يونس فكر في الأمر حتى، لا
تصدق أنه يرغب بأستغلال ليلي خاصتها هي، كانت
سوف تفقد عقلها وهي تفكر في الأمر ولم ينتشلها
من الغرق بين أفكارها إلا ليلي التي سحبتها وقالت
بهدوء وهي تجلسها أمامها علي السرير : _ أهدي

وناقشيني، قوليلي كل اللي بتفكري فيه. وعلي
الفور غردت نور قائلة وهي ما زالت تحافظ على
العقدة بين حاجبيها : _ يونس مش مناسب ليكي
يا ليلي، يمكن لو كانت في ظروف مختلفة كنت هبقا
أسعد إنسانة بالخبر دا، بس يونس مش بيحبك،
ومش هيحبك، يونس معرضش عليكي الجواز غير
عشان مامته ضاغطة عليه الفترة دي عشان يتجوز،
هو من بعد ما مريم ما ماتت وعد نفسه أنه
هيفضل مخلص ليها لحد آخر عمره ولحد دلوقتي
هو لسة بيحبها، أنا بحب يونس وبحب مريم الله
يرحمها بس لو هختار حد هختارك أنتِ، هختار
سعادتك أنتِ، وأنتِ سعادتك مش مع واحد قلبه
مليان. لم تجد نور من ليلي أي ردة فعل لهذه

استمرت في الحديث قائلة : _ أنتِ لسة صغيرة وفي

بداية حياتك يا ليلي وهتلاقي ألف واحد يحبك،

متسببش أنتِ كل الاحتمالات دي وتروحي لاحتمال

واحد في المية. ابتسامة حزينة صغيرة اعتلت وجه

ليلي التي قررت أن تشاركها ما في قلبها أخيرًا : _

متضحكيش على نفسك يا نور، كل الاحتمالات دي

خيالية ومفيش إحتمال أكيد غير الواحد في المية دا،

محدث هيوافق يتجوز واحدة يتيمة من غير أب وألا

أم، واحدة والا متجهزة والا معاها حاجة، وحتى لو حد

وافق عليا وحبني هل هيقدر يحافظ عليا

ويحميني؟، أنتِ تعرفي زياد خدني ليه النهاردة يا

نور؟، خدني عشان عايز يتجوزني غصب عني. كانت

تلك صدمة إضافية تلقتها نور هذه الليلة، وما زال

شقيقها الوضع يفاجأها بمدي وضاعته وحقارته، لا
تصدق أن أراد ارغامها على الزواج منه، ألا يعلم
بالفعل أن الزواج بالاجبار ليس حقيقًا والله لن
يكون راضيًا عليه! أخرجتها ليلى من صدمتها وهي
تقترب منها أكثر ممسكة بكفيها بين يديها
واستمرت قائلة : _ أنا عارفة أن يونس مبيحبنيش
بس في نفس الوقت هو مش بيستغلني، أنا
هساعده يحقق أمنية مامته وهو هيقدر يحميني
وعلي الأقل هكون مش مجبورة، أنا دلوقتي مش
محتاجة الحب يا نور، أنا محتاجة الأمان ومحدث
هيقدر يديني الأمان دا إلا يونس، أنا... كانت سوف
تستمر في الحديث ولكنها ابتلعت ما تبقي منه،
أرادت أن تخبرها أنها بالفعل تشعر بالأمان معه،

أرادت أن تخبره أن طعم الأمان الذي تذوقته بالقرب
منه كان كثمرة من الجنة لا تستطيع أن تتوقف عن
التفكير بتناولها مرة أخرى، هي أرادت أن تخبرها أن
النظر إلى عيناه البنية فقط يشعرها بأمان لم تشعر
به منذ أن مات والديها. يونس لم يخبرها أن والدته
ترغمه عن الزواج ولكن الأمر بات منطقيًا الآن، هذا
هو المصير المأساوي الذي ينتظره أن لم يتزوج،
غضب والدته عليه فرضي الأم يمكنه أن ينقذه من
الهلاك يوم لا شيء حقيقي إلا الهلاك والنعيم، هو
لم يخبرها كل الحقيقة ولكنه لم يخدعها ويزيف
مشاعره لها، هو يحتاج هذا الزواج ولا يحتاج إليها
هي، وهي تحتاج قوته ونفوذه ولا تحتاج إليه هو،
ولكن لما الأمر يحزن قلبها، لما لم تعد فكرة الزواج

منه وردية كما كانت قبل أن تتحدث نور، لما تشعر
أنها تريد أمان عيناه وليس أمان وظيفته، لما تشعر
أنها تريده هو وليس أي شيءٍ آخر...لما ليست
سعيدة رغم أنها سوف تحصل عليه. ' إذا ما أرادَ
اللهُ إتمامَ حاجةٍ، أثَّركَ علىَّ وشكِّ وَأنتَ مُقيِّمٌ. '

محمود البارودي.

———— Part Break ————

ن تك... يجمع قلب المرء الكثيرين من الأحباب
على مر جميع أعوام حياته، يوجد أشخاص يحبهم
لعدة أيام أسابيع أشهر أو حتى القليل من الأعوام،
ولكن يعود ذلك الحب ليتلاشي من اللا شيء كما
أتى من اللا شيء بعد أن يغادر ذلك المحب عائداً
إلى حيث حياته، يملأ شعور الفقد وأن هناك شيءٍ
ناقص ذلك القلب لفترة ثم يعود كل شيء إلى
سابق عهده مرة أخرى، يعود المحب ليكون غريباً
وأن ألتقت الأعين لا تلمع ولا يضطرب القلب.
ويوجد نوع آخر من الحب، النوع الخالد منه، حب لا
يغادر القلب وإن غادر المرء، حب كحب الأم لطفلها

أو كحب الطفل لأبيه، حب غير مشروط حتى وإن
سأت الأمور بين القلوب لا يغادرهم الحب، ذلك
النوع من الحب يكون الأقوى من بين كل أنواعه
فهو لا يشترط أن يكون بين رجل وامرأة، ربما يكون
بين صديقين أو أفراد عائلة واحدة، ربما يكون حب
المرء لشيء لا شخص وهذا يكون حبًا لامعًا لا
تنطفيء لمعته كنجم يتوسط السماء من آلاف
السنين. ونور كانت تعاني من النوعين، حبها الغير
مشروط لـ ليلي جعلها تلقي حبها ليونس الذي
كانت تقدر إخلاصه حتى قبل أيام فقط خلف
ظهرها، لطالما كان يونس بالنسبة لها شقيقًا كبيرًا
منذ أن ألتقت به كصديق الرجل الذي أحبته دائمًا،
حتى قبل أن يكون زوج صديقتها الراحلة مريم،

كانت قصة زواجه بمريم حبيبته منذ الثانوية ك قصة
روميو وجوليت بالنسبة لها، وكان زواجهم المبكر
يجعل الأمل داخلها ينمو وهي تفكر أنها ربما ذات
يوم سوف تتزوج هي وأحمد مثلهم، وحتى بعد
موتها ورؤيتها يونس يحتفظ بصورة حفل زفافهم في
إطار كبير في منتصف منزله كانت تجعل قلبها
يخفق. تمسكه بخاتم زواجه بها حتى بعد أعوام من
مغادرتها واحتفظه بكل ما يخصها في مكانه وتحديثه
عن ما كانت تفضله من وقتٍ لآخر، كل تلك الأشياء
كانت تجعلها تحترمه كل يومٍ أكثر عن اليوم الذي
يليه وفي داخلها كانت تتمنى أنها وإن غادرت قبل
أحمد أن يكون يحبها بذات القدر الذي يحب به
يونس مريم، ولكن الآن لم يعد الأمر نفسه بالنسبة

لها، كل تلك الذكريات وكل الأشياء التي تعلم أن
يونس ما زال يقوم بها لأن مريم كانت تفضل هذا،
باتت تزعجها وتضرب جدران رأسها بعنف حتى
أصابها صداع كامل منذ أسبوع، منذ أن أخبرتها ليلي
بشأن موافقتها على الزواج منه وشبهه واقنعته بهذا.
هي غاضبة طوال الوقت منذ حينها، أتى يونس قبل
أيام ليطلبها منها هي وأحمد كما أخبره أحمد أن
يفعل وجلب مروان معه ليقوم بدور المتحدث بدلاً
عنه بعد أن أخبره عن الأمر بنفسه، أراد أن يجلس
معه ليطلبها منها بشكلٍ حقيقي بما أنها قريبتها
الوحيدة الآن بعد أن أبعد حسن عمته عن حياتهم
بشكل كامل ولكنها رفضت أن تجلس معه، كانت
تعلم أنها وأن جلست معه سوف توبخه حتى يرتاح

قلبها ولهذا تراجعت عن الأمر وتركت لأحمد زمام
الأمر، فكما قال لها قبل أيام، الأمر لا يخصها لتأخذ
القرار وإن كانت ليلي موافقة فكل ما عليها أن
تفعله أن تبارك لها وتدعمها.

ن تك... وها ههي الجمعة المتفق عليها قد أتت،
الجمعة التي قررتها ليلي مع يونس عندما اجتمعوا
معًا منذ عدة أيام في إحدى المقاهي الهادئة، وكانت
نور الآن تجلس في منتصف السرير بملامح متجهمة
بعد أن كانت أول من إنتهى من ارتداء ملابسها بينما
تري ليلي تضع اللمسة الأخيرة علي اطلالتها
البسيطة التي تميزت بلون البنفسج قبل أن يتصل
يونس ليعلن عن اقترابه منهم، ليذهبوا إلى حيث

المأذون الذي أخذوا منه موعدًا بعد صلاة الظهر
مباشرة حيث أن الجميع لديه عطلة، نور لم تمرر
الأمر بهدوء بل تشاجرت مع ليلي بهذا الشأن ايضًا،
صرخت بها وقالت بأن الأمر لا يحدث بهذه السرعة
وأن الأمر ليس إلا تهورًا منها، ومقابل صراخها انتها
إجابة ليلي الهادئة التي أخبرتها أنه لا داعي لتأجيل
الأمر فلا زفاف سيقام علي أي حال. نظرت لها ليلي
من خلال المرأة وهي تحاول ألا تبتسم على ملامحها
المتجهمة ليس إلا لأنها ترغب بأن تصرخ بهم جميعًا
وتنتهي الأمر بسرعة كما بدأ بسرعة ولكنها تعلم أن
أحمد علي الأغلب وبخها ولهذا هي صامتة علي
مضدد الآن، أما عن أحمد المسكين فهو من كان
يركض من هنا لهنالك يجمع ما يحتاجه وملابسه

التي لم تهتم نور بأختيارها لها وتركته يبحث عن كل
شيء لنفسه بعد أن اختارت إجابة واحدة لكل
سؤال يسألها إياه : _ نور، فين شرابي الأسود؟. _
معرفش يا أحمد دور عندك. ألتفتت نور إلى الباب
تنظر إليه من الفتحة الصغيرة به وصرخت به بعد أن
سمعت تمتته وأصوات افعففة صادرة عنه : _ لو
مش عاجبك يا أحمد تعالي نطلق ماحنا كدا
رايحين عند المأذون. وقف أحمد عن ما يقوم به
أمام أمام باب غرفة ليلي وقال بابتسامة مزيفة : _
مفيش داعي نطلق عشان شراب يا حبيبتي أنا
خلاص لقيته، أنا مش عارف بجد يونس يوم ما يقرر
يتجوز يخرب بيتي ليه؟! قلبت نور عيناها بملل
على تدمراته فهو قد ابتلع الشجار قبل أن يبدأ، هي

تمنت لو أنه يشاركها هذا الشجار لعلها تصرخ به
وتشعر بالراحة بدلاً عن الاختناق الذي تعيشه الآن،
أعادت وجهها مرة أخرى لتلمح تلك الابتسامة
الصغيرة علي وجه ليلي لهذا نهضت من مكانها
لتقف بجانبها أمام المرأة وهي متخصرة وقالت
بحق : _ شيلي الابتسامة اللي محسساني أي
مجنونة دي من علي وشك وقوليلي، يونس قالك
أي أخر مرة اتقابلتوا، أنتِ بتتهربي من ساعتها بس
خلاص يعني مفيش وقت عشان تتهربي تاني، البيه
جاي في السكة. قالت ليلي التي ابتعدت عن المرأة
بعد أن إنتهت من ضبط حجاياها على رأسها
وأقتربت من الحقيبة الصغيرة خاصتها التي جمعت
القليل من ما تملك من أغراض داخلها مرة أخرى

وها هي تتأكد من أن كل شيء في مكانه وهي
تعطي الأخرى إجابة مبهمة لم تزدها إلا غضبًا : _
متكلمناش في حاجات مهمة، شوية دردشة. كان نور
سوف تبدأ في وصلة أخرى من الصراخ عليها ولكن
هاتفها الذي صدر صوت رنينه من الخارج جعلها
تتجه إليه تاركة ليلى خلفها تتنفس براحة وتشكر
منقذها أيًا كانت هويته، وبهدوء جلست على السرير
وهي تحقق في الا شيء بينما عاد عقلها إلى ذلك
اللقاء معه، اللقاء التي تصورت له مئة حوار
سيتحدث به معها ولكنه قام بالحديث عن شيء لم
تتخيله وبنبرة صريحة لم تعتقد أنه يملكها.

كانت جالسة أمامه تعبت بفنجان قهوتها الساخن
تعطيه كل اهتمامها بينما تنتظر الشارد أمامها بأن
يحدث بعد أن يتحرر من اصفاد أفكاره، وخلال
دقائق نظر لها بجدية لم تعدها منه وقال : _
الصراحة يا ليلي أنا طلبت نتقابل عشان أوضح
شوية حاجات ممكن تكوني متعرفيهاش أو أكون
السبب إني خليتك تفهميها غلط. وبعد أن تحدث
أعطته اهتمامها بينما تترك الفنجان وشأنه وبهدوء
أومأت له ليستمر قائلاً : _ أنا مكنتش عايز اتجوز،
مش قبل كدا والا دلوقتي والا بعدين، أنا كنت قررت
أوهب حياتي لشغلي بس قراري معجبش والدتي
اللي ضغطت عليا عشان اتجوز، وأهم الأسباب اللي
كانت مخلياني رافض فكرة الجواز هي موضوع

الحب والجواز الحقيقي، أنا كنت عارف أن مفيش
واحدة هتوافق تتجوز واحد رافض يتخطي.. جوازته
القديمة. أبتلعت ليلي ريقها بعد أن داهمتها موجة
من التوتر جعلتها تعتصر فستانها من أسفل
الطاولة، فهذا كان مفاجئًا، هي لم تتوقعه سيتحدث
عن الأمر بهذه الطريقة، لم تتوقع أن يخبرها أنه هو
من يرفض تخطي زوجته السابقة، لم تتوقع أي
شيء مما قال ومما سوف يقول فهو ما زال يملك
الكثير في عيناه، ويترك لها بعض الثواني لتستوعب
ما يقول : _ والسبب اللي خلاني عرضت عليك
الجواز كان عشان أنا حبيت أساعدك وأساعد نفسي
معاكي، حسيت إنك هتبقي الشخص المناسب ليا
وإنك شخص ممكن يقبل يعيش معايا تحت

سقف واحد وأنتِ عارفةٍ إني مش هقدر اتخطى، أنا
هديك كل حاجة أنتِ محتاجاها وهحميكي من كل
حاجة بس جوازنا مش هيكون طبيعي وفي حاجات
مش هقدر اديها لك، ودلوقتي القرار ليكي، أنا مش
هغصبك على حاجة بأي طريقة كانت، ولو حاسة
إنك غيرتي رأيك ومش مجبرة تستحملي جواز
بشروط زي دي قوليلي. هي كانت تعرف كل شيء
قاله لها بأصرح طريقة يملكها والاقسي علي قلبها،
ولكن سماع الأمر منه كان صعبًا ورفض الأمر كان
صعبًا أكثر فهي لا تريد أن ترفضه، تعرف أنه لا يحبها
ولن يحبها ولكنها لا تدرك أيهما أكثر صعوبة،
العيش معه بدون حب في علاقة فاشلة سوف
تنتهي في فترة ما؟، أو رفضه وتظل تعيش طوال

حياتها تعيشه لأنها لم تجرب طعم تلك الفاكهة
المثالية؟. وبدون أن تشعر وجدت نفسها تعطيه
إجابة قلبها : _ أنا مش محتاجة حب يا يونس،
الحب حاجة ممكن احتاجها بعدين بس دلوقتي أنا
مش عايزة غير الأمان ومش هحتاج منك غير إنك
تحترمني وتحترم وجودي، ومتقلقش، في الوقت
اللي هحتاج فيه الحب بس مش هطلبه منك عشان
أنت مش هتقدر تدهولي، قلبك لقي مكان يوديله
الحب اللي فيه خلاص. وتلك كانت نهاية حديثهم
الذي وضع النقاط فوق الحروف، هو وضح لها
موقفه وهي وعدته أنها لن تطلب منه شيئاً لن
يكون قادراً على إعطائه لها، فالقلب الممتليء بحب

أحدهم سوف يفيض حبه على ذات الشخص ولن
يفيض داخل قلوبٍ فارغة لم تعرف للحب طعمًا

طرقت نور على الباب تعيد ليلى الشاردة إلى أعتاب
الوعي مرة أخرى وقالت ما جعل اضطرابها يعود
ليحي داخل قلبها مرة أخرى كميت عاد إلى الحياة :
_ يالا يا ليلي، سي يونس وصل ومستني تحت.
نهضت ليلي بخطوات مرتعدة ومتوترة، غادرت
الغرفة إلى الخارج أولاً وهي تضغط على حزام حقيبة
كتفها الرفيعة مخرجة توترها بها لتزيله عن وجهها
قدر الإمكان، ذهبت نور إلى الغرفة تحضر حقيبتها
البسيطة التي غادرت متناسية أمرها، أعطتها لأحمد
الذي ذهب أولاً وأخذها ليخرج سيارته من جراج

السيارات، وكأن أول شخص ظهر أمام يونس الذي
يقف بجانب سيارته وينتظر، كان يرتدي ملابس
بسيطة وانيقة في الوقت ذاته من قميصًا باللون
الأزرق الداكن وبنطال قماشي أسود اللون، أعطاه
أحمد الحقيبة بعد أن القي التحية عليه ووضعها
الأخر في سيارته وغادر ليذهب بسيارته مع نور التي
ما زالت في الأعلى تغلق باب شقتها، وخلال هذه
الدقائق ظهرت ليلي أمامه تجبره علي التحديق بها.
فقد كانت بسيطة مثله، لم تبالغ في زينتها وعلى
عكس ما توقع لم تكن ترتدي الأبيض، فهذه كانت
فرصتها الأولى والوحيدة لترتيديه بها وتجرب ذلك
الشعور الذي يعلم بأن كل الفتيات يتطلعون له،
وينتظرون زواجهم فقط لرتداء فستان أبيض بالغ

الجمال، لم تكن ترتدي الأبيض نعم ولكنها ترتدي
لونًا من ألوانه المفضلة وقد بدت في عيناه وهي
تقترب منه بتمهل كأنها زهرة بنفسج صغيرة
تتأرجح في منتصف حقل من الزهور الخلابة وقد
كانت أكثرهم جمالًا. وقفت أمامه تلقي التحية عليه
بصوت خافت أخرجه من شروده بها ليبادلها
بابتسامة صغيرة. كان يريد أن يتحدث معها مرة
أخيرة قبل إتخاذ هذه الخطوة، يود لو يخبرها شيء لا
يعلم ما هو ولكن قلبه يدفعه للتحدث معها، ربما
كان سيشكرها لأنها كانت المرأة الوحيدة التي قبلت
به رُغم الفوضى في داخله، وربما كان سيعتذر لها
على الظروف التي تكون دائمًا سيئة حين يجتمع
معها، حتى الآن وهو يكاد يكون زواجًا لها تحدث

الأمر بأسوأ طريقة ممكنة، بلا زفاف، بلا حب، وبلا
سعادة حقيقية تملأ عيناها، كان يرغب في قول
الكثير ولكن نور متجهمه الملامح التي ظهرت أمامه
من خلف ليلى جعلته يبتلع ما كان سيقوله أيًا كان
ما هو، كانت تنظر إليه كأنه ألد أعدائها وهو لم يضع
اللوم عليها، هو يستحق ما توجهه له من كره، ففي
داخله هو يشعر بما تشعر به تجاهه، هو يشعر بأنه
يستغل تلك الصغيرة ونظراتها اللائمة له لا تجعله
يتخطى الأمر أو يظن العكس. عاد أحمد سريعًا
لتصعد نور بجانبه وصعدت ليلي بجانب يونس
وأخذوا طريقهم إلى حيث مكتب المأذون ومروان
ويارا على الطريق كذلك، كان الطريق إلى هناك
بطيء بسبب بعد المسافة والصمت الذي سيطر

على سيارتهم، كانت ليلى تنظر إليه خلسة من وقتٍ
لآخر لتجد وجده الجامد هو كل ما أمامها والذي
يصب كل اهتمامه على الطريق، لم تحاول التحدث
معه أو مقاطعة صمته المريب، فهي متوترة بما
يكفي لتتشتغل بنفسها وبمعدتها التي باتت تنغزها
من شدة التوتر، فهي على وشك أن تتزوج، خطوة
ظنت دائماً أنها بعيدة المنال عنها، وهذه الفكرة
زادت داخلها بعد أن توفي والديها.

ولكن ها هي تتحقق بسرعة خيالية، هي على وشك
أن تكون زوجة لأحدهم ولديها منزلٍ لها تكون هي
سيدته وحياة مستقلة، كان هذا موتراً ولكن في ذات
اللحظة كانت فكرة لا بأس بها، لا بأس لدرجة أن

قلوبها متلهف لها ومعظم ما تشعر به من توتر وقلق
بسبب الضغط الذي تعيشه، وفكرة أنها دائماً سيئة
الحظ لا تبتعد عن عقلها وتجعلها تجهز نفسها
وقلبها لأحتمال إلغاء هذا الزواج في أي لحظة، فلا
أحد يمكن أن يصدق أن حياته ممكن أن تتغير بهذه
السرعة ولهذه الدرجة، أن يعيش المرء مقيداً طوال
حياته في غرفة مظلمة سيعجز لاحقاً تصديق أن
هناك عالم خارج تلك الغرفة. وهي لا تصدق أنها
على وشك أن تتزوج رجل كانت ذات يوم تفكر
بشأنه لساعات، وهي تتسأل كيف تكون الحياة
معه؟ وكيف يمكن أن يعامل امرأة يهتم بأمرها إن
كان يعاملها هي الغريبة عنه بكل هذا الود واللفظ؟
، هي سوف تتزوج رجل فكرت ذات مرة بروعة

امتلاكها رجلٌ مثله وها هي سوف تأخذه هو وليس
شخصًا يشبهه في المظهر أو الطباع، هي سوف تأخذ
يونس نفسه صاحب قناع البطل الخارق وليس أي
رجل آخر. توقفت السيارة أمام العنوان المطلوب،
غادر يونس السيارة أولاً وقبل أن يلتفت ليفتح
الباب لها كانت قد غادرت واقتربت من حيث مروان
الذي كان يقترب من باب سيارته من الجهة الأخرى
ليخرج يارا التي علي الأغلب كانت قد طردته منها
فهو كان يستند على باب سيارته أمام البوابة قبل أن
يتوقفوا أمامه وعلى الفور كان أحمد و نور وصلوا
كذلك ليقفوا معًا في دائرة مفرغة وأول من تحدث
كاسرًا الصمت كان مروان الذي قال بعصبية : _
حسبي الله ونعم الوكيل فيكوا كلكوا، حد قالكوا إني

عايز أخذ تان وأسمر أكثر مآنا أسمر وجميل
وبسمسم. إجابة أحمد الذي يستغل كل لحظة
غضب لشقيقه ليعيد ألقاء أعماله اللئيمة بوجهه :
_ في أي يا بني هو احنا مشتريينك من الفرن، أنت
من فصيلة المعجنات. لم يضحك أحد على ما قاله
أحمد سوي يارا التي ضحكت من قلبها حتى كادت
تجلس أرضًا ولكن مروان الذي أمسك ذراعها
يحميها من ردادات فعلها العنيفة عندما تضحك كان
قد امسكها قبل أن تفعل، ظل يمسك بها حتى
إنتهت من الضحك وهو يحدق في وجهها بابتسامة
عريضة بعد أن أختفي غضبه من تأخرهم وتبخر،
وهذل المشهد لم يؤثر بأي حد سوي ليلي التي
تابعتهم بابتسامة ونور التي غادرت عقدة حاجبيها

وتحول وجهها إلى الأبتسامة مجددًا. بعد أن انتهى
الثنائي من نشر أجوائهم المبهجة في الأجواء والتي
ساعدت الجميع على الاسترخاء ذهبوا إلى الداخل
معًا وهم يستعدوا لإنهاء أمر هذا الزواج، جلسوا
جميعًا على طاولة المأذون وبدأ الأمر بظهور
البطاقات الشخصية للثلاثة رجال وليلى معهم،
جلس أحمد بجوارها فهو سيقوم بدور وكيلها بما أنه
الوحيد الذي يملك صلة قرابة حقيقة بها حتى وإن
لم تكن بالدماء وبجانبيها من الجهة الأخرى جلست
نور التي تقبض على يدها بقوة من أسفل الطاولة،
وعلى الجهة الأخرى من الطاولة جلس مروان
صاحب الأبتسامة الواسعة المتحمسة بجانب يونس
فهو سيكون شاهده وبجانبه جلست يارا التي كان

حالتها كحال زوجها. أحضر المأذون دفتره الذي شهد
علي الكثير من قصص الحب والزواج وأخرجت يارا
المنديل الذي كان مفاجأة إلى ليلي التي شعرت
بأنها سوف تبكي بفعل هؤلاء الأصدقاء الرائعين
الذي تملكهم هي وابنة عمتها، قدمت يارا المنديل
الأبيض الحريري المنقوش عليه أسماء العروسين
واخذه منها المأذون يضعه على يد أحمد ويونس
الذي تصافحها أسفله وعلي الفور بدأ المأذون يقول
عهود الزواج وكان أول من قال خلفه هو أحمد الذي
يخبره أنه يعطيه شقيقته ليحافظ عليها ويأخذها
زوجة له. ومن بعده تحدث يونس بصوت هادئ
وراكز مع المأذون يخبره أنه يقبلها زوجة له في
السراء والضراء، ليحافظ عليها ويحميها وفي داخله

يعيد الجميع بهذه، وأول من حصلت على هذا الوعد
منه كانت هي، ليلى التي تحقّق في وجهه براحة بما
أن الجميع يفعل، لم يأخذ الأمر الكثير من الوقت
لينتهوا، وانتهت هذه الأجواء بأعلانهم زوجًا وزوجة
أمام الله والشهود بعد أن وقعوا وبأبهامهم بصموا
علي قسيمة الزواج وعلي الفور أنهالت التهاني
عليهم وكانت الأمور مختلفة بالنسبة إلى كليهم.
يونس يتلقي التهاني والتبريكات بحفاوة من
أصدقائه الذين سعدوا بأنه قرر بدأ حياته التي
توقفت منذ خمسة أعوام مرة أخرى حتى وإن كان
الأمر ليس قرار اتخذه بدون ضغط، وليلى لا تتلقي
إلا البكاء من نور التي كانت حتى اللحظة الأخيرة
تريد إنهاء الأمر ويارا التي تأثرت بما يحدث حولها

فقط. همست نور بجانب إذن ليلي أثناء العناق
قائلة : _ عشان تبقي عارفة أنا مش راضية عن
اللي حصل ومفيش حاجة منعنتني ابوظ الجوازة دي
غير إني متأكدة أنه هيحميك، بس أوعدك إني هرضي
لما تيجي تقوليلي إنك خلّيتي الحيطّة اللي هناك
دي تحبك. لم تشعر ليلي بنفسها إلا وهي تقهقه
أثناء بكائها، فوصفها ليونس بالحائط كان مناسبًا
بطريقة كارثية، ابتعدت نور عنها بعد أسرار يارا التي
ظلت تدفعها لأنها أيضًا تريد الحصول على عناق
من العروس، وعلي الفور نعاتق مع ليلي وهي
تقهقه بسعادة فهي كانت تحب ليلي دائمًا وفكرة
أنها أصبحت زوجة يونس المقرب منهم فكرة
جميلة، فهي كانت خائفة دائمًا من أنه قد يتزوج

أمرأة تبعده عنهم وعن أصدقائه ولكن زوجته لم
تكن إلا ليلي اللطيفة. الجميع تعانقوا معًا، النساء
هنئوا يونس حتى أن نور فعلت بنبرة خافتة والرجال
هنئوا ليلي عن بعد كذلك، ولكن هو لم يقترب منها
ليفعل، كان الأمر غريبًا بالنسبة لها وتمنت لو أنها
فقط من انتبهت لهذا، هي لم تنتظره أن يعانقها كما
يحدث في العادة ولم تنتظر منه نظرة مفعمة بالحب،
هي انتظرت ابتسامة رقيقة من وجهه الحَسَن وربما
مصافحة وتهنئة خافتة، ولكن ما انتظرته وما لم
تنتظره لم يحدث أيهم، هو فقط نظر لها لثانية وأبعد
عيناه عنها قبل أن يتجه إلى المأذون يتحدث معه
بشيء لم تسمعه، كانت النظرة بينهم قصيرة ولكنها
قرأت عيناه وتصرفه. يونس الذي بات زوجها لم

يتحمل النظر إليها لثواني وعندما فعل كانت عيناه
محملة بعدة مشاعر مختلفة، الحزن، الحنين،
الاشتياق والنفور، والأخيرة وحدها من كانت لها،
يونس الودود مع الغريبة ليلى تجاهل زوجته ليلى
في أول دقائق لهم كأزواج لأنه كان غارقاً في ذكرياته،
عنها، زوجته السابقة والراحلة، أليس هذا مؤلماً
كأختبار جديد لها؟. ' كل ما بداخلي يندفع لك
بشراؤه لكن مذهري ثابت ' غسان كنفاني

——— Part Break ———

ن تك... الندم شيء لا يمكن للمرء إخفائه إن أفني
عمره في محاولة إخفائه، فالأعين النادمة تكون
حزينة بشكل مميز و يلمع الشّجى داخلها كنجم
صغير في منتصف سماء صافية ويمكن للجميع
رؤيتها، تصرفات المرء تظهر ندمه ومحاولاته لأخفاء
ذلك الندم الكامن في أعماق نقاط روحه لا يجعله
سوي ظاهر للعيان أكثر، أن يندم الإنسان لأنه قام
بشيء ما أو لم يقم بشيء ما هو شعور كالسجن،
يقيد المرء داخله لأعوام وأعوام بدون أن ينتبه على
ما يضيع منه من عُمر. حتى وإن نجح في إخفاء
ندمه عن العالم فلن ينجح في إخفائه عن نفسه
وسوف يظل حبيس ندمه حتى يتأكل من داخله
كدودة جائعة تتجول داخل تفاحة طازجة، وكما لن

تدرك التفاحة أبدًا أن الدودة خطيرة عليها إلا بعد أن
تصبح مجوفة وغير نافعة، لن يدرك الإنسان أن
ندمه يبدد فرصته في عيش حياة طبيعية. وهذا ما
لم يدركه يونس الذي ما زال يجهل وجود دودة الندم
داخله، هو كان يجهل ما يشعر به وما سبب الخراب
في داخله، ولكن هي كانت تعرف ما به وما سبب
صمته الغريب طوال طريقهم إلى منزله الذي أصبح
منزلها أيضًا، فالنظرة الوحيدة التي نظرها لها بعد أن
باتت زوجته ما زالت عالقة في رأسها تعاد أمام
عينها مرارًا وتكرارًا كمشهد لا يمكن لعقلها تخطيه،
فهي إن كانت جيدة في شيء ما فسيكون قراءة
النظرات في أعين الآخرين، والنظرة في عيناه هي نظرة
تعرفها جيدًا ورأتها كثيرًا داخل أعين الكثيرون.

ولكن أكثر شخص رأت هذه النظرة الشجية في عيناه
كانت هي، هي كانت ترأها داخل عينيها كلما نظرت
إلى المرأة، هذه النظرة المحملة بالندم رافقتها لأعوام
مديدة، بدأ الأمر عندما عجزت عن أن تدافع عن
عمتها بصوتٍ أعلى من صوتها الداخلي، وتلاها ذلك
الموقف عندما ابتلعت حديث مطول أرادت ألقاه في
وجه إحدى البالغين ولكنها ابتلعه من أجل الحفاظ
على صورتها كفتاة لا تناقش الكبار، واستمر الأمر
عندما لم توقف والدها عن إتخاذ قرارات مصيرية
لأجلها ولأجل والدتها وكانت تعاني من النتائج فيما
بعد بمفردها. كان الندم صديقًا لها منذ وقتٍ طويل
للغاية وكانت هي من تشعر به دائمًا بسبب
الآخرون، ولكنها الآن تري الندم يسبح داخل أعين

أحدهم وهي سبب ذلك الندم الذي يشعر به، والذي
لن يتخلص منه لطالما هي معه، وسيظل يعاني منه
كما تعاني روحها من الندم حتى هذا اليوم على أمور
حدثت منذ أعوام، هي لم تكن تعلم أن هذا ما
سوف يحدث، لم تكن تعلم أن بداية هذا الزواج
ستكون بهذه الطريقة السيئة ولكن ما بيدها حيلة،
الرجل الوحيد الذي أعطته الحياة لها نادمًا علي
ارتباطه بها ولكن ما بيدها حيلة، والآن وهي تنظر إلى
ندمه لا تستطيع أن تعلم أيهما أسوأ، أن تندم بسبب
أفعال الآخرين معها؟، أو أن يندم الآخرون بسببها
هي؟ . توقفت سيارة يونس بعد بعض الوقت
أسفل بنايته وبصمت غادر سيارته بعد أن وضعها
في مكانها بشكل روتيني، أخرج حقيبتها الصغيرة

من صندوق سيارته أثناء خروجها خلفه وهي تقبض
علي حقيبتها لتخرج التوتر بها، صعد دخل إلى البناية
وللمرة الأولى منذٍ قدرٍ لا يذكره من الوقت يلجئ
لاستخدام المصعد الكهربائي وهي كانت تتجول
خلفه بهدوء كطفل ذهب إلى مكانٍ غريب للمرة
الأولى ولا يعرف به سوي أبيه.

فتح يونس باب المصعد ليخرج أولاً واستمر في
إمساك الباب لها حتى تخرج وهي يلقي عليها
ابتسامة باهتة وغير حقيقية، تقدم من شقته فاتحاً
إياها وهو يستعد لاستقبال امرأة غريبة بها منذ
أعوام طويلة، لم يكن يشعر بالراحة لتلك الفكرة،
فهو قد اعتاد الوحدة ولم يجهز نفسه بما يكفي

ليشارك منزله الذي كان عش زوجيته السعيد قبل
خمسة أعوام مع أخرى ولكن هكذا وصلت الأمور إلى
هنا بعد أن كانت إرادة والدته أقوى من رغبته.
دخلت ليلى شقته خلفه وراقبته وهو يغلق الباب
من خلفها بتوتر وصل إلى اقصاه داخل قلبها الصغير
المضطرب، ألقت نظرة سريعة حولها وخلالها لم
تري إلا المكان بصورة مشوشة وكأنها كانت شاردة
ولكنها لم تكن كذلك، لقد كانت تتابع حركاته خلسة
تري ما هو مقبل على القيام به وكان النظرات
المهزوزة في عيناه اجابتها، هو لا يعلم ما يجب عليه
أن يفعله كذلك وهي تجزم أنه مثلها لم يصل
بتفكيره وخططه إلى هذا الجزء حين يغلق عليهم
باب واحد، لقد مرت دقائق عليهم وهم يقفوا أمام

الباب وكل واحدٍ منهم يحدق بشيء مختلف، هي
تنظر إلى وجهه الوسيم وهو يحدق بسجادته وكأنه
هو من ينتقل إلى منزل جديد يراه للمرة الأولى.
كانت تريد أن تحمم لتعيده إلى وعيه ولكنه كان
قد استيقظ من صوت أفكاره قبل أن تفعل وفجأة
نظر إليها ليقفز قلبها من مكانه، لقد امسكها وهي
تنظر إليه بدون أن ترمش، ولكن تعليقه السريع
جعلها تتنفس براحة فيبدو بأنه لم ينتبه على هذا :
_ تعالي معايا هوريك الأوضة بتاعتك. سارت ليلي
خلفه بهدوء وهي تتنهد بصوتٍ خافت بينما في
داخلها تتسأل كيف كان سيكون حالها إن كان ذلك
الزواج حقيقي، فهي متوترة وتكاد تبكي وهو بالكاد
ينظر إلى وجهها وقد أعد لها غرفة منفردة لتبقي بها!

سار بها يونس إلى غرفة تختبئ خلف باب من
الأبواب الموصدة، وفور أن فتحها خرجت رائحة
الدهان الجديد في وجهها تنبه عقلها أنه هناك ما هو
جديد في هذه الغرفة، وفور أن ألقت عليها نظرة
كانت محقة، فكل الغرفة كانت تبدو جديدة، السرير
الكبير، الخزانة والطاولة صاحبة المرأة، كل شيء بها
كان جديدة وهذا ما قاله يونس الذي وضع حقيبتها
أرضًا واقترب من الستائر التي كانت تخفي خلفها
نافذة متوسطة الحجم : _ ريحة الدهان ممكن
تكون مزعجة شوية فخلي الشباك مفتوح كام
ساعة كدا عشان الريحه تروح، معلش مكنش
عندي وقت اجبها بدري واسيبها تنهوي، الراجل
جابها امبارح بس. وعلي الفور قالت ليلي تعبر عدم

إعجابها بفكرة انفاقه أمواله بهذه الطريقة : _
مكنش في داعي تجيب حاجة جديدة، كنت هعرف
اتصرف بالموجود. حرك يونس رأسه كأنه يخبرها أن
هذا لا شيء وقبل أن يغادر الغرفة قال : _ أنا
طلبت شوية حاجات من السوبر ماركت اللي بجيب
منه عشان البيت مكنش فيه حاجة، هيجي حد
يجيبهم بعد شوية لو عوزتي حاجة تاني قولي للولد
اللي هيجي وهو هيجبهالك، وفي برا على السفارة
ورقة أرقام مطاعم برضو لو عوزتي تطلبي أكل جاهز
كلميهم وهما عارفين العنوان وكل حاجة عشان أنا
بطلب من عندهم.

ن تك... أومأت له ليلى بطاعة وهي تسمع
تعليماته عليها والتي لم تكن تعني أي شيء إلا أنه
سيغادر المنزل بأكمله وليس الغرفة فقط، وهذا ما
سألته عاجزة عن ابتلاع الأمر بهدوء : _ أنت
هتمشي؟ حرك يونس لها رأسه في ذات اللحظة
التي التقطت بها مفتاح منفرد من علي الطاولة
وقال وهو يمدده لها : _ اه، عندي مشوار مهم
هعمله وراجع على طول، ودا مفتاح الشقة عملته
ليكي. أخذته ليلي منه بهدوء وهي تشكره بصوتٍ
خافت وعلي الفور غادر يونس وهو يغلق باب
غرفتها عليها خلفه، لم تتحرك من مكان وقوفها
حتى بعد مغادرته وظلت تطالع الفراغ وهي تقبض
علي المفتاح بأحدي يديها والأخرى ما زالت ممسكة

بالحقيقة بقوة حتى ابيضت يدها، ولم تحرر نفسها
من مشاعرها إلا بعد أن سمعت باب الشقة يغلق
دلالة على مغادرة يونس المكان بأكمله، وهنا لم
تشعر إلا بدموعها تنهمر على وجنتيها بصمت، لم
تشهق بصوت مرتفع أو تدمر ما حولها، هي اعتادت
البكاء بصمت لأنها دائماً لا تريد من أحد أن يعلم
أنها تبكي. الأمر كان كارثياً بمعاييرها هي ومعايير كل
شخص قد تعرفه ولا تعرفه، الزواج بتلك الطريقة
المأساوية والذي يبدو ككابوس يعيشه يونس التي
اعتادت رؤيته متفائلاً في الآونة الأخيرة ، وهذه
المعاملة الجافة التي كانت تخشي أن تتلقاها منه
هو من بين كل العالم، وما يجعل الأمر كارثياً أكثر
أنها تأخذ منه جفافه بعد أن باتت زوجته، كل الأمور

التي تحدث خلال هذه اللحظة سيئة، وقد تزداد
سوءًا إن لم يعود يونس قبل أن تأتي نور بصحبة
أحمد بعد أن يجلبوا باقي أشياءها من منزل عمتها،
فمغادرته يوم الجمعة الذي هو عطلته وبعد ساعات
من كتب كتابه قد يجعل نور يجن جنونها. وفي هذا
الوقت كانت نور واقفة أمام منزل والديها وبجانبتها
أحمد الذي يبتسم إليها كلما التقت أعينهم محاولاً
تهوين الأمر عليها، فتحت فاتن الباب بعد ثواني
لتقابل وجه نور وأحمد بفرحة عارمة وهي تعانقهم
بالتوالي وهم يبادلوها ذلك العناق بحب، ابتعدت
فاتن عن الباب تدعوهم للدخول ليدخلوا خلفها
متجهين إلى إلى غرفة المعيشة ولكن علي الفور
ظهر حسن متجههم الملامح أمامهم وهو يعكر هذه

اللحظة المسالمة، وعلي الفور تحدث قائلاً : _ أي
اللي جابك هنا يا بت؟، أنا مش قولتلك متعتبيش
بيتي تاني؟. أدارت نور عيناها بملل وقالت : _ أنا
مش جاية عشان وحشني بيتك، هأخذ حاجة ليلي
الباقية وأمشي. كانت سوف تغادر متجهة حيث
الغرفة ولكنه اوقفها عندما تحدث بسخرية : _
لقيتي لبنت قمر بيت بعد ما خربت بيت ابني،
صح يا نور؟. ألفت له نور بسرعة وهي تبتسم
أوسع ابتسامة تملكها وقالت مفجرة قنبلتها في
وجهه : _ لا لقتلها عريس، هو أنا مقولتلكش اني
جاية من كتب كتاب ليلي، ومش هتتخيل علي مين.
التفتت إلى أحمد الذي يطالع لحظات انتصارها
علي والدها البغيض بفخر وابتسامة صغيرة،

وعندما تحدثت كادت تفلت منه قهقهة متهورة

ولكنه كبّتها داخله :

_ استني يا أحمد اوعي تقوله، خليه يحظر الأول، والا

اقولك هقوله أنا عشان مش هيعرف يجيها أعادت

وجهها إلى إلى أبيها وقالت بتشفي : _ يونس، ليلي

اتجوزت يونس، مش هتاخذ زياد وتروح تقولها

مبروك. كان ذلك الخبر صاعقة نزلت فوق رأس

حسن الذي كان ينظر إليها وكأنها كابوسًا تحقق

علي أرض الواقع، وبهدوء ابتعد عنهم للخلف عدة

خطوات ليجلس علي الاريكة برفق، لم يتحدث أكثر

ولم تضع نور المزيد من الصدمات فوق كاهله، فقط

ابتعدت تذهب إلى حيث غرفة ليلي لتجمع أغراضها

وتركت أحمد يجلس بهدوء أمام جسد حسن الذي
يحدق في الأرض بهدوء ، أما عن فاتن فهي ذهبت
خلف نور بخطوات سريعة وعلى وجهها أكبر
ابتسامة تملكها فهي على عكس زوجها، كان الخبر
بالنسبة لها جرعة خالصة من السعادة. وقفت
بجانب نور في الغرفة وهي تجمع كل ملابس ليلي،
أحذيتها وكتبها وكل شيء آخر يعود لها وهي تسألها
إن كان الأمر حقيقًا، وعندما تأكدت شعرت بالراحة
داخلها وكأنها الآن تستطيع أن تموت بسلام، فظل
زياد الهارب لن يكون قادرًا على المساس بأبنة
أخيها، لم تأخذ نور الكثير من الوقت في جمع ما أتت
لأجله، وبعد دقائق غادرت الغرفة وهي تسحب
خلفها حقيبتين كبيرتين، نهض أحمد عندما أنهت

وأخذ الحقيبتين يغادر بهم أولاً إلى حيث السيارة
وترك لها مساحة لتقترب من أبيها لتقول : _
متخليش ابنك يفكر حتى يقرب من ليلي ثاني،
يونس كان عنده استعداد يحبسه قبل ما تكون
مراته، ودلوقتي لو حد فكر يقرب من مراته مظنش
أنه هيكون عنده مشكلة يقتله، وكلنا عارفين أنه
يقدر يعملها. غادرت نور بدون أن تسمع إجابة منه،
وعلي أي حال هو لن يكون سيعطيها واحدة، هو
فقط يفكر في مصيره ابنه الصغير الذي لم يدخل
البيت مجددًا منذ أن هربت ليلي من هنا، والآن بات
الوضع معقدًا أكثر بزواجها من ذلك اليونس الذي
هدده بكل وقاحة وصراحة أمام ناظريه، والآن نور من
تفعل نيابة عنه. جلست نور داخل السيارة في أثناء

قيادة أحمد إلى حيث منزل يونس ليوصل الحقائق
وتنتهي مهمتهم هنا، نظر بجانبه إلى نور وقال وهو
يحاول كبح ابتسامته : _ هو أنتِ مش كنتي مش
عايزة الجوازة، أي دا بقا؟. نظرت له نور ببراءة وهي
ترمش عدة مرات وقالت ممثلة الجهل : _ أنا
معرفش أنت بتتكلم عن أي. قهقهه أحمد علي
أفعالها الطفولية التي ظهرت فجأة بعد أن كانت في
مزاج مدمر منذ عدة أيام بفضل يونس وهذا الزواج،
وبفضله ايضاً قد عادت نوبة غضبها مرة أخرى وهي
تقف أمام ليلي التي ما زالت ترتدي ملابسها نفسها
وقالت بغضب : _ يعني أي نزل، نزل ازاى يعني؟.
نظرت ليلي إلى أحمد الذي يقف في الخلف والذي
صفع وجهه بقلة حيلة، فها هي تعود لما كانت عليه

منذ أيام، أعادت ليلي أنظارها إلى تلك التي تنتظر
إجابة وقالت بعد أن علمت أن أحمد لن يستطيع
السيطرة عليها الآن : _ يا حبيبتي راح يجيب أكل
وحاجات عشان البيت كان فاضي، ونسي يشتري
الحاجات وكدا. هدأت أنفاس نور قليلاً وهي تفكر في
ما تقوله لها ليلي، كانت سوف تسألها أن كانت
تكذب عليها ولكن قبل أن تفعل تحدث مؤكدة : _
متخافيش يا نور مش بكذب عليك، هكذب ليه
يعني؟، بعدين أنتِ مش جبتيلي حاجتي يلا بقا من
غير مطرود. قهقهت نور علي الفور وهي تتراجع
لتغادر بالفعل : _ أيوة بقا، اطرده براحتك يا باشا
مين قدك. وعلي الفور تحدث أحمد مازحاً وهو
يحيط كتفها بذراعه و يفتح الباب بيده الأخرى : _

يلا يا حبيبتي إحنا مش هنقعد نستني لحد ما يجي
جوز الهانم يكمل طرد فينا، إحنا لينا بيتنا برضو ولما
تيجي عندنا هنطردها متزعليش. قهقهت كل من
نور وليلى علي أحمد الذي بالغ بردة فعله وكأنها
بالفعل كانت حزينة من مزاح ليلى معاها، أغلقت
ليلى الباب خلفهم وهي تراه يتحدث بصوتٍ
منخفض بجانب أذنها وعلى الفور صرخت نور
بصوتٍ وصل إلى ليلى التي قد أغلقت الباب بالفعل
بعد أن اختفوا داخل المصعد. _ بجد يا أحمد، طب
هتخرجني فين! قهقهت ليلى عليهم مرة أخرى
وهي تسحب حقائبها إلى غرفتها واحدة تلو الأخرى،
وفي هذه الأثناء وقعت عينها علي الأغراض التي
طلبها يونس والتي كانت عبارة عن كل شيء يمكن

أن يكون داخل إحدى المنازل، خضروات، لحوم، وكل
شيء آخر، هو طلب كل شيء من أجلها ولكنه ليس
هنا، ولا تعلم متي سوف يعود وأين هو علي أي
حال؟.... ' قد لا أملك انتصارات مدهشة ، لكنني
أستطيع إدهاشك بهزائم خرجت منها حيًا! أنطون
.تشيخوف

———— Part Break ————

ن تك... تظل مرارة الغياب مختلفة عن أي مرارة قد
يتذوقها الإنسان في حياته، فالغياب مصاحب لعدة
مشاعر مختلفة أخرى، كالشوق، الحزن، وجلد الذات،
عندما يغيب أحدهم من حياة أحدٍ آخر بشكلٍ
مفاجئٍ يترك خلفه ثغره كبيرة في منتصف قلب
الشخص الذي تركه، يتركه حزين مهموم معظم
الوقت، ودائمًا يفكر في ما الخطأ الذي ارتكبه في
حقه؟، ماذا فعل ليغادر بدون إعطاء تفسير؟ ، ماذا
فعل ليغادر بلا عودة؟ ، هل سيعود أم أن هذا
الشوق سيظل مشتعل في ذلك القلب الحزين إلى
الأبد أو حتى تُفني الروح؟ . حتى وإن أختفي الحب

ستظل تلك الأسئلة حاضرة، سوف يظل القلب
يبحث عن إجابة ليستطيع أن يرتاح وينسى ذلك
الشعور السيء الذي داهمه وقتها، حتى وإن اختفي
الشعور السيء ذاك ومرت السنوات لتتأكل الذاكرة
وتختفي الذكريات من العقل، سوف يظل القلب
يذكر الشخص والدموع التي بكتها عيناه وقتها،
مرارة غياب الحبيب تظل في الحلق حتى وإن عاش
المرء ألف حب. سبتمبر قد غادر مودعًا وواعدًا
بلقاءٍ قريب بينه وبيننا عام يمر سريعًا وبدون أن
ندركه، وأكتوبر كان يحتضر ولم يتبقى في رصيد
حياته سوى يومين، الأيام مرت سريعًا علي الجميع
ولكن ليس عليها هي، ليلي التي ما زال الحزن يخيم
علي حياتها التي اعتقدت أنها سوف تصبح بطعم

الراحة بعد أن تزوجت، أعتقد أنها سوف تتوقف
عن الهروب، الهروب من زياد، ومن سجن حسن
زوج عمته، من الحزن، ومن الواقع الأليم ، ولكنها
كانت مخطئة فيبدو أن الهروب نقش علي جدران
قدرها بحبر غير قابل للأزالة. ففي السابق كانت لا
تتوقف عن الركض هربًا من مخلوقات خلقها الله
لتحسن وتعطف وتحب ولكنها فعلت عكس ما
خُلقت لأجله، وهي الآن ما زالت تركض، تركض
حتى تقطعت انفاسها، ولكن من مشاعر سيئة تنمو
داخلها كشبكة عنكبوت أبرع في صنعها، ولم تنشأ
تلك المشاعر السيئة بشكلٍ قاتل داخلها إلا بسببه
وحده، يونس... الرجل الذي تزوجته منذ أكثر من
شهر، الرجل التي أعتقد أن كل شيء سيكون

علي ما يرام معه وبفضل وجوده معها حتى وإن لم
يكن وجودًا حقيقًا كزوج وشريك حياة، ولكن وجوده
المزعوم قد تبدد سريعًا، ولم يكن هروبه يوم عقد
قرانهم وعودته في وقتٍ متأخر من الليل بعد أن
ظنها نائمة هروبه الأول منها! فهذه لم تكن إلا بداية
حلقة لا نهائية من هروبه منها وجعلها مطاردة من
قبل مشاعر سيئة حاولت دفنها داخلها، طوال الأيام
الماضية لم تراه سوى مراتٍ معدودة، لا يأتي إلى
المنزل إلا كل عدة أيام ليأخذ ما يكفي من ملابسه
في حقيبة صغيرة، حتى في هذه المرات القليلة التي
يأتي بها، أما يأتي متأخرًا جدًا أو مبكرًا جدًا لكي لا
تكون مستيقظة ويلتقي بها، أرسل لها عدة رسائل
وهو يخبرها بأنه مشغول بشكل دائم ولهذا لا يعود

إلى المنزل، ويكتفي بالتأكد أنها لا تحتاج شيء عن طريق الرسائل أيضًا، كل عدة أيام تجد فتى محل البقالة قادم إليها مع الكثير من الحقائق المعبئة بالاطعمة والاحتياجات المختلفة.

ن تك... هي لم تحاول أن تتحدث معه حول الأمر، أعتقدته في البداية مشغول حقًا وأنه سيعود إلى المنزل قريبًا ولكن هذا لم يحدث فغيابه قد طال وأصبح من الصعب عليها أن تصدقه، وحتى بعد أن تأكدت من هروبه منها لم تتحدث بل تركته يقوم بما يجعله مرتاحًا واعدت أن هذا لن يستمر طويلًا، ربما هو في حاجة ليعتاد على وجودها معه فقط ولكنها أدركت أن تلك هي الخطة الذي وضعها

لحياته وليست مجرد فترة فقط وكم كان الأمر
محملًا بالحزن الذي أمطر علي حياتها بشكلٍ
مفاجئ. نور كانت تتحدث معها كل يومين على
الأكثر وتقذفها بوابل من الأسئلة، ماذا يحدث معها
أسفل سقف منزلها الجديد؟ وما إذا كان يونس
يزعجها؟ أو ماذا أن كان وجودها معه لا يحتمل؟،
حتى أن يارا تتصل بها بشكل شبه دائم أيضًا وهي
تسألها بطريقة أكثر عاطفية من طريقة نور الدفاعية
التي تخبرها أنها ترتدي ملابسها ومستعدة لتأتي
وتتخلص من يونس في أي لحظة، وكانت الإجابة من
أجل الاثنين واحدة وهي أن كل شيء على ما يرام.
ودت لو تجد أحدهم لتثرثر له عن ما يحدث معها
وتبكي أمامه حتى تنقطع أنفاسها، ولكن للأسف

هي لم تجد هذا الشخص، فأن أخبرت نور لن
تصمت الأخرى وسوف تهدم هذا المنزل فوق رأس
يونس كما فعلت مع منزل زياد، وهذا ما قد يدمر
علاقة الصداقة الطويلة بين أحمد ويونس، ويارا
كذلك لن تستطيع أن تصمت بل ستخبر مروان
وخلال ساعات سوف ينتشر الأمر ليصل إلى نور
كذلك، والرجل الذي أخبرها أنه لا بأس في البكاء
وظل ينصت إليها وإلى بكائها عبر الهاتف، ليس هنا
ليفعل هذا عن قرب. كان اليوم قد إنتهي والليل قد
حل وليلى تجلس على الاركة في غرفة المعيشة
أمام تلفاز وهي تقلب به بملل باحثة عن شيء يثير
اهتمامها، هي لم تغادر المنزل منذ تزوجت إلا
لتشتري أشياء مهمة لها لا يمكن لفتي البقالة أن

يحضرها، وذهبت إلى تذهب منزل نور عدة مرات لم
تخطي الأربعة ومن بعدها توقفت عن الذهاب،
فمن كان يأخذها من منزلها حتى منزله كان أحمد
ويعيدها إلى منزلها مساءً بعد أن تحجج يونس هذه
المرات القليلة بشأن انشغاله في العمل وقد
صدقته نور خلالهم بصعوبة، ومن بعد المرة الأخيرة
كانت تتحجج لكي لا تذهب إليها فهي واثقة أن نور إن
لم تراه معها مرة إضافية ستشك بهم وهذا آخر ما
تريده. كانت جالسة وغارقة بين أفكارها كالعادة
ولكن أعادها إلى الواقع صوت هاتفها الذي ارتفع
صوت رنينه، ألتقطته من جانبها وكان المتصل أحمد
الذي أجابت عليه سريعًا، وعلي الفور صدر صوته
المازح من الجهة الأخرى : _ الأنسة ليلي ردت عليا،

مش قادر حاسس أن جسمي قشعر، أنا قوت دي
بطلت تيجي يبقا مش هترد عليا ودا بقية عرض
الغرور وكدا. قهقهت ليلي بخفة علي حديثه بعد أن
دخل في صلب الموضوع بدون أي تمهيد، مجارة
لمزاحه قالت : _ لا مفيش غرور وألا حاجة متقولش
كدا بس بحضر لبيات شتوي عشان خلاص الشتا
على الأبواب. ضحكوا معًا للحظات ثم هدأت
الأجواء بينهم، ظلت هي صامته تشعر بأنه ما زال
يحمل كلماتٍ في جعبته وهي السبب في اتصاله بها
من البداية، وهو كان يحاول أن يجد بداية جيدة
لحديثه معها ولم يجد إلا البداية بداية صريحة معها
كما اعتادت منه :

_ بصي يا ليلي بصراحة أنا لسة مروحتش البيت
واتصلت بيكي قبل ما أروح عشان اتأكد إنك
كويسة من غير نور ما تكون موجودة، أنا عارف أنها
بتضغط عليكِ ودايمًا محسساكِ إنك لو قولت لها
حاجة مش حابة تسمعها ردة فعلها هتكون عنيفة
وهتبهدل الدنيا، عشان كدا أي حاجة هتحصل بينك
أنتِ ويونس هتخبي عليها، دلوقتي قوليلي، يونس
عامل أي معاكِ؟. كان حديثه إليها موثرًا فهي لم
تظن أن أحمد قد يخوض معها حديث من ذلك
النوع، فهو كان قريبًا نعم ولكن ليس بالقدر الكافي
ليتصل بها ويسألها بهذه الصراحة وهذا ما جعلها
بنبرة متوترة كما تجيب الجميع : _ الحمد لله يا
أحمد إحنا كويسين، متقلقش أنت نفسك و... علي

الفور قاطعها أحمد أحمد الذي قال بهدوء يناسب
شخصيته من الجهة الأخرى : _ ليلي بصي، مش
نور اللي طلبت مني أتصل بيكِ واللّه وأي حاجة
هتقوليهالي مش هتخرج من بيني وبينك ولو مش
عايزاني أكلم يونس نفسه مش هكلمه في حاجة، أنا
بس عايز أسمع منك واثأكد إنك كويسة، يمكن أنتِ
مش حساني بالقرب دا منك بس أنا من أول ما نور
عرفتني عليكي حتى من قبل ما نتجوز اعتبرتك
أختي الصغيرة، والمشكلة اللي مخلياني قلقان أن
يونس صاحبي من زمان، أنا عارفه كويس وعارف
العند اللي بيركبه لما حد بيحاول يجبره على حاجة،
خليكي صريحة معايا ومتقلقيش، لو أنت مش
مستحملاه ومش عايزة تقعدي معاها قوليلي وأنا

أوعدك مش هخليكي على ذمته ساعة ومش
هخلي حد يجي عليكى حتى لو كان صاحبي.
كلماته كانت كضمانة وضعها أحدهم علي وعاء
مكسور، لم تصلح الكسور في داخلها بكل تأكيد
ولكنها جعلتها تشعر أنه يوجد أحد يعلم بالكسور
داخلها، أحدهم يحاول أن يعرف ما بها ليطمئن
عليها، أحدهم يعلم ما تعانيه بدون أن تتحدث،
وبصعوبة قالت وهي تحاول أخرج الكلمات من
حلقها المبحوح أثر الحزن الذي داهمها : _ مش
عارفة يا أحمد، مبيرجعش البيت غير مرة كل أسبوع
وساعات أكثر ولما بيرجع بيرجع في وقت يكون فيه
نايمة، حتى لما بيرجع لدقايق عشان ياخذ هدومه
بيتجنب يشوفني، معرفش أعمل أي؟، معرفش

ليه؟، أنا مطلبتش منه حاجة والله!. صمت أحمد
لثواني بعد أن استمع إلى صوتها الحزين من الجهة
الأخرى، وبعد أن أخبرته شيء هو كان يستطيع أن
يشعر به من تهرب يونس دائمًا من التواجد حولها،
ولهذا تحدث قائلاً : _ أنا كنت حاسس، أصل يونس
لما بيخاف بيهرب وهو دلوقتي خايف، خايف أنه
يبدأ تاني حياة جديدة، أنتِ عارفة أنا وافقت علي
جوازتكم ليه؟، عشان حسيت أن في حاجة غريبة في
يونس، حسيت أنه مجبر يتجوز اه بس مكنش مجبر
يختارك أنتِ، أنا مش هطلب منك تستحمله أو
تديه وقت، أنا هحافظ علي وعدي ليكي والا هكلمه
والا هقول لنور حاجة وفي أي وقت كلميني قوليلي
إنك عايزة تخلصي الموضوع وأنا هخلصهولك

وهشوفلك شقة وهنساعدك أنا ونور تبدأ حياة
جديدة لوحذك.

ن تك... أنهت ليلي مكالمتها المريحة مع أحمد بعد
أن شكرته على دعمه لها حتى بدون أن تطلب منه
نور، ولم يتركها تنهي المكالمة بدون أن تعده أنها
سوف تتصل به عندما يفيض كيها من هروب
يونس الغير مبرر منها رغم أنها وعدته أنها لن تطلب
منه شيئًا، نهضت من مجلسها بعد أن فاض بها من
الملل واتجهت إلى غرفتها لترتدي ثياب الخروج
الخاصة بها لتخرج لبعض الوقت، ربما تذهب
لتنمشي قليلًا وفي طريق عودتها سوف تشتري
أشياء تحتاجها. إنتهت سريعًا من تجهيز نفسها،

أغلقت التلفاز والأنوار وغادرت بعد أن أغلقت الباب
خلفها بالمفتاح عدة مرات لأجل المزيد من الأمان
للشقة، تسكعت في أرجاء المنطقة لعدة ساعات
بدون أن تنتبه على الوقت، تناولت بعض المثلجات
وزارت عدة أماكن واشترت عدة أشياء لنفسها، وفي
نهاية اليوم بعد أن كادت الساعة تقترب من
منتصف الليل عادت أدراجها سريعًا بعد أن انتبهت
أنها تأخرت، لم يكن ينتظرها أحد ولكنها دائمًا كانت
تملك وقتًا لتعود فيه إلى المنزل وهذه المرة الأولى
التي تتأخر بها حتى هذا الوقت. وضعت المفتاح في
الباب بعد أن خرجت من المصعد الذي وقف في
الطابق الرابع ولكن توقفت في مكانها لثواني وهي
متجمدة وقد غادر اللون وجهها، فالمفتاح قد تحرك

في الباب لمرة واحدة وقد فُتح على الفور وكأنها قد
أغلقت بدون المفتاح، كان هذا مرعبًا أكثر من أي
شيء آخر فلم يخرج في رأسها إلا فكرة أن أحدهم
اقتحم شقتها فعودة يونس في هذا الوقت المبكر لم
تكن متوقعة، فهو لا يعود إلا بعد أذان الفجر أو قبل
الشروق، كانت سوف تعود أدراجها إلى الخلف وهي
تسحب الباب إلى الخارج مرة أخرى لتغلقه بعد أن
خرجت بعض خطوط الضوء من الداخل تؤكد لها
شكوكها. ولكن أحدهم سحب الباب من الداخل
بقوة ليفلت من بين يدها، ويدها الأخرى سقطت
كل ما تحمل داخلها، علبة مثلجاتها والحقائب
الخاصة بها، وتراجعت هي بخطوات كبيرة إلى الخلف
وهي تنظر إلى الدخيل بأعين متوسعة رعبًا، وفي

مقابل رعبها لم تقابل إلا وجه يونس الذي ما زال
وسيمًا رغم الإرهاق البادي عليه، خصلاته كانت
مشتتة وكأنه مرر أصابعه من خلالها ملايين المرات
وعيناه التي كانت تحرق بها باضطراب كانت جميلة
كما اعتادت عليها أن تكون. خرج ذلك النفس
المتوتر من حلقها وهي تنحني بخفة لتلتقط ما
سقط منها وقالت بصوت مهزوز لهذا المتجمد
أمامها : _ خضتني يا يونس، افكرت حد غريب
عرف يفتح الباب. اقترب يونس منها وهو يحمل
الحقائب من يديها بعد أن جمعتهم وعاد بهم إلى
الداخل ليضعهم فوق الاركة، أما عنها فهي ظلت
أرضًا تحاول مسح الأرضية التي لوثتها المثلجات، لم
يأخذ الأمر منها الكثير من الوقت لتفعل لأن اللعبة

شبه منتهية، أخذت القمامة التي خلفتها علبة
المثلجات واتجهت إلى المطبخ بها لتتخلص منها
وتقوم بغسيل يديها هناك ولكن صوت الباب الذي
تم إغلاقه بقوة جعلها تفزع وهي تنظر إلى الخارج
بأعين متوسعة رغم أنها لا ترى الباب أو الفاعل
الذي لم يكن إلا يونس الذي لم يتفوه بحرف منذ أن
وصل، أو قبل أن تصل هي فهو كان هنا قبلها، لقد
علمت أنه غاضب من تصرفه هذا وهي لم تفعل ما
يغضبه إلا حديثها مع أحمد. ابتلعت ريقها وهي
تتجه له بتوتر بعد أن نظفت يديها وهي تدعي
داخلها أن أحمد لم يخلف وعده معها واتصل به
ليوبخه فهي لا تريد أن تتشاجر مع يونس، ربما
تجاهله لها أفضل من الشجار معه ورؤيته غاضب

فهي ما زالت تجهل طباعه ولا تعلم كيف يكون وهو
غاضب، هل يصرخ أم يدمر؟، كانت تسير بهدوء
مزيف ليظهر هو أمام عيناها، يجلس على إحدى
المقاعد بالكاد وهو ينحني ليضع ذراعيه على
ساقيه وكفيه يتخللا خصلاته التي ازداد طولها عن
السابق، كان هادئًا ولكن هدوئه كان كارثيًا في نظرها
فهيئته الهادئة كانت تصرخ بها أنه غاضب كالجحيم.
اقتربت من حيث أشياءها بهدوء وخطوات غير
مسموعة بما أنها تسير حافية القدمين، وخططت
لالتقاط الحقائق والاتجاه إلى غرفتها بهدوء لعله
يصرف نظر عن التحدث معها بشأن ما يزعجه ولكن
ليس كل ما يريده المرء يحدث، فقبل أن تصل إلى
أغراضها حرر هو رأسه من كفيه وهو ينظر إليها

وكأنه شعر بوجودها وأنفاسها المضطربة، وعلى
الفور قال بهدوء بدا لها مختلفًا عن هدوئه المعتاد،
فهو يبدو كهدوء ما قبل العاصفة، وما قاله لها كان
غريبًا لدرجة أنها حدقت به لدقيقة كاملة بدون أن
تعطيه إجابة أو ردة فعل تُذكر، فقط نظرت اليه
مطوّلًا وهي تبحث في وجهه أن كان هذا هو كل ما
يغضبه أو أنه فقط يمهد لحربًا بينهم بعد أن سئم
الهروب : _ أنتِ كنتي فين لحد دلوقتي؟، ومردتيش
علي تليفونك ليه لما رنيت مية مرة؟. ' وأعرف : أن
التراب يخون جميع المحبين إلا البقايا، أجيئك منك
إنتظارًا، وأغرق فيك انتحارًا، أجيئك منك انفجارًا،
واسقط فيك شظايا... وكيف أقول أحبك؟! محمود

درويش.

———— Part Break ————

يوجد كلمات تخرج من الفم لا يمكن للمرء أن
يصدقها فاللسان بارع في الكذب كبراعة أصابع فنان
في العزف على البيانو، يمكن للسان الإنسان أن
يكذب ويلقي كلمات حبيّ وغزل علي شخص لا
يحمل له من الحب ذرة، ويمكنه أن يقول كلماتٍ

قاسية لقلب لم يحب إلا هو، الأفعال كذلك يمكن
تزييفها، فمن السهل أن تعطي إهتمامًا لشخص
تدرك أنه لا يستحقه ويمكنك أن تقوم بممارسة اللا
مبالاة علي شخص يخفق له قلبك كلما مر من
أمامك. كل شيء في الإنسان يمكنه أن يكذب ولكن
ليس الأعين، فأعين الإنسان هي بوابته على
الحقيقة التي تكمن داخله، أعين الإنسان دائمًا ما
تكون صادقة، فالمحب يمكنه أن يتجنب النظر إلى
محبوبه ولكن لا يمكنه إخفاء اللمعة التي تتجول
داخل عيناه حينما يلمحه، الأعين كذلك لا يمكنها أن
تزييف الحب، فإن كنت تكره من أمامك سيحلق
الأمر داخل عيناك وتظهر الضاغينة بها، فالأعين مرآة
الإنسان التي تطل على روحه. وليلى الآن كانت

تنظر إلى أعين يونس التي تكون سهلة القراءة لها
كلما تنظر داخلها وتبحث عن شيء تقرأه بها، ولكنها
الآن لم تجد شيء فعيناه كانت غريبة ومختلفة، لم
تعرف ما الذي تحمله تمامًا وكل مشاعره مختلطة
داخل عيناه كعدة أنواع من العصائر سقطت فوق
بعضها لتعطي شيء جديد لم يسبق للإنسان أن
رأها أو عرف طعمها، الثواني تمر بينهم وهو ينتظر
إجابة لسؤاله منها وهي أعطته إياها تجيبه بهدوء
مزيف كان فقط في أفعالها ولكن عينها كانت
تنتقل إلى كل جزء منه بتوتر وقالت : _ روجت
اشتريت لنفسني حاجات ومخدتش بالي من الوقت
وتليفوني مسمعتوش من الزحمة. لم يجيبها يونس
الذي ظل ينظر إليها فقط بهدوءه الغريب عينه، لا

تفهم ما به؟ ، أهو غاضب لأنها تأخرت في الخارج؟ أو
غاضب لأنها لم تجيب على هاتفها؟، أم غاضب لأنها
خرجت من البداية؟ ، لقد أخبرها ألا تخرج بمفردها
منذ عدة أيام طويلة برسالة صغيرة، لم يبرر أو
يحادثها عن الأمر وجهًا لوجه لتسأله عن السبب وإن
كان الأمر ما زال يتعلق بزياد لهذا تحدثت متسألة
بأول ما ظهر في رأسها : _ عشان كدا جيت؟، عشان
مردتش على التليفون؟. ومرة أخرى تظهر تلك
النظرة المشتتة في عيناه، لا يجيبها وينظر لها بتلك
الطريقة الغامضة التي جعلتها تدرك أنه لا يملك
الإجابة لهذا السؤال، لأنه لا يعرف اجابته وهي قد
فاض بها من صمته، اقتربت من الاريكة تعطيه
ظهرها وهي تنتشل الحقائق من أعلاها وهي تملك

نية بأن تأخذهم وتعود إلى غرفتها ولكنه نهض من
مكانه يقف عندما اتضح له ما ستقوم به وعلي
الفور قال يوقفها مجددًا ويحصل على انتباهها مرة
أخرى : _ أنا سايبلك فلوس مخدتيهاش ليه؟
أغلقت ليلي عيناه لبعض الثواني تحاول أن تحافظ
على هدوئها حتى اللحظة الأخيرة، أنه يستمر في
إلقاء الأسئلة في وجهها لتجيب هي وعندما تتبدل
الأدوار يظل صامتًا، ألتفتت له مرة أخرى وقالت

: بهدوء

_ أنا مش عايزة فلوس شكرًا، أنا معايا. اقترب منها
يونس خطوة عشوائية وقال بحدة لم تعدها منه
سابقًا : _ معاكي فلوس يعني أي مش فاهم؟،

فلوسك شيلها لنفسك أنتِ مسئولة مني دلوقتي

يا ليلي. تركت ليلي حقائبها علي الاريقة ولكن

بحدة أكثر من السابق جعلت عيناه تتبدل بينها

وبين حقائبها ذهابًا وأيابًا عدة مرات، وعلى الفور

تحدثت إليه قائلة كل ما في جعبتها، لن تسأله عن

أي شيء ولكنها سوف تخبره بما شعرت به بسببه

طوال الأيام الماضية : _ مسئولة منك يعني أي؟،

يعني تديني بيتك أعيش فيه وتديني فلوسك

أصرفها، هي دي المسئولية بالنسبالك؟! لم يجيبها

يونس مرة أخرى ولكن الحدة قد اختفت من وجهه

تمامًا وهو ينظر في عينها الممتلئة بالكلمات، تراجع

الخطوة الذي اتجهها إليها وهو يعلم أن فقرة

التحقيق الذي فتحها معها تدفعها الآن لتتحدث بعد

أن كانت صامتة منذ البداية، وبالفعل استمرت ليلي
عندما لم يواجهها منه إلا الصمت، نبرتها كانت مهتزة
كعيناه تمامًا : _ أنت فاكراً أن أنا اتجوزتك ليه يا
يونس؟، عشان أعيش تحت سقف بيتك واصرف
من فلوسك!، طب ما أحمد كان بيدورلي علي بيت،
وأنا معايا فلوسي وكنت بشتغل من سنين، أنا
مكنتش هنام في الشارع أو هموت من الجوع لو
مكنتش اتجوزتني، بس أنا وثقت فيك لما قولتلي
إنك عايز تحميني من الحياة، بس أنت كدا مش
بتحميني، أنت كدا بتعذبني وبتخليني احس مرة
كمان أني حاجة زيادة على حياة الناس اللي حوليا.
تحدث يونس علي الفور مبرراً موقفه بنبرة هادئة
تحكم بها : _ أنا قولتلك أن أني مشغول وعندي..

لم تجعله ليلى يكمل حديثه وقاطعته قائلة : _
متكذبش يا يونس أرجوك، خليك صادق معايا زي
ما كنت قبل الجواز، لما قولتلي إنك مش هتعرف
تديني الحب، وأنا وعدتك ساعتها، وعدتك إني مش
عايزة منك حب ومش هطلبه، يبقا ليه بتعمل كدا؟،
وجودي خنقك لدرجة إنك مش قادر تعيش معايا
تحت سقف واحد حتى وكل واحد فينا في اوضة، أنا
معرفش أنت بتعمل كدا ليه بجد! كان يسحق
أسنانه داخله فمه هي استطاعت رؤية هذا، كان
عاجزًا عن الإجابة أو تبرير موقفه فهي محقة، هو
كان يهرب منها ولم يعتقد أنها قد تتحدث عن الأمر
معه بهذه الصراحة، ولكن يبدو أن زهرة الخريف قد
اكتفت منه، عيناه المضطربة ونظراته المتوترة لم

تجعلها تصمت وتكتفي بما قالت بل استمرت
محاولة وضع حد له : _ لو مش عايزني قولي يا
يونس وأنا هاخذ الخطوة وهخلصك مني ومش
هخلي حد يكلمك كلمة واحدة تدايقك، هروح أنا
لأحمد واقوله اني مش عيزاك، شوف أنت عايز
تعمل أي وقولي وأنا هتصرف، أنا عارفة إنك مش
مرتاح وعشان أنت مش مرتاح أنا مش مرتاحة
كمان، فمتعملش فيا وفنفسك كدا، أنا تعبت،
تعبت ومبقتش عايزة أحس إني عبيء عليك أنت
كمان.

اكتفت ليلي من الحديث والنظر في عيناه المذنبه،
غادرت بسرعة وهي تتجه إلى غرفتها وأغلقت الباب

خلفها سريعًا، فعينها قد أمطرت أمامه وهذا ما
كانت تحاول ألا تفعله طوال الوقت وهي تخبره كل
ما كانت تحمله داخلها من كلمات، وقفت خلف
الباب وهي تحاول أخذ أنفاسها بصعوبة فهي تحاول
ألا تصدر صوتًا أثناء بكائها، لا تريده أن يشفق عليها،
هي تريد أن ترى يونس الحقيقي الآن، تريد أن ترى
يونس الذي أعطته فرصة أخيرة ليقرر ما الذي يريده،
أريد أن يظل يعيش بين أشباح الماضي أو يريد أن
يخطو معها نحو المستقبل. كان الهدوء هو كل ما
تلتقطه من الخارج ولكن خلال لحظة سمعت صوت
غلق الباب الخارجي للمنزل لتدرك أنه غادر مرة
أخرى، لم تشعر بنفسها إلا وهي تجلس أرضًا
وتبكي، تبكي بكل ما لديها ومن أعماق روحها، بكت

بصوتٍ مرتفعٍ وسمحت لشهقاتها بأن تتحرر منها
فلا أحد سوف يسمعها، هي حرة ولديها منزل لها
بمفردها طوال اليوم، ما الذي يجعلها حزينة لتلك
الدرجة؟، لقد وعدته أنها لن تحبه إذا لما تبكي لأجله
لهذه الدرجة؟، هل نكست بوعدا معه أم أنها
نكسته قبل أن تعده؟! كان يتجول
في الطرقات وبين شوارع وازقة القاهرة المزدحمة
طوال الوقت وكل وقت، ترك سيارته أسفل بنايته
وأخذ يسير ويسير بدون وجهة محددة وكل ما
يفعله هو التفكير بعمق في ما حدث وما سببه من
دمار أسفل سقف منزله، المشاعر الذي كان يشعر
بها في داخله الآن كانت الأسوأ منذ سنوات، ومنذ أن
قابل تلك الصغيرة صاحبة الأعين الحزينة التي

تجعلها تبدو كأغسطس في عيناها، حزينة ومعاناتها لا
تنتهي، هو لطالما نظر إليها ووجدتها غارقة في حزنها
ومنذ لقائه الأول بها كانت تبكي وتبكي لأن ما
يحدث معها من سوء لا ينتهي. كان يريد دائمًا أن
يربت عليها ويزيح الدموع عن عيناها لترى الحياة
بوضوح ولكنه اليوم دمر كل شيء، هو كان شخصًا
إضافيًا في قائمة الأشخاص الذين ابكوا عيناها ولا
يعلم أيهما يحزن روحه أكثر، أنها ما زالت تبكي حتى
بعد أن أصبحت معه ووعدتها بالحماية؟ أو أنه من
أبكاها؟. لقد كان يهرب منها وكل ما قالته عنه كانت
محقة بشأنه، وجوده مع امرأة أسفل سقف منزله
أشعره بالاختناق ولهذا ابتعد ومكث في مكتبه طوال
الفترة الماضية، ولكنه كان يهتم بتوفير الراحة لها

عن بعد، كان يراسها ويتصل بها حتى وإن ألقى
التحية عليها فقط وأغلق، ولكن اليوم كل شيء
تغيير عندما أتصل بها ولم تجيب، أكله القلق ولم
يعلم كيف وصل إلى المنزل بتلك السرعة، وعندما
وضع مفتاحه في الباب ووجده مغلقًا أصبح قلقه
مضاعفًا، أستمر في الإتصال بها وهو يتسأل داخله
أين ذهبت بهذا الوقت؟ ، هل من الممكن أن يكون
قد أصابها مكروه؟ ، هل يمكن أن يكون زياد قد
أمسك بها مرة أخرى؟. ولم يهدء قلبه المضطرب إلا
حين سمع صوت الباب عندما فتحتة ورأها أمام
عيناه وسمع صوتها الهادئ كتهويده تغنيها أمًا
لأطفالها، هو لا يفهم شيئًا من ما يحدث معه، كيف
يمكنه أن يشعر بهذا القلق عليها عندما يعجز عن

التواصل معها وفي ذات الوقت يهرب منها، هو لا يفهم أيهما يريد، قلبه أم عقله... كان يفكر طويلاً حتى لم يشعر بالوقت الذي مر سريعاً ولم يسلبه شيء من بين أفكاره إلا صوت أذان الفجر الذي وصل إلى عقله وقلبه معاً، وصوت المؤذن كان صوت مألوف علي أذنيه.

رفع نظره يبحث عن المسجد القريب وهو يفتش عن الصوت في ذاكرته وقد عثر عليه داخل عقله فور أن ابصره، هو وجد نفسه أمام مسجداً يعرفه عن ظهر قلب وهو مسجد قريب من منزل والدي مريم زوجته الراحلة، هو ليس قريب للغاية ولكنه أقرب واحد من منازلهم لهذا كان يأتي إلى هنا ليصلي به

عندما يكون هنا معها وقبل أن يتزوجها، وهو
المسجد الذي قصده باستمرار بعد موتها، ولكنه لم
يأتي إليه منذ وقتٍ طويل، فقد هجر هذه المنطقة
بعد أن عاد إلى حياته ليזحم نفسه بين أعماله
لينسي. اقترب إلى المسجد بخطواتٍ مثقلة وهو
يبتسم بخفة، لربما قدومه إلى هنا لسبب ما، لربما
الإجابة الذي ينبش عنها داخله سوف يجدها هنا،
بين أزقة الماضي... تقدم يونس يقف بين المصلين
القليلون الذين تركوا أسرهم في هذا الوقت ليصلوا
الفجر في بيت الله، وبعد القليل من الوقت هم
صاحب الصوت المألوف والذي لم يكن سوى أمام
المسجد الخمسيني الذي أمَّ بهم في الصلاة التي
قيامها خير من النوم، كان هو الابطئ من بين

المصلين، يأخذ وقته في قول كلمات الله وهو يشعر

أن همومه تحتفي مع كل ركعة يركعها. إنتهت

الصلاة بعد دقائق وعاد الجميع إلى منازلهم عدا،

جلس مكانه أرضاً وهو يحدق في الفراغ، يجلس في

بيت الله ولا ينتظر الإجابة إلا منه، كان الهدوء يخيم

على الأجواء من حوله هو و روحه ولم يخرج من

هدوئه إلا عندما وقف أحدهم أمامه يعيقه عن

التحديق في كل شيء كان حوله، رفع نظره إلى

الأعلى يلتقط نظرة على الفاعل وقد كان الإمام

نفسه والذي لم ينتظر دعوة ليجلس أمامه تماماً

بابتسامة ودودة علي وجهه وبهدوء قال : _ أي

أخبارك، لقيت الرضا جواك وقلبك ارتاح والا لسة؟.

أبتسم له يونس ابتسامة باهتة بعد أن تذكره، أنه

رجل بعمر والده تقريبًا جلس أمامه بهذه الطريقة
عدة مرات بعد موت مريم، في كل مرة كان يجلس
أمامه ليتحدث معه عن ما يحزن قلبه لم يكن
ينهض من أمامه إلا وهو مرتاح البال، وربما لهذا
جلبته ساقاه إلى هنا اليوم، لربما هذا الرجل الذي
يجلس أمامه بهذه الإبتسامة الصادقة هو العبد الذي
يملك الإجابة له. أجابه يونس علي الفور وهو يقول
بهدهوء امتزج بالحزن البادي في عيناه : _ مش عارف
يا حضرة الشيخ، خايف أقول اه أبقا بكذب علي
نفسي وعلى ربنا، وخايف أقول لا ربنا يزعل مني
عشان مش راضي. قال الشيخ قائلًا : _ يبقا مش
راضي يا بني، طالما مش عارف ومقولتهاش
بشجاعة يبقا مش راضي. أوماً له يونس يوافقه

الرأي بعد أبعد عيناه عن أعين الآخر الذي تنظر إلى
داخله قبل خارجه، كان يعبث بأصابعه معًا وهو
يحددق بها بصمت، ولكنه لم يستطيع أن يظل
صامتًا لوقتٍ طويل، وقال وهو يلقي على الشيخ
عدة نظرات متفرقة : _ أنا اتجوزت ثاني من قريب،
مكنتش عايز الصراحة بس ظروفي جدت كدا، حتى
مراي الجديدة كانت ظروفها صعبة وعشان كدا
وافقت تتجوزني بس عارف يا شيخنا، أنا كداب
ومنافق وظالم، قولتلها أني هتجوزها عشان احميها
رغم أن كان في مية طريقة تخليني احميها من غير
ما اتجوزها، إحساس إني ظلمتها مش راضي يخرج
من دماغي من يوم ما بصتلها يوم كذب الكتاب،
وعشان كدا هربت منها وسبتها تعيط لوحدها كل

يوم، أنا صحيح مشوفتهاش بس أنا واثق أن دا
حصل، أنا خليتها تعيط بسببي رغم اني كنت بكره
أشوفها تعيط قبل ما اتجوزها. لم يجيبه الشيخ بل
ظل يحدق في وجهه وهو يحرك رأسه له متفهمًا
وتركه يكمل ما في جعبته : _ أنا حاسس أني بقيت
حقير في عنيا قبل عنيتها، عايز اسيبها عشان أنا
حاسس إنني مش هقدر اتخطى وأنسى ويمكن لما
اسيبها يبقا عندها فرصة تعيش مع حد ميظلمهاش
زيي بس في نفس الوقت حاسس أن فكرة أني اسيبها
مش جزء من خطتي، مش حاسس اني هقدر اسيبها
واسمع بعد فترة أنها اتجوزت أو هتتجوز. أجابه
الشيخ هذه المرة وهو يقول : _ وتفتكر هي
متعرفش؟، تفتكر أنها متعرفش أن كان في مية

طريقة تاني تخليك تعرف تنقذها غير الجواز؟، أنت
محتاج تلاقي أسباب حقيقية لأفعالك وأفعالها،
محتاج تعرف أنت ليه اتجوزتها فعلا؟ ومحتاج تعرف
هي ليه وافقت تتجوزك؟، ليه استحملتك وقت ما
هربت منها وليه كانت بتعيط بسببك كل يوم؟، وليه
مش قادر تسيبها أو تسمع أنها اتجوزت؟ وخليك
عارف يا بني أن محدش بيحس أنه مظلوم في مكان
ويفضل قاعد في نفس المكان، ولو هي فاكدة إنك
ظلمتها كانت سابتك من ساعتها. كانت الأسئلة
الذي ألقاها الشيخ عليه تبدو كالأئلة الحقيقة
الذي يجب عليه أن يعثر علي إجابة لها، لما لا يريد
تركها ولم لم تتركه هي؟، إن كانت هذه العلاقة
مبنية على ظلمه لها لما لم تنتهي حتى الآن؟، وأهم

تلك الأسئلة التي بدأت تنشأ داخله بشكل متتالي
هو ما سبب شعور السوء الذي ظهر داخله؟، هل هو
بسبب عذاب ضميره أم بسبب الرابط بينه وبين
ماضيه والذي لا يمكنه أن يقطعه أم أن ما يربطه
بتلك الفتاة التي تتزين بلون الخريف شيء أكبر من
إدراك قلبه وعقله؟. استمر الشيخ في التحدث معه
وهو يقول : _ ربنا يا بني كتب علينا كلنا الموت،
الموت حاجة لازم تكون مؤمن بيها زي إيمانك بالله
كدا، أنت هتموت وأنا هموت وكلنا هنموت ومفيش
غير ربنا اللي باقي، ولو أنت راهن كل حياتك
ومستقبلك عشان حد الموت خده منك يبقا حرام
عليك نفسك وحياتك اللي مضيعها علي سراب،
عيش يا بني، حد حدفلك حبل نجاة فمتقطعهوش

وتكمل غرق، أنت على الطريق الصح، طالما مش
عايز تسيبها يبقا أنت علي الطريق الصح، طريق
الحب طريق كله صح. كانت الكلمات الأخيرة الذي
قالها الشيخ له قبل أن ينهض كلماتٍ صعبةٍ أحتاج
دقائق ليعيدها داخل عقله ويفكر بها، هل قال
الحب؟ ، أيمكن للقلب أن يحب أكثر من مرة؟، هل
يمكن أن تحتل الصغيرة ليلي قلبه وتجعله يعيش
ذلك الدفء مرة أخرى، لقد جعلها هي تعده بأنها لن
تحبه أو تطلب منه حبًا، إذا لما يشعر بأنه سوف
يعطيها إياه بدون أن تطلبه؟. نظرةٌ، فأبتسامهٌ،
فسلامٌ، فكلامٌ، فموعدٌ، فلقاءٌ. ففراقٌ يكون فيه دواءٌ،
أو فراق يكون منه الداء. أحمد شوقي

———— Part Break ————

ن تك... الخوف والانتظار بينهم علاقة قوية، فشعور
الخوف سيء وشعور الإنتظار اسوأ، وفي بعض
الحالات يجتمع الخوف مع الإنتظار لينتظر المرء قرار
بشأنه والخوف يأكله من الداخل، فربما ذلك القرار
مصيري ويتعلق بحياة المرء العملية وإن كان سوف
يحصل على ترقية أم سيطرد من العمل بشكل
كامل، أو ربما يكون القرار المنتظر بشأن الحياة
الدراسية لأحدي الشباب الذي كل حياته تعتمد

على هذا القرار، أو ربما يكون قرارًا عاطفيًا يهدد
بتحويل قلبك إلى ذرات. في كل الأحوال يكون
الإنتظار كارثي، والخوف في تلك الأثناء يكون مدمرًا،
فأنت لا تعلم أن كانت حياتك سوف تنجو أن كان
ذلك القرار على عكس ما تنتظره، وستكون
محظوظًا أن لم يقتلك الخوف قبل أن يأتي إليك
القرار الذي تنتظره. الليل قد غادر بعد أن مرت
ساعاته عليها زحفاً، الشمس أشرقت علي نافذة
غرفتها تعلن بدء يومًا جديدًا ربما يكون أفضل من
الفائت أو اسوأ، ولكن هي كانت تشعر بأنه حتمًا
سيكون الأسوأ فعلي ما يبدو أنها قد استخدمت كل
سعادتها سابقًا في وقت لا تذكره من حياتها، الصباح
ما زال مبكرًا للغاية فالساعة ما زالت الخامسة

صباحًا وهي كانت ما تزال خلف الباب، لم تعد
تجلس بل تستلقي بملابسها التي لم تغيرها بعد
ولم تتخلص إلا من غطاء رأسها لتحرر شعرها من
قفصه الخانق. كان يصدر منها عدة شهقات تصدر
صوتًا خافتًا رغم أنها قد إنتهت من البكاء قبل بعض
الوقت، لم تكن تريد النوم أو الخروج من الغرفة،
فقط ودت أن تستلقي في مكانها حتى يتألم جسدها
وتنهض من مكانها مضطرة، كان كل شيء هادئًا
ولكن تغيير كل شيء واختفي الهدوء من حولها
عندما سمعت صوت غلق باب المنزل الخارجي،
أعتدلت بسرعة وهي تنظر إلى الخارج عبر الباب
المغلق بنظرات غير مصدقة، لقد عاد يونس رغم ما
قالت له، هي قد توقعته أنه سوف يتوقف عن

القدوم بشكلٍ كاملٍ الآن ولكنه قد عاد بعد عدة
ساعات من مغادرته. اقتربت من باب غرفتها أكثر
بعد أن وقفت وانصتت إليه تتأكد إن كان سيغادر
مرة أخرى أو أنه سوف يبقى رغم استحالة الخيار
الثاني ولكن ما حدث كان غريبًا فخطواته توقفت
أمام باب غرفتها ولم يستمر حيث غرفته كالعادة،
وبعد ثواني من الصمت سمعت صوته الذي أمطر
عليها حزنًا وصل إلى قلبها، كان يتحدث إلى باب
غرفتها كأنها حاضرة امامه ويحادثها هي : _أنا
أسف، أسف على حاجات كثير وأولها إني مش هقدر
اقولك كدا قدامك، أسف عشان خليتك تحسي إنك
عبيء عليا رغم أن أنا اختارتك من بين مليون
اختيار، أسف عشان خليتك تعيطي بسببي، أسف

عشان أنا بحميكي من كل حاجة عدايا، أسف عشان
أنا مشنت وبهرت وعايز أعيش في الماضي، أنا أسف
يا ليلي عشان رغم أني عارف إني بظلمك مش عايز
اسيبك. كان اعتذاره صادقًا لدرجة أن أصوات قلبها
ارتفعت حتى وصلت إلى أذنيها كطبول الحرب التي
وصل صداها إلى كل أركان المملكة، لقد قال انه لا
يريد أن يتركها وهي لا تريد أن تتركه كذلك وخلال
هذه اللحظة تبدد خوفها كأنه لم يكن، صوته كان
نادمًا وعودته إلى المنزل مرة أخرى هذه المرة
بصحبة اعتذاره الصادق جعل سعادتها تعود إليها
مرة أخرى وهي تبتسم إلى الباب ببلاهة، وما جعل
ابتسامتها تتسع هو مغادرته حيث غرفته وعدم
خروجه منها مرة أخرى.

ن تك... اتجهت إلى خزانة لتغيير ملابسها وتذهب
إلى النوم وهي ما زالت تبتسم إلى اللاشيء فيبدو أن
علاقتها به على وشك أن تبدأ عصرًا جديدًا أكثر
دفئًا، فالعصر الجليدي الخاص بهم قد إنتهى بعد أن
أذاب اعتذاره الجليد بينهم. صدر
صوت طرق مرتفع علي الباب جعلها تنهض من
أسفل الغطاء بأعين شبه مغلقة، سحبت حجابها
الذي كان ملقي علي السرير بجانبها ووضعتة على
رأسها تخفي شعرها به وبخطوات سريعة اتجهت
إلى الباب لترى هوية الطارق، نظرت من عين الباب
السحرية ولم تجد أي شخص أمامها، كانت ستعود
إلى الداخل مرة أخرى ولكن صدر صوت الباب مرة

أخرى لتتجه إليه فاتحة هذه المرة ولكن فتحت جزء
بسيط لتري هوية ذلك الخفي وأمام عيناها لم تجد
إلا طفلة صغيرة بالكاد تكون في السادسة. ابتسمت
في وجهها وهي تفتح الباب أكثر لتراها بشكل جيد،
وفي المقابل أعطته الصغيرة ابتسامة ودودة وخجولة
وبهدوء مدت لها الطبق الكبير الذي تحمله بين
يديها وقالت : _ تيتا بعثت دا لأنكل يونس. أخذت
منها ليلي الطبق وهي تراقب خجلها اللطيف وقالت
بصوتها المبحوح أثر النوم : _ اشكريلي تيتا اوي يا
عسولة. فور أن انتهت ليلي جمعتها ركضت الأخرى
بسرعة من أمامها وهي تبتسم بوسع وغادرت نحو
الطابق السفلي، قهقهت ليلي علي لطافتها وهي
تغلق الباب بيد وبالاخري تمسك الطبق، وفور أن

التفتت وجدت يونس يقف أمامها، يستند بكتفه
ضد الحائط ويرتدي ملابس نومه وخصلاته الطويلة
مبعثرة، ينظر إليها بأعين ناعسة وهو يتثائب بخفة،
تراجعت خطوة إلى الخلف بفعل المفاجأة وكاد
يسقط الطبق من يدها ولكنها امسكت به بالأخري.
هي لم تعتقد أنه هنا، أنها الثالثة عصرًا وهو يقف
أمامها بشكل لم تعهده سابقًا، وما زاد الأمر غرابة
كانت ابتسامته الخاملة وصوته الناعس الذي ظهر
عندما تحدث : _ أنتِ ليه كل ما تشوفيني
تتخضي؟ حمحمت ليلي بخفة وهي تتقدم تلك
الخطوات التي تراجعها وقالت : _ مكنتش أعرف
إنك هنا، الوقت مش بدري وأنا افتكرتك في الشغل.
تركته يقف مكانه يحرق بها وأخذت الطبق الذي

كان ينشر رائحة معجناته اللذيذة في الأرجاء إلى
المطبخ، ولم يستغرق الأمر ثواني لتجده يتبعها
بخفة ويستند مرة أخرى علي باب المطبخ وهو
يقول : _ خدت إجازة كام يوم من الشغل. ألتفتت
إليه ليلى تعطيه انتباهها بعد أن القى عليها ذلك
الخبر الغير متوقع ويبدو بأنه قد أدرك أنها تتسائل
لهذا أستمر في التحدث بينما عاد ليبتسم تلك
الابتسامة الغامضة مرة أخرى : _ كنت المفروض
اخذ رأيك قبل ما أخذ الإجازة بس مكنتيش صاحبة
لما رجعت امبارح، فيعني لو مش وراكي حاجة
هنروح أنا وأنتِ اسكندرية نزور أهلي، أنا لسة لحد
دلوقتي مقولتلهمش اني اتجوزت.

ن تك... كان وجهها فارغ من التعابير بشكل كامل،
وهذا ما جعل ابتسامته تغادر وجهه كذلك وهو
ينتظر منها أي ردة فعل تذكر ولكن كل ما قابله كان
الفراغ، كان يعتقد أن أخباره لها بشأن العطلة وزيارة
والديه سيكون إجابة كافية لها بشأن سؤالها عن
خطئه لأجل علاقتهم ولكن الآن وبالنظر إليها يبدو
أنها ما زالت تنتظر منه المزيد، ربما إجابة شافية لها
حتى لو لم تكن صريحة بالكامل، أو ربما اعتراف
شفاف منه بأنه يريد لها في حياته كزوجته، أعاد
خصلاته إلى الخلف يحاول إزالة توتره بهذه الحركة
التي باتت عادة لديه وقال بينما يمرر نظراته إلى كل
جزء من وجهها : _ أنا مش عايز نطلق، أنا عارف إني
غلطان بس لو أنتِ مستعدة تسامحيني ونبدأ من

الأول سافري معايا. أدارت ليلى وجهها إلى الجهة
الأخرى وأعطته ظهرها تحاول إخفاء ابتسامتها قدر
الإمكان ولكن عندما تحدثت إليه بهذه النبذة التي
أخبرت الأعمى أنها تبتسم تسلل الأمل إلى قلبه
مجددًا كما تسلفت الإبتسامة إلى ثغره : _ هنقعد
كام يوم في إسكندرية عشان أحضر شنطتي. كانت
جملتها موافقة منها على بدأ علاقة جديدة معه
وتعهد بأنها قد سامحته علي كل ما مضى وما
تجرعته من تجاهل اتي من كأسه، أخبرها أنهم سوف
يبقوا ثلاثة أيام وسوف يسافروا بعد أن تغرب
الشمس، حضرت الإفطار لهم وتناولوه سوياً وهو
يخبرها بكل شيء تريد أن تعرفه بشأن رحلتهم إلى
الإسكندرية، وبعد أن انتهوا غادرت إلى غرفتها

لتحضر الحقيبة التي سوف تأخذها معهم إلى هناك
والتي كانت حقيبة كبيرة تكفي ملابسها وملابسه
معا فهو لم يريد أن تصيب الشكوك والدته وشيء
بسيط كهذا قد يجعلها تعلم كل شيء يحاول
إخفائه عنها. وضع هو ملابسها في نصف الحقيبة ثم
حملها وأخذها إلى غرفتها، كانت تقف أمام خزانها
تختار ما سوف تأخذه معها وهيأتها ما زالت نفسها،
هي لم تتخلص من غطاء رأسها حتى هذه اللحظة
ولا يعلم لماذا أشعره هذا بالقليل من خيبة الأمل،
ولم يبقى معها أكثر ليجعلها تلاحظ الأمر بل اتجه
إلى غرفته يجهز نفسه ليغادروا بعد أن تنتهي ليلى
من تجهيز الحقيبة وتجهيز نفسها. مرت عليهم
الساعات سريعًا وها هي تتجه إلى الخارج بعد أن

أرتدت ملابسها الخريفة بعد أن أخبرها يونس أن
تفعل فنوفمبر على الأبواب والطقس في الإسكندرية
حتمًا سيكون باردًا وممطرًا، اتجهت أعين يونس
البنية كالفنجان الذي يحمله بين يديه والذي صنعه
لنفسه أثناء انتظاره لها وقد كانت جميلة كالعادة، لم
تكن غاضبة منه وهذا ظاهرًا في عيناها اللامعة التي
جعلته يبتسم إليها، اتجه إلى المطبخ يضع الفنجان
به ثم عاد إليها يأخذ الحقيبة منها ويغادر بها وهي
خلفه تغلق باب الشقة بأحكام. صعدت هي إلى
السيارة أولاً حيث المقعد الذي بجانب السائق
وتركته يضع الحقيبة في الخلف، صعد بجانبها بعد
أن أنهى وأخذ طريقهم إلى الإسكندرية، كان الطريق
إلى هناك هادئًا، لم يتحدثوا معًا طوال الطريق لأن

كل واحدٍ منهم أعتقد أن هذا ما يفضلهُ الآخر، وبدلاً
عن الحديث قامت ليلى بتصفح الإنترنت طوال
الطريق وقام يونس بالاستماع إلى الأغاني الخاصة به.

لا تعلم ليلى كيف مر الوقت سريعاً ولكن بعد عدة
ساعات قليلة وجدت أنهم أصبحوا في الإسكندرية
بالفعل، الطقس كان مختلفاً وأكثر برودة، والهواء
كان برائحة البحر والذي لحسن حظها كان يطل
منزل والدي يونس عليه كما أخبرها هو بعد أن
لاحظ أن عيناها لا ترفع من عليه، وبعد أن وطأت
أقدامهم الإسكندرية وصلوا سريعاً إلى المنزل
المطلوب في تمام الساعة العاشرة ليلاً، توقفت
السيارة أسفل بناء سكني يبدو قديم وجميل في

الوقت ذاته وهنا شعرت ليلى بأن قلبها كان علي
وشك التوقف من شدة نبضه، ومعدتها عادت
لتؤالمها مرة أخرى. خرجت من السيارة بعد يونس
الذي كان يبتسم إليها بخفة كلما التقت عيناه
بخاصتها يحاول أن يطمئنها فكان يستطيع أن
يشعر بقلقها وهي كانت تستطيع أن تشعر بتوتره،
هي تعلم أنه لا يتحدث مع والدته منذ عدة أشهر
ولم يكن يحدث والده إلا خلسة ولكنه لم يخبره
بشأن زواجه ايضًا والآن سوف يطرق بابهم ويخبرهم
الأمر بطريقة صريحة ومباشرة. وقفت هي ويونس
بجانب بعضهم أمام باب المنزل بعد أن صعدوا في
المصعد قديم الطراز بطريقة ساحرة، وبعد أن
تنفس يونس بأعمق ما لديه ضغط على جرس

المنزل ليأتي له صوت والدته من الداخل، الصوت
القوى الذي جعل الدماء تتجمد داخلها وهي تتمنى
أن يكون فقط صوتها القوي، فتحت سلوى الباب
لتظهر أمام وجه ابنها الذي لم تراه منذ أغسطس
عندما كانت في شقيقته. العقدة بين حاجبيها اختفت
وحل الهدوء والحنين علي وجهها، استطاعت ليلي
أن ترى قوة الرابطة بينهم من نظرات عيناها التي
تبادلت من الغضب إلى الهدوء كالطقس بعد
العاصفة، حتى أنها لم تنتبه على وقوف ليلي
بجانبه، ومن الداخل اتي صوت حاتم وهو يسألها عن
هوية الزائر وكان صوته يقترب منهم مع كل كلمة
يقولها وفور أن ظهر أمامهم تهلتت اساريده وهو
ينجفع ويتخطي زوجته أخذ يونس في عناق : _

ابني العاق اللي مسألش عليا أديله أسبوع أو أكثر.
بادلـه يونس العناق بـراحة صدر وهو يبتسم بوسع
علي طريقة ابيه في الترحيب به، ولكنه كان مجبرًا
علي الابتعاد في منتصف ذلك العناق عندما صدر
صوت سلوى الحاد الذي اربعب ثلاثتهم عندما
صرخت قائلة : _ يعني كنت بتكلمه في السـريـا
حاتم كل دا وضاحك عليا! قهقه حاتم بتوتر في
وجهها وقال : _ مكنتش بكلمه طبعـا يا حبيبتـي بس
كنت بحلم بيه، تخيلي بقا أن اديله أسبوع كامل
مظهرليش في الحلم!. كانت سلوى سوف تصرخ به
مجددًا ولكنه جذب انتباهها للفرد الرابع الذي يقف
أمامها بهدوء، وقال بتعجب بينما يمرر نظره بين
ليلي ويونس : _ ألا صحيح، مين دي يا يونس؟.

ابتلعت ليلي ريقها بصعوبة بعد أن باتت تتلقي
نظرات الجميع، وكانت نظرات سلوى بمفردها
تجعل عظامها ترتجف داخلها ولكنها حررتها من
هول نظراتها لتعطي يونس المتوتر حقه من هذه
النظرات، أما هو فلم يبخل عليهم باجابة وعلي الفور
قال : _ ليلي دول بابا وماما، بابا وماما دي ليلي،
مراي. مع نهاية جملة يونس الذي لم يتردد
بتعريفهم عنها للحظة صدرت صرخة عالية من
سلوي التي ضربت صدرها بكفيها الاثنين بهلع
وهي تمرر عيناها المتسعة على مصرعيها بين
يونس وليلي، وفي اللحظة التالية كنت تسقط بعد
أن عجزت ساقها عن حملها، أمسك يونس بها
بسرعة قبل أن تسقط علي الأرض بعد أن كان أول

من لاحظ سقوطها وحاولت ليلى الهالعة أن تقترب
محاولة أن تلملم الأمر بصحبة زوجها الذي وصل
خوفه علي أمه إلى السماء بعد أن أعطت ردة فعل
مختلفة عن المتوقع، ولكن تقاطعت خطوات ليلى
مع حاتم الذي ترك سلوى ليونس الذي حملها إلى
غرفتها واتجه إليها يمد يده لها ليصافحها وهو يقول
بابتسامة واسعة : _ ازيك يا مرات ابني، خليكي
عارفة أن أنا في صفك بكل جوارحي. صافحته ليلى
بهلع وهي تتركه خلفها بصحبة الحقيبة قبل أن
تركض إلى الداخل لعلها تساعد بأمرٍ ما، وتركت حاتم
ليقوم بسحب الحقيبة من الخارج وهو ما زال
يبتسم بوسع غير مصدق أن صغيره ووحيدة قد قام
بها، لقد فتح قلبه وحصل على زوجة، والأهم أنه لم

يتزوج سارة، تلك المتعجرفة التي أثرت طباع
الأجانب عليها والتي تستطيع خداع الجميع عدا هو،
فهو الصعيدي ذو الرأس اليباس الذي وعد يونس
أنه لن يتدخل في شئونه ولكنه كان يخطط أنه أن
كان يخطط ليتزوج ابنة خالته تلك لقيده في المنزل
حتى يعود إلى وعيه، ولكنه في النهاية أبن ابيه الذي
يملك زوق جيد في النساء. وبمناسبة الزوق الجيد
في النساء، هو للتو أدرك أن امرأته قد سقطت فاقدة
للوعي بعد أن أصابها خبر زواج يونس في الصميم،
لهذا تحرك راكضًا إلى الداخل خلف الأولاد ليفحص
زوجته ويقوم بالعناء بها والسيطرة على غضبها
قبل أن تحرقهم جميعًا عندما تستيقظ كتنين
غاضب لأنهم ايقظوه من سباته. وما عَجَبِي موثُ

المُحِبِّينَ فِي الْهُوَى، وَلَكِنْ بَقَاءُ الْعَاشِقِينَ عَجِيبٌ.

عروة بن حزام

———— Part Break ————

ن تك... الجهر بالحب في بعض المجتمعات كالجهر

بالمعصية، وفي مجتمعنا الحب معصية لا يمكن

للمحب أن يجهر بها، فأظهار الحب في الأفعال
والكلمات يعد هنا من مظاهر قلة الإحترام وفي
بعض الإمكان يُعد فجورًا يجب أن نستأصله من
المجتمع كاستأصال ورم خبيث من الجسد، فأول
شيء يأتي داخل رؤس الجميع فور أن يجدو شاب
وفتاة معًا هي اسوأ الأفكار حولهم ولا يظن أحدهم
شيء سوي هذا، فهذا المجتمع لا يدرك أن للحب
أنواع، لا يدرك شيء عن حب الأخوة أو حب العائلة
والأقارب، وهم لا يدركوا أن إظهار الحب بين الزوجين
خارج جدران منزلهم ليس عيبًا أو شيئًا محرّمًا يجب
علينا منعه. وبسبب تلك الأفكار المتوارثة بات
الحب خطيئة يحافظ الجميع عليها لتكون سرًا، سرًا
قُيد داخل صندوق دُفن في أعماق بقاع القلب، لهذا

كبر الأطفال بحاجة لسماع تلك الكلمة من أي
غريبٍ كان لأن عائلتهم لم تمنحهم إياها بشكل كافٍ
وربما لم تمنحهم إياها أبدًا، فيكون الحب بالنسبة
لهم مجرد فكرة أو ظاهرة لا تحدث على أرض الواقع،
ربما بين صفحات رواية، أو بين مشاهد فيلم..
المجتمع والكبار والجميع يعتقدوا أن الحب يفسد
القلوب لهذا يكون أول شيء يكتبوه في قائمة
المنوعات، ويقوموا بتحويل الحب في قلوبهم إلى
تصرفات ديكتاتورية يسيطروا بها على حياة
أطفالهم، وفي النهاية تتحول حياة الجميع إلى جحيم
ولا يفوز أيًا منهم في معركة الحب والمجتمع...
كانت سلوي تجلس علي رأس السرير بينما تستند
بظهرها علي مقدمته، تقبض علي خصلات شعرها

بيدها اليمني وهي تغلق عيناها وتتنفس بصعوبة
وصوت مسموع، ويدها الأخرى داخل قبضة حاتم
الذي يتولى مهمة قياس ضغطها بهدوء، كان الهدوء
هو كل ما يسمع داخل تلك الغرفة وبعض الزفرات
التي تصدر من يونس الذي يجلس بتوتر على
المقعد القريب من سرير والدته الذي يطالعها
بقلق، وجه أنظاره إلى الباب هو وأمه التي فتحت
عيناها شبيهة أعين الصقر تنظر إلى حيث أتى صوت
الخطوات السريع الذي كان يعود إلى ليلي التي
كانت تحمل بين يديها كأس من عصير الليمون.
نهض يونس من مكانه يأخذه منها بشكلٍ سريع
وهو يتجه به إلى أمه التي تحديق في وجه ليلي القلق
كأنها تنتظر فرصة للانقضاض عليها وصيدها، مد

يونس يده بكأس العصير إلى سلوى يحاول أن
يساعدها لتشرب منه القليل لعله يساعدها على
تهذئة أعصابها ولكنها ابعدت عيناها عن ليلى التي
كانت تتنفس بصعوبة وبات جبينها متعرقاً كأنها
تتحضر لتمر بنوبة هلع قريبة، نظرت إلى يونس في
المقابل وبدلاً عن إستقبال الكأس منه تحدثت قائلة
بصوت حاد : _ أنت بتعاندى فيا يا يونس، عشان
قولتلك اتجوز تروح تتجوز في الفترة الصغيرة دي
من غير ما تعرفني قبلها وتجهالي وتيجي وتقولي
مراي، الله أعلم جايها منين كمان. اختفي التوتر
من ملامح يونس وحل محله الحدة وقام بضرب
كأس الليمون علي الطاولة بجانبها بقوة مسبباً
سكب البعض منها وانتفاض جسد الامراتين، فلم

تكن أي واحدة منهم تتوقع ردة الفعل تلك وخاصة
عندما تحدث بصوت منخفض الطبقة أظهر غضبه
للجميع ومعاناته في السيطرة على صوته وردة فعله
:

_ من فضلك يا ماما متتكلميش عنها كدا، ليلي
مراي بنت ناس ومحترمة ومش هسمح أبدًا أن حد
يعاملها معاملة غير كدا، لو حضرتك مش عايزة
تتعرفي عليها وتسمعيني قوليلي وأنا هاخذها
وأمشي. سحبت سلوى ذراعها الآخر من بين يدي
حاتم الذي كان يراقب بصمت وصرخت به قائلة : _
أخرج برا يا يونس، أخرج برا أنا مش عايزة اشوف
وشك دلوقتي، أخرج برا. تراجع يونس عدة خطوات

إلى الخلف وهو يتنفس بصخب أكثر من السابق،
كان قد أخذ طريقه إلى الخارج ولكنه توقف في مكانه
يلتفت سريعًا إلى أمه عندما قالت : _ وأنت كمان
يا حاتم أخرج واقفل الباب وراك، وأنتِ خليكِ.
اتسعت أعين ليلي أكثر بعد أن شعرت بأنها سوف
تفقد وعيها من شدة الخوف فبقائها مع أمه
الغاضبة لم يكن جزءًا من خطتها، نظرت بسرعة إلى
يونس تستنجد به لعله ينقذها من هذا المأزق
ويأخذها معه إلى الخارج، أما هو فقد عاد سريعًا
ليقف بجانب ليلي وهو يمسك برسغها يقربها منه
أكثر وهو يقول بدفاعية : _ أنا كمان هقععد، أو
أقولك خليها هي تخرج وأنا هقولك كل حاجة.
مررت سلوى يديها على وجهها بقلة صبر ثما

صرخت قائلة : _ تعالي يا حاتم خذ ابنك من هنا
بدل ما اقتلكم انتو الثلاثة. وعلى الفور لبي حاتم
النداء وأتى يسحب يونس خلفه والذي سحب ليلي
معه عدة خطوات حتى تركها رغمًا عنه وهو يهمس
لابيه بأنه لا يستطيع تركها مع أمه بمفردها فهو خير
من يعلم ما الذي تقوم به عندما تغضب وتكون
الشياطين في رأسها حاضرة، ولكن حاتم قام بانتزاعه
من الغرفة بسرعة وسلاسة فهو لا يريد أن يتم
توبيخه أمام زوجة ابنه التي قابلها للتو، أغلق حاتم
الباب خلفهم وترك ليلي تحقق في الباب برعب
وكانها تُركت مع وحش الخزانة بمفردها داخل
الخزانة. أعادت وجهها إلى والدة يونس بعد أن
أدركت أنها أطالت النظر جهة الباب وأن يونس لن

يعود لأجلها، ابتلعت ريقها وهي تعتصر حقيبة
كتفها التي لم تخلصها حتى الآن بين كفيها بعد أن
خَلَفَ كف يونس الدافئ حول رسغها بردًا قارسًا،
نظرت إلى وجه سلوى الخالي من التعابير والتي
كانت تبدو كما لو كانت تنظر منها شيئًا ما، لذا
تقدمت منها تجلس على مقعد يونس القريب من
السريـر بعد أن كانت بعيدة عنها، لم تحتاج أن
تستمع إلى أسئلة منها، فالأسئلة كانت تطوف في
عينها وعلي الفور تحدثت هي تخبرها عن نفسها
ما يكفي ليقنعها بموقفها المسالم : _ أنا ليلي
عندي خمسة وعشرين سنة اتخرجت من كلية
الحقوق، لو حضرتك تعرفي نور مرات أحمد صاحب
يونس فأنا وهي قرايب. ابعدت سلوى ظهرها عن

السريـر وهي تقترب إلى الأمام قليلاً وقالت بعد أن
استطاع حديثها أن يجذب انتباه الأخرى التي قالت
: بأهتمام

ن تك... _ أنتِ قريبة نور؟، تقربوا لبعض أي؟.
قالت ليلي علي الفور : _ نور تبقا بنت عمتي.
عادت سلوي لتسترخي أكثر وهي تعيد ظهرها إلى
الخلف مرة أخرى، كان وجهها ما زال حادّ ولكن ليلي
شعرت بأن هذا الخبر جعلها تهدء قليلاً فقط، كانت
سوف تتحدث مرة أخرى لتخبرها المزيد عنها ولكن
سلوي من قالت وهي ما زالت تنظر إليها بذات
الطريقة : _ يونس كان هيكذب عليا عشان كدا
طردته، لما بصيت في عنيه عرفت أن أي حاجة

هيقولها هتكون كذب وأنا محبوبش يكذب عليا،
ممکن يزعل يتجاهل يهرب أو أي حاجة تاني غير
الكذب، لما بيكذب بحس أن تعبى عليه ضاع، فأنتِ
قوليلي حقيقة الحاجة اللي كان هيكذب هو فيها،
قوليلي كل حاجة كان هيخبىها عليا يونس.
امسكت سلوي كأس الليمون البارد من فوق
الطاولة وشرعت ترتشف منه وهي تنصت إلى ليلي
التي لم تبخل عليها بأي شيء داخلها، أخبرتها عن
والديها وعن قرابتها بنور وعرض زواج يونس عليها
وظروفها التي جعلتها تقبل به رغم أنه أخبرها أنه
يقوم بهذا من أجل والدته فقط، أخبرتها كل شيء
تحتاج والدته أن تعلم بشأنه وجلست أمامها بهدوء
بعد أن شعرت بالراحة بعد أن كان الهدوء كل ما

حصلت عليه منها بعد الكثير من الحديث من طرفها

هي وحدها. تركت سلوي الكأس الفارغ على

الطاولة بجانبها وقالت بأكثر النبرات هدوءًا وهي

تنظر إلى ليلي بهدوء كهدهء المحيط بعد عاصفة

مدمرة : _ قوليلي حاجة تخليني أطمئن، صحيح أنا

قولتله يتجوز وصحيح هو عمل كل اللي طلبته ليا

وعشاني بس أنا عايزة أطمئن، عايزة أحس إني مش

هندم عشان اجبرته، عايزة أطمئن إني مدمرتش حياته

أكثر. وفي المقابل أجابتها ليلي بعد لحظاتٍ من

التردد، أجابتها إجابة بدت كأنها تجيبها لنفسها

وعقلها قبل أن تجيبها لأيم قلقه علي حياة أبنها، كان

صوتها منخفض كأنها لا تجرؤ علي رفعه أكثر

وعيناها كانت زائغة تتحرك كثيرًا فهذا الاعتراف

جديدًا عليها ولم تدركه إلا قبل أيام فقط، ذلك
الاعتراف الذي حتى بعد أن أدركته لم يخرج من
قلبها قبلاً وأعلى صوت قالت به كان صوت عقلها،
ولكن ها هي مجبرة علي قولها لشخصٍ آخر ولسوء
الحظ لم يكن هو : _ أنا بحبه. كانت كلمتان فقط
ما تحررتا من لسانها المتردد، ولكنها تجزم أنها
لمحت ابتسامة صغيرة ظهرت لثواني على وجه
سلوى وعادت لتختفي مرة أخرى، عيناها الحادة
اختفت الحدة منها وصدر نفساً عميقاً منها، لم
تخبرها السيدة أمامها أنها شعرت بالراحة
والإطمئنان ولكنها رأت هذا في عيناها وهذا ما جعلها
ترتاح أيضاً بعد أن نجحت بجعلها تطمئن، هي ألقت
كل أفكارها السوداوية خلف ظهرها والشعور السيء

الذي داهمها عندما اعترفت بالشيء الذي قطعت
وعدًا بأنه لن يحدث ووضعت تركيزها على جعل
والدة يونس تطمئن، فالوالدتها أخبرتها أن قلق الأم
على أطفالها كارثي ويسرق السلام من قلوبهن.

ابعدت سلوى الغطاء عن ساقها وهي تنهض
لتنهض ليلى معها بسرعة وتوتر وظلت تتبادل
النظرات معها بصمت في إنتظار ما ستقوله لها
وحكمها النهائي عليها، وفي المقابل نظرت إليها
سلوى بصرامة وقالت بجدية وهي تعيد ضبط
ملابسها بشكل سريع : _ يلا عشان هتساعديني
أحضر العشاء، وأتمنى طبخك يكون أحسن من
الليمون اللي بتعمليه، لولا إنك عملاه في مطبخي

كنت قـولت إنك بتسميني. أطبقت ليلي شفـتيها
علي بعضها البعض تحاول إخفاء ابتسامتها ما
قالته سلوى التي تبدو الآن ألطف من السابق
بالكثير من المراحل، ولكنها حررتها براحة فور أن
اعطتها الأخرى ظهرها وهي تغادر الغرفة أولاً، وكادت
تقهقه عندما استمرت الأخرى في انتقاد العصير
خاصتها بكل جدية بينما تحرك يدها هنا وهناك : _
بجد طعمه بشع، أنتِ واثقة أن دا ليمون من الأصفر
اللي في التلاجة. كان الوضع بالنسبة إلى ليلي
مريحًا، فهي قد تصورت أن الأمور ستسوء عندما
تصارحها بكل شيء عن هذا الزواج وكيفية حدوثه،
ولكن المرأة الغاضبة التي انهارت فور أن رأتها
وعرفت من تكون بدت أكثر تفهّمًا ولطفًا من ما

توقعت، أما عن ردة فعل يونس وحاتم فهي كانت
متشابهة، فكلاهما حدقوا في ذلك المشهد بذهول،
فيبدو بأن يونس الذي كان يقف بالقرب الذي سمح
له والده بأن يقف به لينقذ ليلي أن صرخت خلال
ثواني قليلة وحاتم الذي كان مرتعبًا أكثر من الجميع
لأنه سيكون المتضرر الأكبر أن قتلتها في الداخل لم
يتوقعوا أن تخرج ليلي مبتسمة من تلك الغرفة.
وما لم يتوقعه أيضًا أن تدع سلوي ليلي تساعد
بصنع العشاء بل وكانت تعطيها دروس في الطبخ
وصلت إلى أذان المستمعين، فهذه السيدة
المتغطرة بشأن مواهبها في الطبخ لا تعطي
أحدهم دروسًا إلا إن كان من العائلة، مثل حاتم الذي
قام بهذا لأنها هددته بمنعه من تناول طعامها اللذيذ

أن لم يتعلم القليل، ويونس الذي حافظ علي ماء
وجهه وتعلم بدون أن يجعلها تجبره على هذا، والآن
ليلى ختمت القائمة. جلس يونس علي
الجانب الأيسر من السرير وهو يعبث بهاتفه، كان قد
غير ملابسه إلى أخرى مناسبة للنوم وأخذ مكانه
علي السرير الخاص به، وفي الحمام الملحق بالغرفة
كان صوت الماء صادرًا وداخله كانت ليلى التي
أخذت ملابسه وذهبت إلى الداخل قبل دقائق، كانت
غرفة يونس في منزل والديه لا بأس بها ولكنها كانت
تملك كل شيء عدا الأريكة فهو كان قد اعتبرها
سابقًا غير مفيدة. توقف صوت الماء في الحمام
وبعد دقائق أخرى فُتح الباب لتخرج منه ليلى التي
كانت متوترة بشكل واضح، وذاد توترها عندما

وجدت أن يونس ما زال مستيقظًا بل وينظر إليها
أيضًا بعد أن حرر الهاتف من عيناه الخلابة، اقتربت
هي من السرير بينما تتجاهل نظراتها التي تطاردها،
فهي كانت ترتدي ملابس شتوية للنوم ولكن
المختلف بها أنها لم تكن ترتدي غطاء الرأس فلم
تكن لتستطيع أن تنام به، كان الأمر غريبًا عليها
وجودها معه في ذات الغرفة والآن قد زاد الأمر سوءًا
بوجوده مستيقظًا ورؤيته لشعرها للمرة الأولى منذ
أن تزوجوا.

تحدثت ليلي وهي تحاول الحفاظ على هدوئها
وقالت : _ مفيش غطا تاني. نفي لها يونس الذي
كان ما زال ينظر إلى خصلاتها السوداء المموجة وهو

يحاول أن يكبت رغبته بلمس تلك الخصلات داخله،
وقال وهو يبتعد يعطيها المزيد من المساحة : _
الغطا دا هيكفيننا. هي كانت تخطط أن تنام في
الأرض وترك السرير لأجله بما أنه لا اريكة هنا ولكن
يبدو بأنها لن تستطيع أن تفعل، فالظروف ليست
مناسبة لتبتعد عن السرير، وهو يجهل حقيقة أنها
أخبرت امه بحقيقة زواجهم بناءً على رغبته، وبكل
تأكيد هو لا يريد أن تصيبها الشكوك حولهم أن رأتها
نائمة علي الأرض. اقتربت من السرير بعد لحظات
من التوتر ودست نفسها أسفل الفراش وهي تتأكد
بأن تترك مسافة لأجل راحة كلاهما ولكن السرير
ليس بذلك الكبر لتكون المسافة بينهم مثل حجم
كف اليد فقط، أغلق يونس هاتفه ايضاً وتسطح

بجانبيها وهو يعطيها وجهه ويحرق بظهرها وخصلاتها
الكاحلة، كانت متوترة وأنفاسها هي دليله على هذا
وهو لم يكن يريد أن ينام ولم يكن هناك شيء
ليفعله سوى مراقبتها بينما يبتسم خلسة على
وضعها المبعثر بسبب اقترابهم المبالغ به الذي لم
يكن في الحسبان والتي لم تفكر به أثناء حماسها
للذهاب إلى الإسكندرية. مر بعض الوقت وكلاهما
مستيقظ وكلاهما يعلم هذا، هي لم تستطيع أن
تسترخي وهي تستمع إلى صوت أنفاسه القريبة
منها، وهو لم يزور النوم عيناه، وبعد عدة جولات من
تجاهل بعضهم البعض وأخذ عدة وضعيات حيث لا
يلتقوا بها وجهًا إلى وجه، اجتمعوا أخيرا عن طريق
الصدفة، هي تضع كفها أسفل رأسها وتنظر إليه

بأعين مضطربة وهو ينظر إليها كذلك ولكن بطريقة
ما شعرت أن عيناه تبتسمان لها رغم أن وجهه لم
يكن يفعل، ظلوا يحدقوا في بعضهم للحظات وكان
يونس أول من تحدث بينهم بصوت هامس ظهرت
بحته بها : _ كلميني، عايز أسمعك زي يوم ما
اتقابلنا عند خالد. ابتسمت له ليلي بخفة بعد أن
عادت ذكريات ذلك اليوم لها مرة أخرى وقالت
بهمسٍ مماثل لخاصته : _ بس أنا معنديش غير
حاجات عشوائية، هكلمك في أحوال البلد والسياسة
وبعدين هقولك أنا بحب أكلة أي أكثر وهسألك
ازاي البرتقال فاكهة شتوية والمانجا صيفية. أبتسم
يونس علي حديثها حتى ظهرت اسنانه وقال : _
وأنا هتكلم معاكي عن أحوال البلد وهرد على كل

سؤال غريب بيدور في دماغك وهقولك أن ذوقك
حلو في الأكل. قالت ليلي تلقي في وجهه إحدى
احاديثها العشوائية : _ مامتك طيبة ولطيفة. نظر
لها يونس بأعين مذهولة وقال بعد أن تسطح علي
ظهره بعد أن كان يعطيها وجهه : _ خلاص يا ليلي
اسكتي مش عايز اسمعك، أظن أن دي أغرب حاجة
هسمعها منك طوال حياتنا. انفجرت ليلي مقهقهة
علي ردة فعله المبالغ بها فيبدو أنه اليوم كان
يعيش الخوف بشكل أعمق منها حتى تفتت صورة
أمه اللطيفة من عقله وبات استماعه إلى هذا
الإعتراف منها هي من بين الجميع شيء كارثي،
أستمر يونس يعبر عن غرابة الموقف وهو يزيد من
قهقهات ليلي حدة : _ أنتِ بتضحك، أنتِ متعرفش

ماما اللطيفة دي بترعبنى أنا وبابا ازاي؟!.. استمرت
الأخرى في الضحك وبعد لحظات شاركها هو أيضا
بعد أن عاد ليتلفت لها مجدداً ليستمتع بالنظر إلى
ضحكاتها الحقيقة التي خرجت من قلبها بشكلٍ
أفضل، وبالقليل من الحديث تحولت تلك اللحظة
المليئة بالتوتر إلى أخرى لطيفة، ويمكن لليلي أن
تضعها في قائمة أفضل لحظات حياتها، والغريب في
الأمر أن الكثير من اللحظات في تلك القائمة
القصيرة كانت بصحبته وهدتنها معه ما زالت في
البداية وقد حُلت عقدة هروبه للتو. ' ليذهب كلُّ منا
في طريقه، أنا نحوك وأنتِ نحوي ' جبران خليل
جبران.

———— Part Break ————

ن تك... كل شيء تعطيه العائلة للمرء شيء لا
يمكن لشخص آخر أن يعطيها له، مثل عناق
الوالدين الذي يلخص كل معاني الأمان وانعدام
الخوف، أو كلمة أحبك التي تخرج منهم في أوقات
عشوائية لتكون كتربيطة علي الكتف تساعد على
الإستمرار في الحياة والمضي قدمًا، و الأسئلة التي
تخرج منهم ليتأكدوا أن حياة طفلهم تسير بمثالية
كمياه النهر الجارية، وجملة ' أنا أثق بك ' التي يقولها
عندما يكون لدي صغيرهم قرارًا مصيريًا ليقرره من
أجل حياته. كل تلك الأشياء تتلخص في كلمة واحدة
فقط وهي الحب، الحب الذي تعطيه العائلة للطفل

يكون الحب الأول له، الحب الأول الذي يجربه في حياته ويكون شعوره كشعور تذوقه لنكهة جديدة لم يسبق له أن تذوقها من قبل، وأن لم يحصل الطفل على ذلك الحب من عائلته يكون فارغًا مجوفًا من الداخل ويبحث عن أي شيء ليملاء دواخله بها، وفي النهاية يحصل على مصير من اثنين، والأثنين أسوأ من بعضهم البعض فأما أن يستغل أحدهم فراغ قلبه ويملائه بالسموم بدل الحب مدمرًا ذلك القلب الذي سيتوقف عن البحث عن ضالته، أو يظل طوال حياته يبحث عن الحب ولا يجده ويعيش حياته بقلبٍ محروم وطواق لتذوق تلك النكهة المميزة، فحب العائلة لا بديل له ولا يوجد حب يمكنه أن يكون بديلًا له، فالعائلة لا بديل لها وإن صنع المرء

عائلته الخاصة..... ويونس كان شخصًا ممتلأ بالحب
منذ أن كان طفلًا، طفولته كانت مليئة بالعناق
العشوائي والأحبك التي تقال بلا سبب، كان طفل
والديه الوحيد لهذا عملوا جاهدين ليخرجه طبيعيًا
يمكنه أن يحب ويسامح ويعطف، لم يكن مجوفًا أو
فارغًا وهذا ما جعله يعمل طوال الوقت علي ملأ
القلوب من حوله بالحب والسكينة، والقلب الذي
يتلقي منه السكينة الآن كان قلب ليلي الجاف
كصحراء كبري لا نهاية لها، كانت مجوفة وفارغة من
الحب فقد فقدت حب والديها قبل أن تحصل عليه
وكل ما قابلها بعد هذا كان صحراء قاحلة. لهذا
يخفق قلبها كلما التقط عيناها بخاصته ووجدته
يبتسم لها حتى وإن كان يتحدث مع والده في إحدى

الأمر الجاد، والآن لا تستطيع التوقف عن الضحك
بسبب عشوائية حديثه معها وهي تقف في المطبخ
تغسل أواني الغداء بعد أن ساعدها علي جمع
المائدة بعد أن انتهوا اربعتهم من تناوله معًا في
أجواء هادئة، ولكن توقف الاثنان عن التحدث بعد أن
صدر صوت جرس الباب والذي أعلن قدوم ضيف
لهذه العائلة الصغيرة، نظرت ليلي إلى يونس الذي
أعطى انتباهه إلى الخارج مثلها يترقب القادم. وفور
أن فُتح الباب ظهر صوت يعرفه جيدًا ألا وهو صوت
خالته سوسن التي كانت تلقي التحية على والدته
بصوت مسموع، كانت ملامحه ما زالت هادئة ولكن
أخذت منحني آخر من الدهشة الممزوجة بالرعب
المزيف فور أن سمع صوت سارة التي قالت قبل

أن تلقي التحية علي أي شخص بحماس مبالغ به :
_ خالتو هو يونس هنا، أنا شوفت عربيته مركونة
تحت. أغلقت ليلي صنبور الماء وهي تزيل الماء
عن يديها بابتسامة واسعة فلامحه الخائفة بطريقة
مضحكة لم تكن مناسبة إلى هيأته القوية وملامحه
السمراء الحادة، كانت سوف تتسأل عن هوية
الضيوف وتنتشله من بئر المبالغة الذي يسقط به
كلما يحدث شيء ما ولكن حاتم قد ظهر فجأة من
اللاشي وهو يقول :

ن تك... _ دي سارة بنت خالة يونس، جاية من
أوروبا وعلى الأغلب البرد هناك جمد مخها. حافظت
ليلي علي الجدية في وجهها بصعوبة فهي لم تكن

تعرف ما يحدث هنا ولم تريد أن تشارك حاتم
الضحك ل يبدو كما لو كانت تشاركه السخرية من
قريبة زوجها الذي ينظر إلى والده بملل كأنه كان
يتوقع هذا الموقف منه، وبسرعة قال معاتبًا : _
بابا! نظر له حاتم وهو يرفع كتفيه باعتيادية وقال
مدافعًا عن وجهة نظره : _ أي؟، لازم أعرفها أنها
طقة عشان لو عملت حاجة تبقا عارفة السبب. كاد
حاتم يلتفت مغادرًا ولكنه قال قبل أن يفعل بصوتٍ
هامس : _ متقعديش معاها لوحذك لحسن تاكلك،
أصلها كانت عايذة تتجوز يونس. حرك يونس رأسه
بقلة حيلة علي تصرفات ابيه الذي يراه يغادر بسرعة
نحو الخارج بعد أن حذر زوجة ابنه الذي بات يفضلها
أكثر من ابنه نفسه، أدار وجهه حيث ليلي التي

كانت تنظر إلى اللاشيء بالفعل ويبدو كما لو أنها قد
سقطت في دوامة أفكارها لهذا تحدث سريعًا شارحًا
القنبلة التي ألقتها أبيه في وجهها بهدوء : _ سارة
أختي الصغيرة وإحنا متدربين مع بعض متخديش
علي كلام بابا. أومأت له ليلي بابتسامة أظهرتها
سريعًا لكي لا يصيبه الشك بشأن مشاعرها تجاهه
وحقيقة ما تشعر به الآن بعد أن أتاها ذلك الخبر
الذي لم تراه قادمًا، وباتت ابتسامتها حقيقة أكثر
عندما أشار لها بأن تخرج أولًا وهو يقول بابتسامة
عابثة : _ يلا أخرجي أنتِ الأول. ضيقت عينها
بشك وقالت : _ ليه حساك بتسلمني، أنت
متعرفش أن أول حد بيخرج من المطبخ في أفلام
العرب ويموت. قال يونس قبل أن يقهقه بصحبتها

وهم يذهبوا إلى حيث غرفة المعيشة ليقابلوا
الضيوف الذين أتو فجأة : _ ماما كانت عفريت
فيلم الرعب دا والظاهر أن أنتِ البطلة.
كانت ليلى تجلس أمام كل أفراد عائلة يونس بعد أن
عاد توترها ذاك إلى أقصاه مرة أخرى فها هي تكون
محط الأهتمام والنظرات مرة أخرى، ولكن لا يبدو أن
خالته وابنة خالته قد تقبلوا أمرها بالسهولة الذي
فعل بها والديه فنظراتهم التي كانت تمطر عليها
وحدها كانت غاية في الحدة ويبدو أن أكثر من لاحظ
هذا كان يونس الذي يجلس بجانبها تمامًا على
الأريكة، لهذا تحدث قائلاً بابتسامة صغيرة بالكاد
ظهرت على شفثيه : _ أي يا جماعة رد الفعل دا؟،
دا أنا قولتلكم أخبار حلوة حتي!. وكانت خالته

سوسن أول من تحدثت عن الأمر بعد أن ابعدت
عينها عن أعين ليلي التي تتطبق كفيها على
بعضهم البعض تخرج توترها بهم :

_ ولما هو خبر حلو يا يونس، ليه نبقا آخر من يعلم،
دا احنا حتى محدش قلنا ولو مكناش جينا مكنش
حد هيعرفنا، حتي العروسة لا نعرف أصلها وألا
فصلها. كاد يونس أن يتحدث ولكن سلوي من
سبقتة وهي تتحدث مع شقيقتها بتجهم واضح أثر
توبيخها لابنها وزوجته التي تكاد تختفي في مقعدها :
_ ما خلاص يا سوسن في أي، دا الواحد يقول
مبروك الأول حتى قبل أي حاجة. تراجع سوسن
عن هجومها المبالغت وقالت باقتضاب : _ مبروك

يا سلوى، ألف مبروك يا اختي. بعد أن حل الصمت
علي الجميع للحظات نهضت ليلي وهي تهمس
ليونس بأنها سوف تجلب بعض المشروبات من
الداخل، وعلي الفور غادرت نحو الداخل لتلتقط
أنفاسها بعد أن شعرت كما لو كانت تغرق في
منتصف المحيط لأعوام، وبعد لحظات بدأت تخرج
المشروبات الباردة من الثلاجة وهي تستعد
لتجهيزها ولكن سارة التي ظهرت من اللا شيء
جعلتها تتوقف وهي تتذكر كلمات حاتم لها بعدم
البقاء مع هذه السارة بمفردهم، ابتسمت ليلي في
وجهها وقالت في محاولة لإنقاذ نفسها : _
متتعبيش نفسك، أنا هصب وأجي. ابتسمت لها
سارة وعلي عكس الابتسامة التي رسمت على

ثغرها تحدثت قائلة : _ أنا مش ضيفة علي فكرة،
دا بيت خالتي. أومأت لها ليلي بعد أن أصابها
الحرج وفشلت محاولة التخلص منها لهذا بدأت في
إخراج الأكواب وهي تتجاهلها ولكن الأخرى لم تكن
تملك ذات النية لتجاهلها فهي تحدثت قائلة بعد أن
وقفت سائدة ظهرها علي إحدى الحوائط : _ وأنتِ
أهلك سابوكِ تتجوزي إزاي كدا من غير فرح والا
حتي بارتي صغيرة. قالت ليلي تجيبها ببساطة : _
بابا وماما الله يرحمهم. رفعت ليلي عيناها عن ما
تقوم به بعد أن أتت إليها ضحكة مستهزئة من
الأخرى والتي تحدثت قائلة بطريقة ساخرة : _
الصراحة مستغربتش، لأن أهلك لو كانوا عايشين
مكنوش جوزوكِ كدا كأنك عاملة عاملة، والا أنتِ

عاملة عاملة فعلا يا ليلي. تلك الكلمات الصغيرة
التي صدرت من سارة جعلت الغضب في رأس ليلي
يصل إلى ذروته وكادت تصرخ بها بحدة ولكن الحدة
لم تصدر منها هي بل من يونس الذي اتي من
الخارج ويبدو بأنه كان قريبًا كفاية ليسمع آخر ما
قيل من ابنة خالته إلى زوجته، فور أن ظهر أمامهم
وقفت سارة بعثدال والخوف لمع في عيناها خشية
من أن يكون قد سمعها ويلي ابتلعت ما كانت
سوف تبخه في وجهها إحترامًا له رغم أن قرييته
كانت من لم تحترمه لتوجه لها هذا النوع من الإهانة.
اقترب يونس منهن بلامحه الغاضبة تلك وهو
يقف أمام ليلي الذي سحبها من رسغها لتقف
بجانبه، وفور أن استقرت بجانبه انزلق كفه إلى

الأسفل أكثر ليمسك كفها الصغير داخل كفه
وبحدة صوته قال إلى تلك التي أعادت وجهها إلى
: ملامح أخرى بريئة

ن تك... _ ليلي مراتي محترمة غصب عن أي حد يا
سارة، وأنت مضطرة تحترميها غصب عنك ياما
طوال ما احنا هنا متجيش، وكمان محدش فينا
مضطر يبررلك عملنا فرح والا لا لأن الموضوع
ميخصكيش وميخصش حد غيرنا . حاولت سارة
محادثته بعدة أحرف متلعثمة ولكنه لم يعطيها
الفرصة لتتحدث بل التفت إلى ليلي متوترة الملامح
وقال بنبرة أكثر هدوءًا : _ هاتي حاجتك عشان
هننزل نتمشى. أومأت له ليلي وغادرت بعد أن حرر

كفها من خاصته وعادت إلى غرفتهم تحضر حقيبتها
وهاتفها وتتأكد من مظهرها الأخير قبل أن تذهب
معه، وبعد لحظات ليست بطويلة اتجهت إلى الباب
تفتحه لتغادر لتغادر ولكن كفها توقف في منتصف
الطريق، أنه ذات الكف الذي امسك به يونس قبل
لحظات والتي ما زالت تشعر بالنغزات عليه وطيف
حرارة كفه لم يغادرها، أنها المرة الأولى لهم، المرة
الأولى الذي يمسك بكفها داخل خاصته والمرة الأولى
لها لتشعر بهذا الشعور الذي لا يمكن وصفه من
الدفء والأمان، لقد أمسك بكفها للحظات فقط
ولكن هذه اللحظة سوف تدوم إلى الأبد ففعلته
جعلت الوردة التي يزرعها في قلبها تزهر كما لو كان
الربيع قد حل مبكرًا. فتحت الباب بعد أن ارتدت

حذائها لتجده يقف في الخارج بعد أن جهز نفسه
أيضا، كان متجهم الملامح واستطاعت أن تسمع
الامراتين في الخارج يوبخوا سارة الذي يبدو أنه لم
يكتفي بما قاله لها، بل أعلن عن الأمر أمام البقية
ليهتموا بأمرها من بعده، فور أن وقع نظره عليها
ابتسم لها كأن غضبه قد تبخر وبهدوء مد يده لها
بصمت وهو يراقب روحها المبعثرة وليس عيناها.
أما هي فقد شعرت أن قلبها يكاد يخرج من مكانها
فهذا الرجل ما زال يريد أن يمدّها بالدفء اليوم لهذا
وبدون تردد اقتربت منه تضع كفها داخل خاصته
الكبير وهي تستمتع بذلك الشعور مرة أخرى،
سحبها يونس خلفه إلى الخارج ثم فتح باب الشقة
متجاهلاً جميع الانظار التي سقطت عليهم وغادر بها

إلى الخارج، ومن شدة ما شعر والديه من سعادة
علي هذا المشهد اللطيف نسوا كل شيء يحدث
حولهم وتبادلوا النظرات بسعادة عارمة لم
يستطيعوا إخفائها عن أعين سوسن وابنتها الباكية.
غادر يونس بصحبة ليلى بهدوء، لم يستقلوا سيارة
يونس بل كان هو من يقود الطريق بها إلى حيث
الجهة الأخرى من منزل والديه حيث بحر
الإسكندرية صاحب الرائحة العليقة والهواء الطلق،
وبخطوات زاحفة بدأوا يسيروا معا علي الرمال
الندية من مسافة بعيدة كفاية عن البحر حتى لا
تبتل ملابسهم، ما زالوا يمسكوا بأيدي بعضهم
البعض ولم تتحدث ليلى حتي تحدث يونس بهدوء
بينما ينظر إليها بأسهاب : _ أنا أسف على اللي

سارة قالتله، معرفش ليه قالت كدا بجد أو اتصرفت
كدا، بس الظاهر أن بابا كان عنده وجهة نظر على
تصرفاتها الغريبة والدلع المبالغ فيه اللي خدته من
خالتو وجوزها. كان يشعر بالسوء وهذا كان واضحًا
كأمواج البحر الثائرة في أعين ليلي، و بابتسامة
صغيرة تحدثت مهونة عليه : _ عادي محصلش
حاجة، كل العائلات فيها حاجات زي كدا وعيلتي
خير دليل. استمر يونس في النظر إليها بهدوء ولم
يعلق على هذا، فالتفكير حول البذرة الفاسدة في
عائلتها شيء سوف يجعله يفقد أعصابه وخاصة
بسبب عجزه عن إيجاد طوال المدة السابقة،
وعندما أدركت الأخرى أن صمته قد طال تحدثت
مرة أخرى وهي تنظر إلى الرمال الندية أسفل حذائها

: _ بس أنت تعرف أن زياد كمان مكنش كدا وإن
دلوقتي هو أسوء نسخة من نفسه بسبب دلع عمو
حسن ليه، أصل عمو حسن طول عمره كان نفسه
يخلف ولد أو بمعنى أدق مكنش عايز يخلف بنات،
أصل هو من نوع الناس اللي بيقولوا أن البنات
يجيبوا العار والولاد شرف وعزوة، عشان كدا دايما
كان واقف لنور على الواحدة، ولما عمتو خلفت زياد
كان منتظر وعمو ما صدق، كان بيعمله كل حاجة
نفسه فيها سواً ينفع تتعمل أو لا، لما كان زياد
يغلط كان يصلح وراه من غير حتى ما يعرفه أنه
غلط وأنه مينفعش يكرر الغلط دا تاني. تنفست
ليلي عميقاً الهواء العليل من حولها ثم استمرت في
التحدث قائلة : _ كان كله بيحذره من أفعاله حتي

ماما وبابا بس مكنش بيسمع منهم وكل اللي
بيقوله ومبرره أن زياد ولد، هيعمل أي يعني لو ادلع
شوية، بس الكثير من كل حاجة بتبوظ، الحب الكثير
هوس والكره الكثير حقد والدلع الكثير فساد
ودلوقتي عمو حسن عنده إنسان فاسد ببراعة
والغريب أنه لحد دلوقتي مش مدرك أن ابنه فاسد،
لو بس كان رباه زي ما ربي نور، لو كان عدل بينهم
كل حاجة كانت هتبقا مختلفة. توقفت ليلي عن
السير بسبب توقف يونس الذي يمسك كفها،
عادت خطوة في اتجاهه وحركت رأسها تسأله بصمت
عن سبب توقفه، وهو قد أجابها بسؤال غريبٍ آخر
يضاف في قائمة أغرب ما تفوه به زوجها : _ أي
الإختلاف اللي أنتِ عيزاه؟ ، أي الإختلاف اللي كان

هيفرق معاكي لو كان زياد مش فاسد؟ أنا؟. طرق
قلب ليلي بعنف داخل صدرها بعد أن فهمت إلى
أين أخذه تفكيره، هو يظن الآن أنها نادمة لأنها
تزوجت به وأنه هو الشيء الذي تمنى لو أنها تغييره
لو كان زياد شخصًا مختلفًا، هو ما زال يفكر بشأن
هذا الزواج وإن كان قرارًا صحيحًا أم لا حتى وهو
يمسك بكفها داخل خاصته، ولكنه مرة أخرى يجهل
ما تفكر به عنه، هو يجهل مشاعرها الحقيقة بشأنه
هو وهذا الزواج الذي تعتز به أكثر من الحياة نفسها
وربما عليها أن تعلمه بالقليل فقط من ما تخفيه
داخلها لعل الحرب في عقله تهدأ. وبملامح
مضطربة وأعين متوترة تحول بين تقاسيم وجهه
الوسيم قالت : _ أنا معرفش أنت بتفكر في أي بس

خليك عارف أن لو في حاجة أنا عايزة اغيرها في
علاقتنا كنت هتمني إنها تكون حقيقة أكثر. سحبت
كفها من كفه وسارت أمامه بخطوات أسرع من
خطواتهم السابقة وتركته خلفها يترجم ما قالتها
داخل عقله، وفور أن بثت أجابتها الراحة داخل كل
ركن من أركانه الداخلية تحرك خلفها بخطوات
واسعة ليصل إليها أسرع وعلي الفور التقط كفها
من الهواء سريعًا وقال وهو يسحبها خلفه : _
اجبلك درة مشوية وألا حمص الشام. " الأمر أشبه
بأنني أريدك أن تعلم، ولكني لا أود أخبارك. " جبران
خليل جبران.

———— Part Break ————

حياة الإنسان مليئة بالمعارك والحروب منذ أن ولد
وأبصرت عيناه نور الحياة، يوجد حروب مصيرية
يعيشها المرء ونتيجتها من تحدد كيف ستكون
حياته وإن كانت ستسير كما خطط لها ام لا، ويوجد
أيضاً حروب بسيطة يعيشها كالحفاظ علي الأجواء
الهادئة حتى نهاية يوم حافل، ولكن العلاقات تكون
ممتلئة بالحروب أكثر من أي شيء آخر في الحياة،
ومن الحروب والمعارك الذي لا يخرج الكثيرين منها

محملين بالفوز هي حروب البحث عن أصدقاء،
الأصدقاء الذي يقول البعض عليهم أنهم رفقاء درب
ويقول البعض الآخر عنهم تؤام الروح. فالصديق هو
الجانب الآخر من الشخص، شخص يشبهك ولا
يشبهك في الوقت ذاته، شخص يشاركك كل
اهتمامك ويعرف ما تحب وما تكره وبينكم تكون
النظرة فقط كافية ليفهم ما تفكر به خلال هذه
اللحظة وكل لحظة، الصديق هو الكف الذي يربت
علي كتفك عندما تحتاجه، والعناق الذي يجعل من
حياتك أفضل وكأنك بدأت حياة جديدة لتوك،
الصديق هو الحب الذي أن حصلت عليه فأنت فائز
ولن تقترب الخسارة منك. و ليلى كانت دائماً من
الخاسرين في هذه المعركة وطوال حياتها فشلت في

الإبقاء علي صديق واحد، كانت تملك الكثير من
الزملاء، زملاء دراسة وزملاء عمل ولكن رفيق الدرب
ذاك لم تكن تملكه وتلك الأيام التي قضتها مع
يونس بعد رحلتهم إلى الإسكندرية جعلتها تفهم
معنى الأصدقاء، فهي خبأت حبها له داخلها واكتفت
بما يعطيه لها من ودٍ وابتسامات وهذا ما جعلها
تدرك أنهم الآن أصدقاء يعيشون تحت سقف واحد.
وهذه الصداقة بينهم هي الشيء الوحيد الذي
عادت به من تلك الرحلة، الرحلة التي جعلتها تري
يونس الحقيقي الذي كانت تتطلع لرؤيته، يونس في
منزله وبين والديه البار بهما، بدون أن يكون غاضبًا،
نادمًا، أو عالقًا في الماضي، هي رأت وجهه الحقيقي
بدون قناع البطل الخارق خاصته، وحينها أدركت أنها

واقعة في حب رجل يمكن الاعتماد عليه، رجل تزوج
من أجل إرضاء والدته، رجل ظل مخلصًا للمرأة التي
أحبها قلبه رغم أنها لم تعد في هذا العالم منذ
سنوات ليست بقليلة، رجل وجوده بجانبها كصديق
كان شيء استثنائي جعلها تحبه أكثر. كانت ليلي
تجلس في الشرفة وهي تراقب غروب الشمس
المحمل بالدفء وعقلها مزدحم بالأفكار، تفكر في
الكثير من الأشياء حول حياتها، كيف كانت وكيف
أصبحت، ما عاشته من انعدام الأمان منذ أن فقدت
والديها قبل ما يقرب الستة أعوام وما تشعر به مع
يونس منذ أن التقت به مرة أخرى بعد أعوام من
الهرب وما تشعر به تجاهه وخفقان قلبها بطريقة
عجيبة كلما تلتقي عيناها بخاصته، ابتسمت فور أن

انجرفت أفكارها إليه مرة أخرى وعلي الفور ذهبت
إلى ذكريات عودتهم من الإسكندرية والذي اختلفت
عن طريق ذهابهم حيث الصمت كان رفيقهم
الثالث. وفي طريق عودتهم اختلف كل شيء حيث
الثروة والقهقهة هي كل ما كان يسمع من
سيارتهم، وظل الحديث بينهم مستمرًا عن كل
شيء وأي شيء حتى بعد أن عادوا إلى منزلهم في
وقت متأخر من الليل، وحتى الآن ما زالت الأمور
مستقرة بينهم، وها هي تجلس منتظرة إياه ليعود
من العمل بعد أن جهزت نفسها ليذهبوا معا من
أجل التسوق وشراء بعض الملابس فهم لديهم
زفاف ليحضره بعد أيام قليلة، فخالد الذي كان
يشعر بأنه كان يسير في الاتجاه المعاكس لقطار

الزواج بما أنه الأكبر بين كل أصدقائه وما زال أعزبًا
قد قرر أن يقوم بها أخيرًا بعد أن عثر علي المرأة
المناسبة التي سوف تعوضه عن الأوقات الذي
اضاعها في الإنتظار.

ن تك... وسوف يقيم حفل زفافه في الأيام الأخيرة
من ديسمبر الذي يقال أنه شهر الوقوع في الحب،
ليبدأ عامًا جديدًا مع حبه الذي حصل عليه في
ديسمبر الماضي، واليوم هو اليوم الذي قررته مع
يونس لتذهب إلى شراء ثوب لأجلها وبذلة من أجله
بما أن كلاً من نور ويارا ذهبوا مع أزواجهم مسبقًا
بعد أن خططوا لأيام بأن يذهبوا معًا هن الثلاثة ولكن
يبدو بأن رغبة تعذيبهم لأزواجهم كانت أكبر من

الخطط التي وضعوها سوياً. خرجت من أفكارها
علي صوت رنين هاتفها وعندما نظرت به بسرعة قد
كان يونس هو المتصل، نهضت بسرعة وهي تنظر
عبر الشرفة إلى الأسفل في اللحظة التي أجابت عليه
بها، لمعت الابتسامة في عيناها عندما رأيته يقف في
الأسفل مستنداً علي سيارته وينظر إلى الأعلى كأنه
يقرأ أفكارها ويعرف بأنها سوف تنظر إليه من
الأعلى، وعلي الفور ابتسم لها في المقابل كأنه يفكر
في ما تفكر به وقال بمزاح عبر سماعة الهاتف : _
قفشتك. قهقهت ليلي بخفة وقالت وهي تتراجع
إلى الخلف غالقاً الشرفة : _ طب استناني يا حضرة
الرائد لحد ما انزلك. لم يعلق يونس علي الأمر
بالكلمات بل اكتفي بقهقهة بسيطة صدرت من

ثغره، وعلي الفور أغلقت ليلي الأضواء وهي تسحب
حقيبتها وتتجه إلى حيث الأسفل وخلال دقائق فقط
كانت في الأسفل ولكن يونس لم يكن يقف بمفرده،
كان يقف مع امرأة عجوز جميلة الملامح وامرأة
أخرى شابة وبجانبيهم كانت تقف الطفلة اللطيفة
التي أتت إلى باب منزلهم قبل أسابيع وهي تحمل
طبق من المعجنات، إنها لوجي مع والدتها الأرملة
وجدتها التي كانت تمطر عليهم عدة أطباق لذيذة
كما العادة التي أخبرها بها يونس، والتي لم تتوقف
عندما أخبرها أنه تزوج ولم يعد أعزب بعد الآن، بل
أصبحت ترسل له حصة أكبر لتكفي شخصان.
اقتربت منهم ليلي بابتسامة صغيرة على وجهها
وعلي الفور التقطت أعين يونس هيأتها الناعمة

ليقترب منها خطوة عشوائية وهو يمد يده لها
لتلتقطها سريعًا وهي تقف في تلك الدائرة لتلقي
التحية علي هذه العائلة اللطيفة الصغيرة وهم
يتبادلوا التحية معًا بود فهذا ليس لقائهم الأول على
أي حال، لم يقفوا معًا طويلاً ولكن خلال تلك
الدقائق فقط تمسكت بهم الجدة حميدة ليتناولوا
الغداء معها هي وعائلتها في إحدى أيام يناير الذي
يفصلهم عنه أيام قليلة بعد أن أخبرها يونس أنهم
غير متفرغين الأيام القادمة بشكل كلي. وبعد
مغادرة الجدة بصحبة عائلتها سحب يونس ليلى
خلفه إلى جهتها من السيارة ليفتح لها الباب ويغلقه
من خلفها بعد أن صعدت وعلي الفور اتجه إلى
جانبه منها ليغادروا إلى حيث المجهول، فهو لا يعرف

إلى أين يجب أن يذهبوا وهذا ما جعله يسألها فور أن
تحرك مغادرًا : _ عندك مكان عايضة تروحيه ولا ندور
عشوائيًا؟. أخرجت ليلي هاتفها سريعًا وهي تقول
بينما تخرج له الموقع :

_ عندي مكانين الصراحة، المكان اللي نور راحته
والمكان اللي يارا راحته بس هنروح مكان نور الأول
عشان قعدت تشكر فيه كتير وكمال المكان كبير
وفي بدل كمال. أخذ يونس الهاتف منها ينظر إلى
موقعه ثم أعاده لها بعد أن عرف إلى أين سيذهب،
كان الهدوء بينهم يسيطر علي الأجواء ولكنها
قاطعتة قائلة بهدوء : _ يونس، أنا عايضة اقولك علي
حاجة. نظر يونس إلى هدوئها المثير للريبة بعدة

نظرات متفرقة وهو يعطي اهتمامه للطريق كذلك،
كان يشعر بالفعل أن لديها عدة كلمات عالقة في
عينها البنية ويدها التي كانت تقبض على حقيبتها
جعلته يتأكد من شكوكه، لهذا تحدث يحثها على
الحديث براحة، فهي لا تحتاج أن تكون متوترة لتخبره
بأي شيء كان : _ قوليلي حاجة. ألتفتت له ليلي
قليلاً وقالت كل ما لديها دفعة واحدة : _ الصراحة
أنا عايزة أرجع أشتغل، الأستاذ خالد كان قال لأحمد
إني ممكن أرجع أشتغل في المكتب معاه لما أكون
جاهزة وأنا مش متعودة أقعد في البيت طول الوقت
كدا. أبتسم يونس علي اندفاعها في الحديث بطريقة
لطيفة وعلي الفور أجابها بعد أن وضع شرطه
الخاص الذي سيجعله يوافق على الأمر : _ ماشي

أنا مش ممانع إنك تشتغلي ولو هترجعي مكتب
خالد هكلمه أنا بس بعد الفرح وكدا بس خلي بالك
أنا هوصلك الصبح وهندروح سوي كمان عشان أبقا
مطمئن. أومأت له ليلي بحماس وابتسامة واسعة
وهي تسترخي في مقعدها أكثر، فهي لا تمانع أن
كان سوف يوصلها ولكن على الأقل سوف تعود
لتعمل وتبدأ حياتها العملية في مجال دراستها كما
تمنت سابقًا، كانت سعيدة بهذا الخبر واعتراف
يونس بأنه يقلق بشأنها أوصل مزاجها إلى النعيم
فهذا تقدم ملحوظ آخر في العلاقة بينهم، فسابقًا
عندما كان قلقًا بشأنها لأنها لم تجيب علي مكالماته
عاد إلى المنزل مع الكثير من الأشباح والهواجس
والذي جعلتها تتشاجر معه وتعيش ليلة جحيميه،

ولكنه الآن يعترف بهدوء بأن بقاءه معها سيشعره
بالسلام وينقذه من الغرق في بئر القلق العميق.
مرت دقائق أخرى عليهم ووصلوا إلى المكان الذي
زارته نور سابقًا بصحبة أحمد واشترت منه أشياءهم،
أوقف يونس السيارة في المكان المخصص لها ثم
امسك بكفها مرة أخرى وهم يتجهوا إلى الداخل كما
اعتاد في الفترة الأخيرة ولكن الآن ليلي من كانت
تسحبه خلفها وليس العكس، فالأنثى عندما تكون
على أعتاب المركز التجاري تكون جامحة وتنسى
كل شيء عن طباعها، فور أن باتوا في الداخل وجدت
ليلي نفسها بين مكان شاسع به عدد لا نهائي من
فساتين السهرة وعلي الفور تركت يد يونس وبدأت
تتجول بين الممرات وهي تمر يدها على كل ما

يأتي أمامها والابتسامة في وجهها جعلت من يونس
يراقبها هي بدلاً عن كل شيء آخر حولها

ن تك... فهي كانت جديرة بالتأمل، طفلة في جسد
امرأة يسعدها ملمس الاقمشة الناعمة المطرزة
والمخملية منها ، الابتسامة في وجهها كانت أكثر
شيء حقيقي وقعت عيناه عليها طوال حياته
كقصة عريقة وسريالية لا يجرؤ أحد علي تكذيبها،
وفي هذه اللحظة ود لو يبتاع لها هذا المكان بكل ما
به حتى لو كلفه الأمر حياته كثمان، هو ود لو يري
عينها تلمع بهذه الطريقة للأبد ويجلس هو ليتأملها
إلى ما بعد الأبد، وخلال هذه اللحظة هو قد أدرك أنه
سيحارب لتظل تلك الابتسامة ملتصقة في وجهها

طوال حياتها، هو سيحارب الكون لتلمع نجمته
الصغيرة وسوف يحارب الطقس لكي لا تسقط ورقة
الخريف خاصته عن الشجرة. الأمر بدا عجيبيًا وهو
يستمع إلى صوت نبضات خافقه العالية والغير
مستقرة، لا يفهم ما يحدث معه كلما وقعت عيناه
علي ابتسامتها، وداخله يتسأل، أهو يحب أن يراها
سعيدة أم يحب أن يراها هي حتى وإن كانت اتعس
امرأة في الوجود؟، لا يعلم ولكن يعلم أن داخله غير
مستقر بفضلها هي وعيناها الصغيرة ككفها الرقيق
الذي بات متعلق به كجزءٍ منه. أستمروا يونس في
التحرك خلفها من هنا إلي هناك وهي تتنقل من
زاوية إلى الأخرى باحثة عن شيء يناسبها وبعد
دقائق من البحث عادت إليه وهي تمسك ثوبان بين

يديه ووقفت أمامه بابتسامة كبيرة وقالت وهي
تضعهم أمامه وقالت : _ بص نقيت دول، أنهى
أحلى، الزيتي والا البيئك؟ أبعد يونس عيناه عن
وجهها لينظر إلى الثوبان بجد ليعطيها رأيَه فقد بدت
مصرة على سماعه ولكنه سريعًا قال ما عبر عن
داخله بصدق : _ الإثنين حلوين أوي. ضيقت ليلي
عينها واختفت ابتسامتها وقالت بشك : _ الإثنين
حلوين فعلا وألا أنت بتتبع نصايح مروان اللي بـ
يتجنب بيها النكد. اتسعت أعين يونس بصدمة
وقال مبررًا بشكل سريع : _ لا والله دا رأيي فعلا
الإثنين حلوين وأنتِ أحلى من الاثنين. رمشت ليلي
أمام وجهه عدة مرات والابتسامة علي وجهها تتسع
تدريجًا بدون تصديق، هي لا تصدق أنه غازلها للتو

والنظرة البلهاء علي وجهه جعلتها تدرك أنه أيضًا لا
يصدق أنه قد قال هذا فهو يرمش وهو يحدق بها
ويطبق شفاهه علي بعضها البعض، حممت ليلي
بخفة وقالت بابتسامة : _ خلاص عدت الاختبار
وخذت عشرة من عشرة، أنا هروح البروفة أقيس.
ذهب يونس خلفها لينتظر أمام البروفة والابتسامة
علي وجهه لم تتزعزع، اتجهوا سويًا بعد بعض
الوقت إلى قسم البدلات الرجالية ليختاروا واحدة
لأجله بعد أن استقرت ليلي علي الثوب الذي يسبح
لونه بين اللون الأخضر الداكن والأزرق الداكن، صنع
من قماش ناعم وبه عدة طبقات بسيطة من
الأسفل، واكمامه واسعة وبه تطريز بسيط جهة
الصدر.

وفي القسم الآخر اختارت ليلي من أجله أيضًا بذلة
سوداء اللون أنيقة بينما هو حمل الحقائق من
أجلها وبعد أن انتهوا من هذا القسم قلبت ليلي
المكان رأسًا على عقب باحثة عن ربطة عنق لأجله
بنفس لون فستانها، لم تعجبها درجة فاتحة قليلًا
وأخرى اغمق قليلًا وبدا الأمر مضحكًا ليونس لأن
الوقت الذي بحث فيه عن ربطة العنق كان أكثر
من الوقت الذي اهتموا به بأمر البذلة والثوب معًا،
ولكنها في النهاية عثرت علي مرادها وغادرت ذلك
المكان سعيدة وابتسامتها من الأذن إلى الأذن وغادر
هو مرتاحًا لأنها سعيدة. عادوا إلى المنزل في بداية
الليل وبعد أن اظلمت السماء، تناولوا الطعام التي

صنعتة ليلى قبل أن تغادر معه لأجل التسوق،
وبعد أن انتهوا ذهب كل واحدٍ منهم إلى مكان
مختلف ليقوم بشيء يشعره بالراحة في هذه
الأمسية الهادئة، غادر يونس غرفته بعد أن تلقى
عدة مكالمات خاصة بالعمل وبدأ يبحث عنها بعيناه
وهو يتجه إلى بقعتها المفضلة ألا وهي الشرفة الذي
أعدها سابقًا لتكون مكانًا مناسبًا للجلوس وبالفعل
لم يجدها إلا هناك، تجلس على إحدى المقاعد بينما
تعانق ساقيهما التي ضمتهم إلى صدرها وتبدو شاردة
في اللاشيء. قال يونس يقطع ذلك الصمت وهو
ينظر إلى ظهرها : _ الجو برد أوي يا ليلي أدخلي
لحسن تتعبي. لم تجيبه الأخرى ولم تتحرك حتي
لتبدي أي ردة فعل بل ظلت علي وضعها ليستمر

يونس في الاقتراب وبخفة ربت على كتفها خاشية
من أن يخيفها وعلي الفور التفتت له ليلي وهي
تزيل إحدى سماعات الأذن التي كانت تستقر في
أذنها ولم يراها هو بفضل خصلاتها الداكنة التي
كانت تستقر على ظهرها برقة، وعلى الفور قالت :

_ نعم يا يونس، كنت عايز حاجة، معلش

مسمعتكش. قال يونس بابتسامة صغيرة وهو ما

زال يقف بجانب مقعدها : _ الجو برد، مش

هتدخلي؟. نفت ليلي وقالت معربة عن سعادتها

بهذا الطقس : _ لا مش سقانة الجو جميل.. قعد

معايا لو عايز. لبي يونس النداء بدون تردد وهو

يسحب إحدى المقاعد ليجلس بجانبها تمامًا، وأشار

لها بعينه على الطرف التي كانت تمسكه من

السماعة لتفهم أنه يرغب مشاركتها الأغنية أيضًا
لتعطيها له بسرور، وضعها يونس في أذنه وهو يميل
برأسه عليها أكثر حتى لا تكون المسافة عائق بينهم
وبهدوء يناسب الأجواء تخلل صوت أم كلثوم إلى
أذنيه وهي تغني أغنية يعرفها ويحبها ويبدو أن
ليلى صاحبة الوجه المسرور تشاركه حبه تلك
الأغنية كذلك. هو قد سمع تلك الأغنية عدد مرات
لا بأس بها ولكن الآن خلال هذه اللحظة قد شعر أنه
كان يسمعها للمرة الأولى، فهي قد بدت رائعة كالمرّة
الأولى من كل شيء يعيشه بصحبته، نظر إلى وجه
ليلى المسترخي عن قرب والتي فور أن شعرت به
ينظر إليها من هذا القرب توترت عيناها وهي
تتجاهل تبادل النظرات معه بطريقة أجبرت ثغره

علي الابتسام، ولم يشعر بنفسه والسعادة التي
تتفجر داخله إلا عندما قال : _ ترقصي معايا.
ألتفتت إليه ليلي على الفور تتأكد من أنها قد
سمعتة بطريقة صحيحة ولكن النظر إلى عيناه من
ذلك القرب جعل أنفاسها تعلق داخلها والطريقة
التي كانت عيناه تتجول بين تقاسيم وجهها جعلت
قلبها الضعيف يرتعد وكأن عاصفة قد ضربته،
عاصفة تسمى أعين يونس الواسعة والجميلة
واللامعة، أعين يونس الصريحة التي كانت ترغب
بأن تخبرها شيء ما ولكنها لم تستطيع فك
شفراتها التي تبدو كفنجان ذو مذاق ساحر من
القهوة والتي تيقن داخلك بأنك لن تحصل على
فنجان بذات الطعم طوال حياتك. وهي كانت تدرك

بأنه لا أعين في الوجود أجمل من هذه الأعين التي
تنظر إليها الآن من ذلك القرب، الأعين الساحرة
وهي المسحورة التي لن تسمح لأحدهم بأن ينقذها
من سحره القاتل، ستعيش ذلك الخطر وسوف
تبقى بالقرب من ذلك الرجل الذي ستكون نهايتها
معه شيء من اثنان، أما أن ينهضها حبه من حفر
الشجي التي تملأ قلبها، أما يكون أعماق هذه الحفر
ويثقب حبه قلبها لتعيش إلى الأبد بقلب يهيم عشقًا
وغرقًا في بحور عيناه البنية. لم تكن تعرف كيف
ترقص لأنها لم تجرب أن ترقص رقصة هادئة مع
رجل من قبل فهو رجلها الأول والأخير كما عاينه
قلبها، ولكنها وبعد لحظات من الصمت وتأمل عيناه
أومات له بالموافقة تخبره بلغة الصمت أنها سوف

ترقص معه الآن وغدًا وحتى يفنى العالم، وعلى
الفور نهض يونس وهو يقبض علي كفها البارد
داخل خاصته لتنهض واقفة أمامه وهي مغيبة لا
تبعد عيناها عن خاصته، أما عنه فهو كان يبتسم لها
بطريقة ساحرة وبتروي تقدم إليها عدة خطوات
ليترك بينهم خطوة واحدة فقط. وضعه كفيها حول
عنقه وعانق هو خصرها الذي ارتعش بين يديه
كحال جسدها الذي أنهار فور أن اقترب منها لتلك
الدرجة للمرة الأولى، وعلي ألحان الست التي تعبر
لهم من سماعة الأذن بدثوا يتمايلوا أمام بعضهم
البعض ويحدقوا في أعين بعضهم وكأنهم وحدهم في
العالم، يرتدوا ملابسهم المنزلية ويقفوا في الشرفة
في منزلهم، لم تكن الأجواء رومانسية ولم يكونوا في

حفل كبير ولم تكن الأغنية مناسبة لهذا النوع من
الرقص ولكنهم تخطوا كل شيء ولم يهتموا سوى
بالكلمات، لقد كانوا يتمايلوا على الكلمات التي
تقفز من قلبه إلى خاصتها وتعود إليه مرة أخرى
صانعة أحياناً من الحب ذهاباً وأياباً بينهم وتربطهم
ببعضهم البعض حتى يكون الانفصال مستحيلاً.
وتلك اللحظة التي قالت بها أم كلثوم الكلمات
المفضلة لكليهما اقتربوا معاً قاطعين المسافة
الصغيرة بينهم في ذات اللحظة بدون تخطيط أو
حديث، فقط قلوبهم من اتخذت القرار وعيناهم
صرخت بالموافقة، لتضع ليلى رأسها علي كتفه
الفسيح بينما تضيق ذراعيها علي عنقه أكثر
متشبثة به، ويضع هو رأسه في عنقها يستنشق

رائحتها العطرة وكفه يعبث بخصلاتها كما تمنى أن
يفعل منذ المرة الأولى الذي رأى بها شعرها، لتتحول
رقصتهم الأولى معًا إلى عناقهم الأول، في مكانهم
المفضل في المنزل وفي شهر الحب، ديسمبر. ' يا
أغلى من أيامي، يا أحلى من أحلامي. خدني لحنانك
خدني، عن الوجود وابعديني. بعيد بعيد، أنا وأنت
بعيد بعيد، وحدينا. علي الحب تصحي أيامنا وعلى
الشوق تنام ليالينا! أم كلثوم

———— Part Break ————

تحدث الكثيرون عن الوقت والخيط الذي يربط بينه
وبين الحب والعلاقات، قال البعض أن الوقت ليس
مهمًا في الحب، قد يكون هناك حب من النظرة
الأولى وحبًا من النظرة المئة، قد يكون هناك حب
أول فقط ليسكن قلب المرء طوال حياته، وقد
يسكنه حب ثاني وثالث حتى يصل إلى الحب الذي
يكون محملاً بالأمل والأمان، وقال آخرون أن الوقت
لا يهم في العلاقات أيضًا، فقد تستمر علاقة حب
بدأت في طرفة عين، وقد لا تستمر علاقة حب
عاشت دهرًا كشجرة معمرة امتدت جزورها إلى عمق
الأرض. وعلى الجانب الآخر قال البعض أن الوقت

يداوي جراح القلب وألم الحب ويعيده جديدًا كما لو
أن لا حب مسه، والبعض قال أن الوقت لا يكفي
ليكون ضمادة تحيط جراح الحب من كل جانب وأن
الألم باقٍ كبقاء الأبدية، وفي مكان آخر من العالم
قالوا أن الوقت مقبرة الحب، كلما يمر يزبل الحب
حتى يختفي ويصبح مجرد بقايا يمكن التخلص
منها. أما عن ليلى فهي كانت تقرأ عن تلك الآراء
دائمًا ولكن الآن وهي تعيش أسفل سقف واحد مع
رجلٍ تحبه أدركت أنها كالجميع تملك رأيها الخاص،
فالوقت الذي يمر يمر معهما كصديق وليس بينهم
فبينهم لم يعد هناك حائل، لا الماضي بات عائقًا أو
الندم أو الخوف من المستقبل، وفي قصتها هي لم
يكن الوقت مشكلة أو عائق أو مقبرة، بل كان

فرصة..فرصة لتعيش شيئًا لم يسبق لها أن تخيلت
مثيلًا له. وها هي الآن تعيش نهاية العام مع يونس
بعد أن خرجت منه منتصرة ولم يترك أغسطس
جرحًا إضافيًا داخلها، بل تركه لها ليضمّد تلك الجراح
لأجلها، هو أصبح ضمانة للجروح المؤلمة داخلها
والندوب التي مر الوقت عليها لتصبح منسية في
الأعماق داخلها كسفينة غارقة في منتصف المحيط
ولم يعد يذكرها أحد، وستبدأ معه عامًا جديدًا
وستعيش مع انتصارات وهزائم جديدة ولكنها واثقة
أنهم سيكونون معًا من الآن وصاعدًا كما وعدّها
بعناق صامت قبل أيام. الخميس، الواحد وثلاثون
من ديسمبر. الساعة قد تخطت الرابعة عصرًا
والشمس ما زالت مشرقة كأشراق كل ركن من

أركان القاهرة التي تتجهز للإحتفال بعام آخر جديد
يمر عليها وسكانها وتستعد لاستقبال عام حافل
آخر، وهم أيضًا كانوا علي إستعداد لاستقبال هذا
العام، والشيء الذي سوف ينهوا به هذا العام
ويبدئوا به آخر كان زفاف خالد الذي يتجهوا إليه الآن
بعد أن تجهزوا. صدح صوت رنين هاتف ليلي في
أنحاء السيارة يقاطع فترة تأملها للطرقات بابتسامة
بسيطة، أخرجت من حقيبة يدها الصغيرة تحت
أنظار يونس المتفرقة، وعلي الفور أدارت له ليلي
الهاتف تريه المتصل بابتسامة تحولت إلى قهقهه فور
أن قلب يونس عيناه بملل، فمروان الذي كان يطارده
منذ الصباح بالاتصالات اتجه إلى ليلي الآن بعد أن
أغلق يونس هاتفه بالكامل ليرحم عقله من صوت

صديقه الذي ازعجه حتى السماء منذ بداية اليوم،
فهو لم يكن يريد أن يكون أول الواصلين مثل كل
المناسبات الذي يجتمعوا بها لهذا يستعجل المتأخر
دائمًا.

ن تك... التقط يونس هاتف ليلي من بين يداها
وأجاب بحلق قائلاً : _ عايز أي يا أذكى أخواتك.
تحدث مروان من الجهة الأخرى يصرخ به قائلاً : _
بترد ليه يا عم أنت مش قفلت تليفونك، فين
صاحبة التليفون؟ . إجابته يونس متأففاً : _ يا بني
ماهو تليفون مراتي يعنى أرد براحتي، أنت عايز أي
دلوقتي. قال مروان من الجهة الأخرى متذمراً : _
عايز اسئل الصادقة مراتك انتو فين دلوقتي و يارب

متكنش طبعت عليها كذب وتحوير. قال يونس
يجيبه : _ أحنا في الشتا يا مروان يعني ملكش
حجة، والا الشمس كلت دماغي والا بتاع، استني في
سكات بقا. أنهى يونس المكالمة غير مهتمًا بسماع
إجابة مروان وأعادته إلى ليلى التي تبتسم علي
أفعاله الطفولية بينما تحرك رأسها قلة حيلة، فهو
كان يستطيع أخباره أنهم دقائق وسيصلوا ولكنه
فقط يحب أن يصل مروان إلى ذروة غضبه فهذه
المشاهد نادرة، أبتسم لها يونس عندما حدثت في
وجهه لوقتٍ أطول من المعتاد ولكن ابتسامته
ايقظتها من شرودها لتعود إلى حيث النافذة مرة
أخرى وهي تتمنى لو تختفي بسبب ما تشعر به
من حرج فها هو يمسك بها مرة أخرى وهي تتأمله

ولكنه نبيل كفاية لكي لا يعلق علي الأمر. وخلال
دقائق من القيادة ظهر النيل أمامهم ولمعت مياهه
الزرقاء النقية داخل أعين ليلى التي زادت سعادتها
للضعف عندما أخبرها يونس سابقًا أن خالد قرر أن
يقيم حفل زفافه على متن سفينة ستجول بهم في
النيل لساعات، وها هو الحماس يندفع إلى قلبها فور
أن رأت النيل أمامهم، ولم يستغرق الأمر الكثير
ليصلوا إلى وجهتهم وها هي تتوقف السيارة أمام
المكان الذي تنتظر السفينة داخله. أخذت ليلى
معطفها وحقيبتها واستعدت لتخرج بعد أن اتجه
يونس إلى جهتها ليفتح الباب من أجلها بعد أن أخذ
معطفه أيضًا، امسك بكفها داخل خاصته ليعينها
على الحراك فهي ترتدي كعب عالي وأخبرته لعدداً

غير محدود من المرات أنها تخشي السقوط واحراج
نفسها، تمسكت به ليلي وهي تغادر السيارة على
مهل وها هم يتجهوا إلى الداخل سويًا بعد أن ظل
يونس يحتفظ بكفها بين يديه وبحركة عشوائية وبلا
تخطيط شبك أصابعه بخاصتها ليلمح ابتسامتها
التي ظهرت من اللاشيء رغم أنها لم تكن تنظر إليه
فهي كانت تنظر إلى كل شيء حولها تستكشفه
كالهررة. وبدون أن تشعر قد أغلقت أصابعها على
خاصته أكثر متشبهة به كأنها ستغرق وهو أملها
الوحيد لتنجو، ومغًا خطو إلى الداخل وهم يأخذوا
خطواتهم إلى الأسفل عبر الدرج ليذهبوا إلى حيث
الجميع ينتظرهم علي متن السفينة والذي انتبهوا
إلى دخولهم الأنيق من على بعد لا بأس به،

والحميمية الغير متوقعة بينهم كادت تصيب
الأصدقاء الأربعة بالجنون وهم يراقبوا ما يحدث،
فيونس الذي لم يلقي التحية علي ليلي بعد أن تم
عقد قرانهم كما لاحظ الجميع ها هو يسير بجانبها
الآن بينما يشبك أصابعه بخاصتها وينظر أسفل
قدميها كل وهلة يتأكد من أنها آمنة من السقوط،
وليلي التي وافقت عليه فقط من أجل أمانها
وسلامها تبتسم الآن وكأنها أسعد امرأة في الوجود
وقد بدت كذلك في أعين من يعرفهم ومن لا
يعرفهم.

الشمس قد غادرت وحل الليل على هذه السفينة
التي تنتشر الفرحة وصوت الموسيقى المرتفع منها

في منتصف منبع الحياة في مصر، الجميع يرقص
حول خالد وزوجته ومن لا يرقص يشجع بصوت
مرتفع والسعادة تكاد تقفز من الوجوه، وكان
الأصدقاء من من يشجعوا بحماس بعد أن عاد
الرجال الثلاثة من جولة رقص مع خالد وكل
أصدقائه الرجال الآخرون. قبضت يارا علي يد مروان
وهي تقول بصوت مرتفع أثير صوت الموسيقى: _
خلي بالك اننا هنرقص لما تيجي فقرة الرقص
الهادئ. انتبهوا جميعًا إلى هذا الحديث الشيق بينهم
فهم كانوا يتشاركوا طاولة واحدة فقط، ومن بينهم
مروان الذي نظر لها بإعين متسعة : _ دا ازاي أن
شاء الله؟، وبطنك دي؟. مررت يارا كفها علي بطنها
المنتفخ ذهابًا وأيابًا، فهي على وشك أن تبدأ شهرها

الثامن وبطنها بات كبيرًا، وقالت بعصبية : _ وهي
بطني فيها أي يعني، مش ابنك يا أخويا، خلي بالك
اننا لو مرقصناش هتروحني عند ماما النهاردة.
اختفت العصبية من وجه مروان علي الفور وقال
بابتسامة واسعة : _ هنرقص يا روعي طبعًا، دا أنا
كنت بهزر معاكي. أبعد مروان عيناه عن يارا التي
أومأت له بابتسامة كبيرة وعادت تنشغل بعصيرها
مرة أخرى ونظر إلى أحمد ويونس وبعيناه فقط
حذرهم من الوقوع في هذا المأزق فيارا تكاد تقتله أن
تنفس بجانبها فقط لأنها تحمل بداخلها طفله الذي
يعذبها لتعذبه هي في المقابل، قهقهوا عليه جميعًا
في الخفاء فأن امسكت بهم يارا يضحكوا علي
أفعالها التي تعتقد أن مروان يستحقها لباتوا

شركائه في العذاب. عاد الرجال إلى حيث دائرة
الرقص مرة أخرى ليشاركوا خالد فرحته من قلبهم
وتركوا النساء بمفردهم لتتجه كل الأنظار إلى ليلي
التي تسلط عيناها علي يونس كالصقر، ولكن
النظرات عليها جعلتها تدرك أنها محط أنظارهم
وهذا ما جعلها تدرك أنهم قد شاهدوهم وهم يدخلوا
إلى المكان ممسكين بأيدي بعضهم البعض وعلي
الفور قالت نور أولاً بحماس : _ أي اللي يحصل
بينكم قولي بسرعة هيحصلنا حاجة من أول اليوم.
أومأت يارا بابتسامة واسعة وهي توافق على
كلمات نور المتحمسة والتي تبدو على وشك
الانفجار، قهقهت ليلي علي ردات فعلهم وقالت
دفعة واحدة : _ مش هعرف احلكم حاجة دلوقتي

لو رجعوا هنتقفش بس اه، في حاجة بتحصل بيننا
وكاختصار أقدر اقولكم أن تقريبا علاقتنا بدأت
تمشي طبيعي. صرخت نور ويارا في الوقت نفسه
والشكر لصوت الموسيقى المرتفع الذي جعل
أصواتهم محصورة فقط علي هذه الطاولة، ولم
تعقب أي واحدة منهم بالمزيد بعد أن تواعدوا أن
يلتقوا قريبا في منزل يارا ليتحدثوا عن كل ما يحدث
مع هذه الليالي التي أشرقت ابتسامتها في وجوههم،
بعد بعض الوقت انخفض صوت الموسيقى بشكل
تدريجى لتبدأ اغنية انجليزية مناسبة لرقصة هادئة
بين العروسين ليعود الجميع إلى مقاعدهم ويتركوا
الساحة لهم فارغة ليبدئوا هم الرقصة أولاً.

وبعد أن اكتفوا العروسين من الرقص اتجهوا إلى
مقاعدهم ليحصلوا علي القليل من الراحة وفي هذه
الأناء بدأت اغنية هادئة أخرى ليتجه الأزواج إلى
ساحة الرقص ومن بينهم يارا التي جرت مروان إلى
هناك لتحصل على الرقصة الهادئة التي تمنتها منذ
بداية اليوم، ولحق مروان أحمد الذي سحب نور إلى
هناك ليرقصوا أيضا ولم يتبقى على الطاولة إلا
ليلي التي تنظر إلى الثنائيات التي باتت تملأ ساحة
الرقص بأعين لامعة. التفتت إلى يونس تنظر إلى ما
يقوم به عندما شعرت أنه هادئ بطريقة غريبة، وقد
كان ينظر إليها ويحدق بها كما تفعل معه هي
معظم الوقت، ولكنها أدركت أنها تفضل أن يمسك
بها وهي تحدد أفضل من ما تشعر به من إحراج

الآن بفضل نظراته إليها، حركت رأسها تسأله أن كان

يريد منها شيءً وعلى الفور قال هو : _ مش

هنرقص؟، المفروض إننا كنا بندرب عشان نرقص

النهاردة والا اي؟ قالت ليلي : _ دا انت حاطت

خطة بقا. أوما لها يونس وهو ينهض بينما يقوم

بترتيب سترة بذلته وعلى الفور التقط كفها

ليساعدوها علي النهوض وهي لم تكن لتمانع،

فالرقص معه شيء رائع سوف تحب أن تقوم به

دائمًا، اتجهوا إلى ساحة الرقص ليعانق يونس كفها

وخصرها وتركوا أنفسهم يتمايلوا مع الألحان وهم

يحدقوا في أعين بعضهم بتناغم ، قاطعت ليلي

الصمت بينهم وقال بهدوء : _عايزة اسئلك سؤال

واقولك على حاجة أبدأ بأنهي؟. أختار يونس

بسهولة وقال : _ قوليلي على حاجة الأول. أومأت

ليلى وابتسامة حاولت إخفائها قدر الإمكان قالت :

_ فاكروم ما اتخانقنا لما رجعت البيت عشان أنا

مردتش عليك وكنت تحت؟ أومأ لها يونس بصمت

لتكمل هي قائلة ما جعل عيناه تتسع حتى أخرها :

_ لما رجعت بليل أنا كنت صاحية وسمعتك لما

اتكلمت قدام الباب. علي الفور قال يونس بصدمة

جعلتها تقهقه على ردة فعله : _ متهزريش! نفت

له ليلي بين ضحكاتها تأكد له أنها لا تمزح وأنها

بالفعل سمعت اعتذاره الدافئ ذاك، وبعد أن إنتهت

من الضحك وظل هو محتفظاً بملامح وجهه

المصعوقة استمرت قائلة بابتسامة واسعة : _

الصراحة دا كان أجمل اعتذار اسمعه طول حياتي

وخلاي احترمك أكثر، عشان الراجل اللي بيعتذر
اليومين دول يستحق كل الإحترام اللي في الدنيا، هو
أنت ازاي متربي كدا، دا مش فخ صح؟

قهقه يونس علي ما تقوله ونظرية المؤامرة
الملتصقة في كل حديث يخرج من ثغرها ونفي لها
مؤكدًا أنه ليس فخًا بل أنه مجهود والديه وليس
أكثر، وبعد أن إنتهوا من الضحك قالت ليلي
مستمرة : _ السؤال بقا وخليك صريح معايا لو
كذبت هعرف. قال يونس بمزاح : _ هتعرفي ازاي لو
كذبت؟ قلبت ليلي عيناها بغرور مصطنع وقالت :
_ مامتك عرفتي كل أسرارك ومنهم ازاي أعرفك
وأنت بتكذب. لم يجيبها يونس علي هذا بل ظل

ينظر لها بصدمة وهو لا يصدق أنها كسبت قلب
والدته لتلك الدرجة التي سوف تعلمها هذه الأشياء
عنه، هو كان يظن أن الأمور بينهم سوف تتعقد أكثر
بعد هذا الزواج ولكن خلال ثلاثة أيام فقط كونت
ليلي علاقة عميقة مع والدته وحتى هذا اليوم هم
يتبادلوا الإتصالات معا بشكل دائم ويتبادلوا وصفات
الطعام والحلوة ذهابًا وأيابًا. قاطعت ليلي أفكاره
عندما قالت سؤالها الجدي الذي لم يتوقعه : _
أنت اتجوزتني ليه؟، اشمعني أنا يعني رغم أن أي
واحدة ممكن تتقدملها وتعرفها موضوع مامتك
كانت هتوافق عادي وأولهم سارة بنت خالتك؟.
صمت يونس لثواني واستمر في النظر إليها بينما
يبحث داخله عن إجابة لأجلها وبعد لحظات تحدث

قائلاً بصوت هادئ بدي لها أجمل من لحن الأغنية
الذي يرقصوا عليها : _ أنا مبحبش اللون الأسود
بس لما بصيت في عينيكِ عرفت إنها الحاجة السوداء
الوحيدة اللي هحب ابصلها طول حياتي. رمشت
ليلى أمام وجهه بذهول وأعين متسعة علي
مصرعيها والخجل أكل وجنتيها وقلبها الذي نبض
بعنف داخل داخل أسواره أسواره، لا تصدق ما
سمعته من هذا الرجل الخطير ككلماته وابتسامته
البريئة في وجهها وهو يشاهد اضطرابها جعلت من
وضعها أسوء فهي أدركت أنه لم يكن يكذب. إنتهى
ذلك الزفاف في وقت متأخر من الليل وبعد أن دقت
الساعة الثانية عشر بعد منتصف الليل، صرخوا معا
جميعا وقتها يعدوا مع العشرة ثواني الأخيرة من

العام وظلوا معا حتى بدأ العام التالي توثيقًا لهذه
السعادة الذي يعيشونها سوياً، وبعد أن وصلوا إلى
البر مرة أخرى غادر كل واحدٍ منهم مع زوجته
المنهكة بعد أن ودعوا بعضهم. وقفت سيارة يونس
أسفل البناية وبعد أن غادروها توقف يونس قائلاً :
_ نسينا نعدي على المطعم نجيب أورد الأكل
بتاعنا. قالت الأخرى بهدوء : _ تعالا نرجع نجيبه
سوي. رفض يونس قائلاً باصرار : _ لا اطلعي أنت،
رجليكي وجعتك من الجاذمة طول اليوم، أنا هروح
وأجي بسرعة. أومأت له ليلى موافقة على ما قاله
فهي بالكاد تقف على ساقيهما بسبب الألم الذي
سببه لها الكعب فقد ارتدته طويلاً وللمرة الأولى منذ
وقتٍ طويل، تحركت صاعدة أولاً وهي تترك يونس

يقف أسفل البناية ليتأكد من أنها صعدت بأمان
وبعد أن لوحث له من الشرفة بابتسامة ميزها حتى
من هذه المسافة غادر في سيارته ليجلب العشاء
الذي طلبه سابقًا وكان من المفترض أن يمر ليأخذه
ولكنه نسي الأمر من فرط إرهاقه. أما عن ليلي
فهي تخلصت من حذائها فور أن رآته يغادر وتركت
معطفها وحقيبتها على الأريكة، وهمت بخلع غطاء
رأسها وهي تتجه إلى حيث غرفتها لتغيير ملابسها
ولكن جرس الباب قد ارتفع في أنحاء شقتها لتعود
لوضع الغطاء على رأسها مرة أخرى وهمت بفتحه
بدون أن تنظر إلى الطارق بينما تتحدث معتقدة أن
يونس قد عاد لسبب ما : _ نسيت حاجة معايا والا
... أبتلعت ليلي باقي حديثها فور أن فتحت الباب

وظهر الطارق أمامها، فبدلاً من رؤية زودها يونس
الوسيم صاحب الحلة المهندمة رغم ما مر به طوال
اليوم وجدت كابوسها يقف أمامها على الباب، غير
مرتب نحيف بطريقة غريبة والهالات أسفل عيناه
يمكن أن تقاس ويبدو مظهره مخيفاً بكل المقاييس
وبصوتٍ مهزوز كدقات قلبها المرتعدة قالت بهمس
لأن صوتها لم يعينها على التحدث بطبيعية : _
زياد. أبعيناك سحرٌ أم إني من العاشقين؟. ريا
الرفاعي.

———— Part Break ————

ن تك... خوف الروح من الروح أكثر صعوبة من
خوف الروح من الشيء، فالخوف الثاني يفني مع
فناء الشيء ولكن الخوف الأول دائمًا حاضر ومتجدد
ولا يختفي حتى وإن اختفت الروح من الوجود، فلا
يوجد شيء أكثر قسوة على الإنسان من الأناس
الآخرون من حوله، من يعرفهم ومن لا يعرفهم من
بينهم ، وكلما ازدادت الروح ضعفًا زاد الخوف داخلها
ولا شيء يمكنه أن يعينها على هذه الشجرة السامة
التي تنمو داخلها وتبث السم بها كالأكسجين .
فالخوف يملك تأثير موزيًا على القلب كتأثير الظلام
على الأعين، فكلما طال بقاء الإنسان في الظلام

أصابه العمى أسرع حتى ينسى كيف كان يبصر
الحياة وكيف كان يبدو النور، وهذا هو حال الخوف
على القلب، أن طال داخله يسيطر عليه ويصنع له
قبرًا من الهواجس والكوابيس حتى ينسى القلب
كيف كان يعيش ولا شيء يمكن القيام به وقتها
سوي تجاهل ذلك الخوف ودفنه أولًا قبل أن يفعل
هو مع روحك وقلبك، لعله يسأم ويفني ذات يوم.
وهذا ما كانت ليلى تعيشه طوال الأشهر السابقة،
فهي كانت تحاول تجاهل ذلك الخوف الذي ينبت
داخلها يومًا بعد يوم، خوفها من ظهور زياد مرة
أخرى في حياتها وظل الفساد يحيط به ليغرقها في
فساده ذاك ويكون خروجها عسيرًا، هي تزوجت
يونس لتنجو منه وهو قد حافظ عليها بعيدًا عن

شره طوال الأيام السابقة، ابقاها في المنزل ليبعدها
عن الخطر قد الإمكان ولكنها الآن تقف في مواجهته
بعد أن طرق بابها بنفسه بينما ينظر إليها بابتسامة
واسعة أخبرتها أنه ومنذ زمن طويل دق زياد طبول
الحرب بينهم. تراجعت ليلي خطوة إلى الخلف
وعلى حين غرة دفعت الباب تحاول غلقه في وجه
الضيف الغير مرغوب به ولكنه اعترض طريقه
بيديه الأثنين وهو يدفعه إلى الداخل بعنف وعبر إلى
الداخل بينما يراقب ملامحها المفزوعة بابتسامة
مستمتعة، وبسخرية تحدث قائلاً : _ كدا يا ليلي
تقفلي في وشي الباب وأنا اللي جاي أقولك مبروك
عشان اتجوزتي الباشا. تراجعت ليلي عدة خطوات
أخرى وهي تراقب تقدمه منه بخطواتٍ زاحفة،

نظرت إلى الباب من خلفه خلسة لتجد أنه لم يغلق
تمامًا فهو بحاجة أن يدفعه أحدهم من الداخل
ليخلق بشكل كامل، والآن كل ما عليها فعله هو
ألهائه لتغادر نحو الأسفل فالبقاء معه أسفل سقف
واحد كابوس لا تريد أن تغرق به مرة أخرى. تنفست
عدة مرات بهدوء وهي تحاول أن تسيطر على
ارتعاش كفيها وصوتها وقالت بهدوء : _ أمشي يا
زياد قبل ما يونس ما يرجع، وأنا مش هقوله أنك
كنت هنا صدقني، ولو عايز فلوس هديك بس
أمشي. اقترب منها زياد خطوة أخرى لتراجع هي
أخرى تحافظ علي مسافة امنة بينهم وقال بصوته
الساخر مرة أخرى : _ المفروض اني أخاف منه
يعني والا أي؟، أنا مش عارف أنتِ ليه دايماً بتقللي

مني، يمكن عشان كدا حبيتك، أصل ستي كانت
بتقول أن القطة مبتحبش إلا خناقها.

قالت ليلي تجيبه بينما تحدق فيه بكل الكره التي
تحمله له داخلها : _ دي النفس المريضة اللي
بتحب اللي بيخنقها، زيك كدا بالظبط، وخليك عارف
وفاهم إنك مش بتحبني أنت بس عجبك فكرة إني
مش عيزاك وأنتك مقدرتش توصل للي كنت عايزه
مني، أنت عايز تتملكني كشيء مش كأنسانة
بتحبها زي ما بتقول، اللي أنت فيه دا مرض ولازم
تتعالج منه عشان الراجل الحقيقي مبيجبرش ست
تعيش معاه أو تحبه. أوما لها زياد وهو يقول بينما
حلت ابتسامة صغيرة غير صادقة علي وجهه بعد

أن لعبت كلماتها في أعصابه : _ زي يونس كدا اللي
روحتي اتجوزتيه من غير إجبار، يونس اللي معاه كل
حاجة مش معايا، شغل ومنصب فلوس وشقة
وعربية، يونس اللي خلاني متسول في الشوارع من
شهور ومش عارف اروح بيتي والا أشوف أهلي.
سحقت ليلي أسنانها بغضب وهي تتراجع مجددًا
حتى وصلت إلى الحائط خلفها وقالت : _ كان في
إيدك تبقا أحسن منه لو عوزت، كان في إيدك تتعلم
وتشتغل ويبقا معاك كل اللي معاه بس أنت
متستهلش عشان كدا ربنا مداكش، أصل ربنا ليه
حكمة في كل حاجة ومن حكمته أنه خلاك كدا
مفيش في إيدك حاجة وإلا كان فسادك هيطول
الكل، أمشي من هنا زياد، أنا مش عايزة اسمعك

ومش عايضة اتكلم معاك، سيب القاهرة وروح أي
مكان تاني واشتغل وابدأ على نضافة ووعد مني لو
لقيتك بقيت مختلف هخلي يونس يبطل يدور
عليك. ظل زياد في مكانه بدون حراك وهو يحدق
بها بهدوء مثير للقلق بعد أن اختفت المتعة من
وجهه كاختفاء ابتسامته، وبهدوئه المريب عينه قال
وكأنه لم يسمع كل ما قالت له : _ عارفة، أنا
مبقتش عايزك بس رغم اني مبقتش عايزك مش
هسيبك عشان هو يتهنى بيكي، أصل أنا من لما
كنت صغير أبويا علمني أن الحاجة اللي مقدرش
أخذها من حد أقوى مني اكسرهما عشان ميفرحش
هو بيها، عشان يبقا في عدل وألا أنا أخذ الحاجة والا
هو كمان. أرتعبت ليلي أكثر من كل الدقائق

السابقة التي مرت عليها معه، وكل الغضب والقوة
التي زيفتها قد اختفت وحل الخوف محلها موقظًا
كل الخوف المدفون في قلبها، وعندما رآته يخطو
بتجاهها أدركت أنه سوف يفعل شيئًا ما بها وانهاالت
الأفكار السيئة على رأسها ولكنها لم تكن تملك
الوقت الكافي لتحليل الأمر وعلى الفور أدارت ظهرها
له تنوي الهرب إلى الغرفة لتغلق علي نفسها بعد أن
فشلت خطة خروجها من الشقة بعد أن وقف زياد
أمامه يعيق الطريق عليها. كانت تفصلها عدة
خطوات فقط على الغرفة ولكنه قد لاحظ الأمر
سريعًا قبل أن تخطو خطوة جهة الداخل وعلي
الفور اطبق كفه الكبير علي شعرها وهي يسحبها
إليه بعنف ليصطدم جسدها في خاصته الذي رغم

ضعفه ما زال قويًا، تواجهت عيناها الدامعة الخائفة
مع عيناها الحمراء الحاقدة وبجانب أذنيها قال بهمس
: _ فاكرة، آخر مرة اتقابلنا لما كنتِ عايشة تحت
سقف بيتي قولتلك حاجة، قولتلك يا أنا يا القبر
وطالما أنتِ مش عيزاني يبقا هوديكِ القبر بأيدي،
والنهاردة هحقق وعدي بس الفرق أن أنا اللي مش
عايزك يا بنت خالي.

فور أن أنهى زياد كلماته في اذنها دفعها بأقوى ما
لديه جهة الأرض لتسقط بعنف وهي تصدم ذراعها
الأيمن بإحدى الأركان الخشبية للطاولة الصغيرة
التي تتوسط غرفة المعيشة، صرخت ليلي بأعلى
صوتها صرخة متألمة وظهر الألم الظاهر عن تلك

الضربة علي وجهها سريعا، وبدأت عيناها تبكي
بدون حساب، نظرت إليه وهو يقترب منها برعب
وأعين متسعة على مصرعيها وبأسرع ما لديها
حاولت أن تعود إلى الخلف زحفاً لتهرب من بين
قبضتيه ولكنه تخلي عن هدوئه وركض إليها بينما
يسحبها من إحدى ساقيها لتقترب منه أكثر وعلي
حين غرة وجه لها صفعة قوية أدارت وجهها إلى
الجهة الأخرى وادمت طرف شفيتها لتخرج منها
صرخة قوية أخرى. فرق زياد بين ساقيه وجلس
فوقها ليعيق عن الحراك وقال متشفياً وهو ينظر
إلى وجهها الباكي المرتعب والمتألم : _ صوتي،
جوزك حبيبك مش هنا عشان يلحقك، ولما يرجع
مش هيلاقى منك غير جثة ساقعة وريحتها تقرر.

تململت ليلى أسفله تحاول دفعه من عليها وهي
تستمر في الصراخ طالبة المساعدة بأعلى ما لديها
من قوة فحياتها تعتمد على هذا، هي تعلم أن
يونس ليس هنا وليس قريب ولكنها فقط تمت لو
يعود إلى المنزل الآن لينقذ حياتها كما انقذها من
الحياة، لم تدم صرخاتها طويلاً وفجأة انقطع صوتها
عندما اطبق زياد بكفيه علي عنقها يخنقها ويسلب
منها أنفاسها التي كانت تلتقطهم بصعوبة بالفعل
بسبب الخوف الألم والبكاء، وضعت ليلى كفيها
فوق كفيه تحاول أن تهرب منهما او تدفعه عنها
ولكنه لم يكن يتحرك، ينظر إليها وكأنها شيء
الوحيد الذي يكرهه في الكون. لقد نسي كل شيء
بينهم في هذه اللحظة وهو يخنقها سالبًا منها حياتها

الثمينة التي لم تعش منها شيئاً، نسي قرابتهم و
الدماء التي تربط بينهم، نسي كيف كان والديها
يحبونه ويعاملونه كأبنهم الصغير وكيف كانت تحبه
هي وعدد المرات التي ربت على كتفه بعطف، لقد
نسي كيف أعطته سريرها هو وشقيقته عندما كانوا
يأتون إلى منزلها مع والدتهم عندما كان يصيب
حسن الجنون، لقد نسي زياد أنه ذات يوم أخبرها أنه
يملك شقيقتان أكبر منه عمراً وليس واحدة فقط،
ولم يتذكر أي شيء سوى خيالات صنعها له عقله
المريض الذي أفسدته السموم الذي كان يشربها.
كانت تجرح كفيه بأظافرها لعل الألم يعيده إلى وعيه
ولكن هذا لم يحدث، هو ظل يخنقها وبدأت هي
تتوقف عن المقاومة كلما مرت الثواني عليها

وروحها تهدد بالخروج من جسدها بعد أن ارهقتها
الحياة ومن بها، وخلال لحظة كانت فيها بين الوعي
واللاوعي شعرت بكفي زياد يرتخوا على عنقها
حتى توقف عن خنقها، وفي تلك اللحظة كان الشيء
الأخير الذي سمعته قبل أن تفقد وعيها كان صوت
الجدة حميدة التي دفعت جسد زياد بقوة ليسقط
جسده الهامد بعيدًا عنها، كانت تصرخ بأبتها التي
كانت تحمل بقايا مزهريّة بأن تتصل بيونس ليأتي
إلى هنا في الحال. هي قد فقدت وعيها ولكن قلبها
صرخ في آخر لحظات الوعي خاصتها بأنها تريده
حولها، هي تريد يونس بجانبها ليخبرها بأن كل
شيء على ما يرام كما تحب أن تسمع منه، هي
كانت تريد الرجل التي تحب حولها ليكون وجهه آخر

شيء تراه أن كانت هذه هي نهايتها ولكن اللون
الأسود حاوطها ليتوقف عقلها عن التفكير وتهدي
الآلام التي تشعر أنها تنهشها من الداخل والخارج

ن تك... .. كانت تلك الدقائق الذي

قاد بها يونس سيارته عائداً إلى المنزل أصعب
الدقائق التي مرت عليه منذ سنوات، كان كل شيء
على ما يرام قبل أن تتصل به ابنة الجدة حميدة
لتخبره بصاعقة زلزلت هدوئه، لقد أخبرته من بين
القلق الذي ملأ صوتها بأن زوجته الصغيرة ليلي
ليست بخير، أخبرته أن يعود سريعاً وبصحبه
بعض المساعدة لأن أحدهم قد هاجمها وهو ما زال
في منزله، وعدة أشياء أخرى لم يسمعها لأنه عقله

قد توقف عند ما قالته. كان يقود بأسرع ما لديه
متخطيًا إشارة المرور في عدة طرق فارغة من
البشر نظرًا لتأخر الوقت، لا يعلم كيف تحدث مع
رجاله ليأتوا إلى منزله ولا يعلم متى توقف هناك
أسفل البناية، هو فقط سابق الرياح والزمن ليصل
إلى هناك بأسرع ما لديه والخوف يأكل قلبه، وفي
داخله يرفض أن يعيش هذا مجددًا، هو يرفض أن
يعيش هذه المأساة مرة أخرى فهذه المرة لن
يستطيع أن يستمر، لن يستطيع أن يتماسك أو أي
شيء آخر فهذه المرة نهايته سوف تكون حتمية، هو
لم يعد يستطيع أن يفقد امرأة ينبض لها قلبه بعد
الآن. ركض يونس علي الدرج حتى وصل إلى
الطابق الخاص بهم وقد وجد الباب مفتوح على

مصرعيه، كان يلتقط أنفاسه بصعوبة والقلق
والاضطراب يكاد يمطر من عيناه وتجمدت خطواته
أمام الباب وكان عقله قد نسي كيف يطلق الأوامر
إلى باقي جسده، يخشى أن يتقدم ويرى ورقة
الخريف خاصته قد سقطت عن الشجرة، يخشى أن
يراها متيبسة وبلا حياة، مرور كفه داخل خصلاته
يحاول أن يسيطر علي اعصابه ويهدي ليستطيع أن
يتقدم، ولم يقوي على الحراك إلا عندما سمع
صوت ابنة الجدة تقول بهلع : _ شكله هيصحي يا
ماما، أنا لو ضربته بالفازة تاني ممكن يموت. وهناك
فقط تقدم إلى الداخل وهو ينظر على كل جزء من
غرفة المعيشة ليري ما حدث وهناك قد سقط
قلبه، كانت ليلي ملقاه على الأرض ومظهرها مزري،

خصلاتها الناعمة تشتت وعلي وجهها هناك آثار
ضرب وما أخافه أكثر أنها لم تكن مستيقظة، وعلى
بعد خطوات منها كان هناك زياد الحقيير الذي كان
يبحث عنه منذ أشهر ولكنه لم يعثر عليه، والآن
اتضح له أنه كان قريبًا بما يكفي منهم ليعرف كيف
يصل إلى منزله في غيابه ويعث الفساد به. تحدثت
الجنة حميدة بسرعة بعد أن نهضت لتقترب من
يونس بعد أن لمحته يقف أمام الباب ويحرق بجسد
ليلي وداخل عيناه يلمع الخوف يمنعه من الاقتراب
: _ متخافش يا بني، أحنا لحقناها في الوقت
المناسب. كانت تلك الكلمات فقط تكفي لتبعث
به الحياة مرة أخرى ليتقدم منها بسرعة وهو يجلس
أمامها جاثيًا ويفحصها بعيناه وأول ما لاحظته هو

علامة الأصابع علي عنقها الأسمر، تماسك يونس
وسيطر على الغضب الذي نبت داخله وبرفق حملها
بين زراعيها لتسير أمامه جارته التي تخلصت من
المزهريّة التي كانت تمسك بها إستعداد لضرب
زياد بها مرة أخرى أن استيقظ لتفتح له باب الغرفة
الذي أشار لها عليها، وفي منتصف سريره وضعها
بهدوء وترك السيدة معها واتجه إلى غرفتها يحضر
لها البعض من ملابسها لتساعدّها علي تغيير
فستانها الذي بات وضعه مزريًا .

وقبل أن يغادر الغرفة قالت : _ متقلقش يا أستاذ
يونس أنا هكشف عليها عشان نطمّن أنها كويسة
ومفيش أي حاجة فيها غير شوية رضوض

وهكتبتلك الأدوية والحاجات اللي المفروض تعملها.

شكرها يونس بصدق على الأفعال النبيلة التي

تقوم بها، فهي ووالدتها من انقذوا ليلي من الموت

والآن هي ستفحصها لتتأكد من سلامتها، وبعد أن

تأكد أنها في أمان معها غادر نحو الخارج ليهتم بذلك

الوضع الذي يتوسط منزله بكل وقاحة بعد أن أتى

وحاول قتل زوجته، لم يشعر يونس بنفسه إلا وهو

ينهال على الآخر بالضرب حتى استيقظ زياد الذي

شعر وكأن أحدهم قد سكب فوقه سطل من المياه

الباردة، كان ضعيفاً ويشعر بالدور ولم يستطيع أن

ينقذ نفسه من داخل قبضة يونس الذي سيطر

عليه غضبه فهو لم يكن يسمع أي شيء من صوت

الجدة حميدة التي كانت تخبره أن هذا يكفي وحتى

بعد أن انضمت ابنتها إليها هو لم يتركه حتى تحول
وجهه إلى شيء غير معلوم وبات ينزف من كل
مكان. وخلال لحظات وصلوا زملاء يونس الذي
اتصل بهم في طريقه إلى هنا وهم من سحبه من
فوقه بصعوبة بعد أن كاد يقتله، وبقوة قاموا
بسحب زياد وهو يأخذه معهم إلى حيث سيارة
الشرطة التي تنتظر في الأسفل وهو بالكاد يقف
على ساقيه، غادر زملائه أولاً ومن بعدهم غادرت
جارتة الطيبة ووالدتها الجدة حميدة التي عانقته
بخفة قبل أن تغادر وهي تخبره أن كل شيء على
ما يرام. خلع يونس رابطته عنقه التي كانت بالكاد
تتمسك بقميصه وخلع معطفه أيضاً قبل أن يتجه
إلى غرفته حيث ليلي نائمة، حافظ على هدوئه بينما

يسير حولها في الغرفة وأول ما قام به هو التوجه إلى
تلك الورقة التي كتبتها له الطيبة والتي كتبت بها
كل شي عن الأماكن التي تأذت بها ليلي ككتفها
المصاب وكتبت له الأدوية التي ستحتاجها
والتعليمات الذي عليه أن ينفذها، أخذ الورقة معه
ثم أخذ ملابسه المريحة من خزانته ثم اتجه إلى
الخارج ليغير ملابسه ويتركها نائمة في هدوء، وعبر
الهاتف طلب ما يحتاج من أدوية وانتظر وصولها
أمام الباب لكي لا يفزعها جرس الباب عندما يدقه
فتي التوصيل. غير ملابسه وقام بكل شيء وها هو
يعود إلى غرفته مرة أخرى وداخل يديه يحمل حقيبة
الدواء الذي لن يحتاج منها شيء حتى تستيقظ
ليلي، وبهدوء انضم إليها أسفل الغطاء وبأرق ما

لديه عائق جسدها بين ذراعيه حارصًا علي الابتعاد
عن أصابتها وبهدوء ظل يربت علي ظهرها
وخصلاتها وهو يعطيها القليل من الشعور بالدق،
ظل هكذا لبعض الوقت لا يعرف قدره، يعانقها
ويربت عليها ويقبل رأسها كلما يتذكر مظهرها وهي
ملقاه علي الأرض بتلك الطريقة القاسية. كان
الوقت يمر والهدوء هو ما يحيط بهم وخلال لحظة
اختفي الهدوء وتحركت ليلى تبادل العناق الدافئ
ذاك وأنفاسها باتت أسرع وأصابعها الرقيقة قبضت
علي سترته من الخلف وبتريث دفعت رأسها في
الفراغ بين كتفه وعنقه وأبعد هو بينهم يعطيها ما
يكفيها من مساحة، وبعد لحظات من الصمت وفي
نفس الوقت الذي شعر بدموعها الدافئة تلوث

رقبته قالت بصوت مهزوز باكي : _ كان عايز
يقتلني.. خنقني وكان هيقتلني. قبل يونس رأسها
مرة أخرى وهي يستمر في التربيت على رأسها وقال
بصوته الدافئ والذي يقطر حناناً : _ متخافيش
خلاص، كل حاجة هتبقا كويسة، وعد مني ليك أني
هخليه ينسى شكل الشارع كان أي، متخافيش أنا
معاك وعمرى ما هسيبك ولا هخلي أي حد يأذيك.
اطبقت ليلى عليه أكثر وظلت تستنشق رائحته
المهدئة للأعصاب وهي تشعر بذراعيه يحيطون بها
وكأنهم أجنحة ملاك يعانقوها لحمايتها من بطش
وفساد العالم، وكان هذا بالنسبة لها كمكافأة
عظيمة لأنها صمدت حتى الآن، النوم بهذه الراحة
داخل أحضان من تحب كان شيء يمكنها أن تعيش

كل ما عاشته لتحصل عليه، يونس شخص يستحق
أن يكون هو الجائزة التي تنتظرها في نهاية الطريق
وبين أحضانه يمكنها أن تنام بسلام كأول ليلى
ينامها المحاربون بعد الهدنة. وما كنتُ ذا غيٍّ ولكن
إِذَا الهَوَى أَصَابَ حَلِيمَ القومِ أَصْبَحَ غَاوِيَا. محمود
سامي البارودي.

———— Part Break ————

ن تك... نحن البشر خلقنا الله مختلفون في كل
شيء عن بعضنا البعض، مختلفون في الشكل
والأحلام والطموح والأقدار أيضًا، وهذا الاختلاف هو
ما يجعل مسارات أفكارنا مختلفة في ما يتعلق بكل
شيء، وهذا ما ينطبق على تعريفنا لكلمة نهاية،
فكما يختلف نطقها وطريقة كتابتها من لغة لأخرى
فكل واحدٍ منا ينظر إليها بطريقة مختلفة ومن أبعاد
مختلفة لتعني لكل فرد منا شيء مختلف بعيدًا
للغاية عن أفكار الأشخاص من حوله. فقد تعني
كلمة نهاية للبعض نهاية حدثٍ كارثي وبداية آخر
أكثر صعوبةٍ من ما مضى، أو قد تعني نهاية فترة
جيدة كالأحلام في حياة بائسة لأحدهم ، وفي مكان آخر
من العالم قد تعني هذه الكلمة نهاية الأمل وقد

تكون النهاية بداية ظهور الأمل، قد يفكر أحدهم أن
هذه كلمة مميزة يمكن كتابتها في نهاية كتاب ممل
لم يتمتع صاحبه كما يجب وقد يعتقد شخص آخر
أنه لا يريد أن يرى كلمة نهاية بعد آخر مشهد من
فيلمه المفضل، وفي نهاية مسرحية ملحمة قد
يقول أحدهم بصوت جوهري أن هذه ليست النهاية
بل بداية كل شيء، وقد تكون النهاية بالنسبة لرجل
الدين ليست إلا نهاية العالم القادمة لا محالة.
النهاية كلمة يمكن أن تطلق على كل شيء وأي
شيء في هذه الحياة التي لديها نهاية لكل شيء آخر
، قد تقال بسعادة أو قد تقال بشجي، وفي كل
الأحوال تكون نقطة النهاية التي يتوقف عندها
الإنسان هي ذاتها نقطة بداية جديدة لشيء جديد

سوف يأتي بصحة التغيير، فما بعد النهاية دائماً
شيء خارج عن المألوف والمتوقع، أما يكون هدوءاً
بعد حرب أو حربٍ بعد الهدوء ولا يوجد احتمال
ثالث كالهرب، فالمرء لا يمكن أن يهرب من مصيره،
فحدوث النهاية هو شيء حتمي كحتمية الزمن.
ليلي كانت من الأشخاص الذين يعترفوا بالنهاية
وحتميتها، كانت كلما يعيق تقدمها حجراً تجزم أن
هذه هي نهايتها وأن حياتها سوف تبقى عالقة في
هذه النقطة للأبد، ولكن بطريقة عجيبة كانت تستمر
متخطية هذه الأحجار واحداً تلو الأخرى، لقد تخطت
موت والديها والحياة الصعبة التي عاشتها مع
حسن ونجله، والآن هي تحاول أن تتخطي حجراً آخر
كان يطبق علي قلبها كل ليلة بعد أن تغلق عيناها

لتنام وتريح نفسها بعد يومٍ طويل، ولكنها حتى
اليوم وبعد مرور شهرين من محاولة زياد لقتلها لم
تستطيع أن تتخطي ومرة أخرى لجأت إلى تجاهل
مخاوفها لعلها تذهب عنها وتتركها لتعيش بسلام.
حياتها المعبئة برائحة السلام ما زالت مستمرة وبين
زحام يومها بعد أن بدأت العمل في مكتب خالد الذي
استقبالها برحابة صدر لم تكن تتذكر أي شيء من
ما حدث، بل تجري مع التيار وتستمتع بطعم
التعب المعبئ بلذة تحقيق أحلامها، تعود إلى المنزل
لتمارس واجبها كزوجة وفي أوقات فراغها تنخرط في
الحياة المجتمعية وتتواصل مع نور ويارا التي علي
وشك الولادة بعد أن بلغت شهرها التاسع قبل أيام.
هي تعترف أن كل شيء تغير مع الجميع بعد أن

وضع زياد خلف القضبان، انتشر خبر فعلته بين
الأصدقاء وكان وضع نور سيئًا لعدة أيام حتى
اقنعتها هي أنها بخير الآن وستكون بخير أكثر لاحقًا،
حسن أمطر فاتن زوجته بغضبه عندما علم بالأمر
وفي النهاية غادرت فاتن سجنه الذي بقيت داخل
جدرانها ثلاثون عام، وكان ما حدث لزياد النقطة التي
جعلت الكأس صبرها يفيض وينسكب، وبعد أن
رفض أن يقوم بتطليقها كما طلبت منه مرارًا
ساعدتها ليلي برفع دعوى خلع لتنفصل عنه رغمًا
عنه وتتركه بلا شيء، بلا امرأة يستند منزله على
ظهرها، وبلا ابنة يمكنها أن تكون حبيبته وصديقته
الوحيدة وبلا الصبي الذي تمناه من الله والذي
افسده كما يفسد الحبر الحليب.

ن تك... لقد بقي حسن بمفرده في نهاية المطاف
كما كانت حياته قبل أن يقرر صنع عائلة، لقد خسر
كل شيء فقط لأنه لم يكن حكيماً بل كان طاغياً لا
تعرف الرحمة سبيلاً إلى قلبه الجاف للرحمة، لقد
تناسي حسن كل شيء عن القيم والمبادئ الذي
تربينا عليها جيلاً بعد جيل منذ أن أتى الإسلام على
هذه الأرض مطهراً أياها، لقد نسي أن الله كرم المرأة
وقام هو بأذلالتها، لقد وقف في منتصف منزل وأمام
الله الذي يراه كل لحظة وأخبر الجميع أن زياد فوق
الجميع وفي النهاية قد خسره وخسر الجميع.
انتقلت فاتن إلى منزل والدته أحمد التي تعيش
بمفردها في منزلها ولا ونيس لها، بعد أن رفضت أن

تبقى في منزل نور التي أصرت عليها لأيام، وفي
النهاية قد باتت في ونيسة والددة أحمد وباتت والددة
أحمد انيستها فالنساء للنساء في كل الأوقات
والعصور ليكن سندًا ووعنًا لبعضهم البعض.
وقفت ليلي أمام منزل مروان بعد أن أشار لها
يونس الذي كان متأخرًا عنها بعد خطوات علي
الشقة الصحيحة لتطرق الباب، فهي من فرط
حماسها لم تدرك أنها كانت تركض صاعدة الدرج
حتى تصل إلى الأعلى بأسرع وقت، طرقت ليلي باب
منزل مروان بحماس جعل يونس يقهقه علي
حماسها في مقابلة الضيف الجديد الذي أضاف إلى
هذه العائلة الصغيرة، فيارا قد أنجبت طفلها يوم
أمس وها هم اليوم يأتوا للزيارة بعد أن عادت إلى

المنزل صباح اليوم، فمروان قد أخبر الجميع أنه لا
داعي ليأتوا إلى المشفى. فتح لهم مروان الباب
وهو يتبادل الأحاديث مع أحمد الذي يجلس في
الداخل براحة وقال فور أن شاهد يونس المبتسم
أمامه : _ هو أنت دائماً متأخر، هي طنط سلوى
كانت بتشربك تأخير بدل اللبن وأنت صغير. لم
يهتم يونس بحديثه وعلى الفور أنهال عليه بعناق
وهو يهنئه بعد أن رزق بصبي، عبرت ليلي إلى
الداخل وهي تصافح أحمد وتهنئه أيضاً ثم صافحت
مروان الذي انتهى هو ويونس من اللقاء التحية
على بعضهم، وعلى الفور أشار لها مروان جهة
الغرفة وقال : _ اتفضلي يا ليلي أدخلي الاوضة
اللي في الوش وحضري نفسك عشان اتأخرت.

ابتسمت ليلي في وجهه وقالت بينما تسير إلى
الداخل : _ يونس السبب قعدت اصحى فيه ساعة
وقعد ساعة تاني ينقي هدومه ويشوف هيلبس أي.
نظر لها يونس بأعين واسعة أصر صدمته فما قالت
فعلا قد حدث ولكن هو من كان يقوم بهذا معها وفي
النهاية ظل يتملق مظهرها لساعة حتى تتوقف عن
تغيير ملابسه وتكتفي بما ترتدي الآن حتى اقتنعت
أنها تبدو جيدة كفاية لاستقبال مالك الصغير، قهقهه
أحمد ومروان علي ملامحه وهم يضربوا كفوفهم
ببعض وقال أحمد ساخرًا : _ من عاشر قوّمًا بقا يا
صاحبي، البت عاشت معاك كام شهر بقت نسخة
منك وبتحور بمصداقية كمان.

ن تك... وافقه مروان الذي اتجه إلى المطبخ يحضر

المشروبات من الداخل : _ الصراحة أنا كنت

هصدقها لولا ملامحك دي. لم يعلق يونس علي

سخريتهم وفي داخله تواعد لتلك الكاذبة الذي قرر

أنه سيختار ملابسها لأجلها من أجل كل مكان

يذهبوا إليه مع بعضهم لكي لا تتأخر وتلقي التهم

عليه في النهاية، أما في الداخل هم يقهقهوا علي ما

فعلته به بينما يخبروها بفخرهم بها، فها هي تبدأ

طريقها كزوجة تعيش على إزعاج زوجها كما تفعل

وكل واحدة منهن منذ سنوات. أصدر مالك الصغير

صوتًا طفيفًا وهو نائم بجانب أمه على السرير

لتقترب منه ليلي التي امتنعت عن حمله عندما

أتت لكي لا تزججه أثناء نومه فالطفل قد ولد لتوه

ولم تريده أن يكره الحياة ومن بها عندما تؤرقه وهو
نائم في يومه الأول في الحياة، ولكن هذا الصوت
نبههم أنه استيقظ وبات مشاركًا معهم في الأحاديث
العشوائية الذي انخرطوا بها، لتحمله ليلي برقة بعد
أن اعطتها يارا التعليمات اللازمة لتحمله بطريقة
صحيحة لا تؤذيه للين عظامه. نظرت لهم ليلي بتأثر
بينما ترى ذلك الإنسان الصغير الذي يتوسط
ذراعيها وتركتها كلا من نور ويارا فكل من يحمله
يصاب بهذه الرجفة ولحظة التأثر، فرؤية رضيع ولد
لتوه أجمل شيء يمكن أن يعيشه إنسان ناضج
حارب ليصل إلى هذا العمر، قاطع هذه اللحظة
صوت طرق على الباب لتخبرهم نور بأن ينتظروا
لتساعد يارا علي الجلوس بطريقة صحيحة وهي

تعيد وضع غطاء الرأس لأجلها لتكون بمظهر يسمح
لأحمد ويونس بالانضمام إليهم، فهي تعلم أنهم
يريدوا رؤية الصغير الذي لا يستطيعوا إخراجه من
الغرفة بتعليمات صارمة من الطبيبة ف فبراير ما زال
باردًا ولا يجب أن يسمحوا لهذا الصغير بأن يمرض.
عندما أنتهت نور من تجهيزها سمحت لهم بأن
يدخلوا ليكون أول من دخل هو مروان الذي ألقى
نظرة سريعة علي الأرجاء قبل أن يفتح الباب أكثر
يسمح لأخيه وصديقه أن ينضموا إلى هذا التجمع
الصغير، كان أحمد قد رأي مالك سابقًا لهذا قد
ابتعد يسمح ليونس بأن يفعل، اقترب من الداخل
ليهنئ يارا بمولدها الأول وبدون أن يدفعه أحد هو
قد اقترب من حيث ليلي التي ما زالت تعانق

الصغير بحب إلى صدرها الدافئ. وقف خلفها وهو
ينحني إلى الأسفل قليلاً حتى باتت رأسه بجوار رأس
ليلي التي تنتظر كالجميع رؤية ردة فعله، أما هو
فظل صامتاً ثواني تخطت الدقيقة، لا تخرج أي
كلمات من حلقه ولا أحد أحد يري التأثير علي وجهه
سوي ليلي التي التفتت تنظر إلى وجهه القريب،
كان متأثر وكادت الدموع تتكون في عيناه ولكنه
رمش بسرعة حتي ضاع أثرها داخل بنيتاه، كان
الجميع يعلم في ما يفكر حتى ليلي التي استطاعت
قراءة عيناه بسهولة، فأن لم يحدث ذلك الحادث قد
حدث لم يكن ليموت طفله الأول، كان سيراه وهو
يعيش يومه الأول مثل ذلك الصغير وكان سيراه

يكبر ويعيش كل لحظة بجانبه والآن كان سيكون
هنا معهم في هذه الغرفة وهو في الخامسة من عمره.

كان ذلك المشهد حزينًا وسعيدًا في الوقت ذاته لهذا
حافظ الجميع علي هدوئهم حتى ليلي التي شعرت
بحزنه الذي كان يخرج من عيناه، حزنه المساوي
لسعادته من أجل صديقه الذي أصبح أبًا، رفع
يونس رأسه بعد أن أدرك أنه قد أطل التحديق به
وقال بابتسامة واسعة : _ الحمد لله مش شبه
مروان. قهقهوا جميعًا على ما قاله يواكبوه، عدا
ليلى التى اكتفت بالابتسام بينما تقترب إلى يارا
تعطيه لها برفق، أخذته منها يارا في الوقت الذي
تحدث به أحمد قائلاً بابتسامة مبهمة تبادلها مع نور

الهادئة : _ بما أننا متجمعين حبيت أنا ونور
نقولكوا حاجة. أومأوا له جميعًا ينتظروا سماع هذا
الأمر المجهول الذي يرغب بأن يعلن عنه الآن،
ليستمر قائلاً : _ أنا ونور بعد فترة كويسة من
التأجيل قررنا سوي أننا مستعدين نستقبل فرد
تالت في عيلتنا وعشان كدا حابكم تستعدوا عشان
ولي العهد هيشرفنا بعد سبع شهور. شهقة ليلي
ويارا في اللحظة ذاتها وهم ينظروا إلى نور التي ترفع
لهم أثنين من أصابعها تعلن أنها حاملًا في شهرها
الثاني، اقتربت منها ليلي سريعًا تعانقها وهي تهنئها
علي هذا الخبر الذي جعل من هذا اليوم وهذا الشهر
مثالي، ثم اقتربت نور من يارا تعانقها في ما زالت
ضعيفة ولا تتحرك بكثرة وفي هذه الأثناء كان أحمد

يحصد المباركة من صديقه وشقيقه الذي بدأ
يتحدث على الفور بحماس : _ لو بنت هجوزها
لأبني عشان تعرف أنا قايل عليها من دلوقتي، لو
واد يبقوا ولاد عم بقا وخلص وربنا يعوض عليا.
دفعه أحمد عنه وهو يقول بمزاح : _ قول براحتك
لحد ما تبقا في الجامعة أنا مش موافق. وقف
يونس بجانب أحمد وهو يقول مشاركًا : _ الصراحة
أنا لو مكانك برضو موافقش اجوز بنتي لأبن مروان،
تخيل المسكينة يكون مروان عمها وحماها. دفعهم
مروان خارج الغرفة وهو يقول : _ طب يلا بقا من
هنا ابني خد علي خاطره، يلا من غير مطرود.
قهقهت الفتيات الثلاثة علي هذا الشجار الذي لم
يتوقف حتى بعد أن غادروا جميعًا هذه الغرفة،

وجلسن معًا يتحدثوا عن الأطفال الحمل وكل
الأشياء التي سمعتها ليلي للمرة الأولى، فهي كما لم
تحمل رضيعًا لتوه من قبل، هي لم تعرف هذه
الأشياء عن الإنجاب والزواج من قبل فوالدها قد
غادرت مبكرًا وفجأة بدون أن تخبرها كل شيء يجب
أن تخبره الأم لأبنتها عن هذه الحياة الجديدة
المختلفة التي تدعي الزواج. كانت ليلي شاردة
طوال فترة عودتها إلى المنزل، تحقق في الطرقات ولا
تعطي لمن يجلس بجانبها إهتمامًا مما جعله
متعجبًا، فحالها الآن قد تغير تسعون درجة عن
حالها وهم في طريق ذهابهم فقد كانت متحمسة ولا
تتوقف عن الحديث بشأن حبها للأطفال وخاصة
الرضع من بينهم، وهذا ما أعتقد أنه سوف يحدث في

طريق عودته إلى المنزل او ربما يكون حماسها
مضاعفًا، ولكنها الآن تبدو منطفئة وعندما يكون هذا
هو حالها يكون عقلها مزدحمًا بالأفكار، فهو بقي
معه لفترة كافية ليعرف ما يحدث معها وداخلها
من نظرة، وربما هذا بسبب لحظة الصمت التي
أصابته عندما نظر إلى مالك، هو يعرف بأن لا أحد
رأي لحظة ضعفه تلك سوها وربما هذا ما يجعلها
صامتة بتلك الطريق، لأنها تظن أن حديثها عن
الأطفال قد يجعله حزينًا.

ن تك... أما عن ليلي فهي كانت تفكر في الكثير،
تفكر بنور التي قررت مواجهة مخاوفها في الحصول
على طفل مخاوفها الذي زرعها أبيها داخلها، كانت

تحب أحمد وتعرفه كصديق وحبیب وزوج ولكنها لم
ترى جزء الأب منه وهذا ما جعلها قلقة، كانت ترى
الأب السيء الذي تملكه في جميع الرجال وخشيت
أن أن يكون لها أحمد زوجًا مثاليًا لا تستطيع أن
تتخلي عنه ويكون لأبنتها أبًا سيئة تتمني طفلة
التخلص منه ذات يومًا، كانت تخشى أن يحب أحمد
إحدى أولاده أكثر من الآخر لتغيث ابنتها ذات القدر
الذي عاشته هي ولكن ذات ليلة وبكلمة عشوائية
لم يخطط لها أحمد قد غير كل شيء، غير وجهة
نظرها وجعل خوفها يتبدد، هو جعل قلبها مطمئن
حين قال أنه يريد أن ينجب منها فتاة لأنه سيحب
أن تكون أكبر أولاده فتاة لطيفة وحنونة عليه وعلي
باقي صغاره. هذه الأحاديث التي أخبرتهم بها نور

جعلت الإبتسامة تعلو ثغرهن لدقائق فأحمد
المسكين الذي لم يكن يعرف سبب ممانعة نور عن
الإنجاب بحديث عشوائي غير مقصود اقنعها وإن
كان يعرف الأمل لصنع أغاني لأجلها ليعبر عن حبه
للفتيات لتطمئن نور. أخذتها الأفكار المزدحمة في
رأسها إلى الاطمئنان، الاطمئنان الذي كان يسكن
قلبها وذهب مع الرياح بعد أن رأت تلك النظرة في
أعين يونس عندما نظر إلى مالك، النظرة المعبئة
بالحنين والذكريات إلى ما لا تعلمه، اهو يتوق لإنجاب
طفل أم أنه يطوق لطفله هو، طفله ومريم، اهو يفكر
بها حتى الآن وبعد أن باتت علاقتهم في تقدم
مستمر، اهو يفكر في ما كان سيحدث لو لم يفقدها،
هذه الأفكار والهواجس التي كانت تأكل عقلها

وقلبها قبل أشهر وهي ملقاه علي أرضية غرفتها
وبددها اعتذاره الصادق تعود مرة أخرى لتطفو علي
القمة ولكن بطريقة سيئة فهي باتت تحبه بطريقة
تجعلها غير قادرة على تخيل حياتها بدونه ولا تعلم
ماذا عليها أن تفعل الآن. كانت ليلي غارقة بين
أفكارها ولم تلاحظ أن السيارة توقفت أسفل منزلهم
أو أن يونس غادر السيارة واتجه إليها يفتح لها الباب،
وفجأة وجدته يلوح أمام أمام وجهها، نظرت إليه
للحظة وهو يقف أمام باب السيارة وخلفه بنائتهم،
قال يونس بهدوء وهو ما زال يحدق في وجهها : _
أنتِ كويسة؟ أومأت له ليلي علي الفور بابتسامة
أدرك أدرك سريعًا أنها مصطنعة وبينما تلتقط
حقيبتها وتغادر السيارة قالت بهدوء وصوت خامل :

_ اه كويسة، سرحت بس شوية ومخدتش بالي أنا
وصلنا. أغلق يونس الباب من خلفها ثم السيارة
واتجه إلى الأعلى وهو يراقب ظهرها، لا يعلم ما الذي
أصابها فهي لا تتجنب التحدث عن الأطفال فقط بل
تتجنب الحديث بشكل كلي، سعدوا معًا بهدوء
وفور أن عبروا شقتهم ذهبت هي إلى حيث الغرفة
سريعًا وهي تخبره أنها سوف تغيير ملابسها لكي
ينتظرها لتخرج ثم يدخل هو فهم منذ حادث زياد
باتوا يناموا معا في غرفته بعد أن أصر يونس عليها.

ن تك... غادرت ليلي الغرفة ليذهب هو بعدها وهو
ما زال يراقب تصرفاتها الغريبة يرغب بتحليلها، وفور
أن عاد بملابس البيت اتجه إلى المطبخ إلى حيث

هي تحضر مشروبها المفضل الذي بات مشروبه
المفضل أيضًا، قهوة بالنعناع، وقف على الباب وهو
يبتند بكتفه وقال لها بابتسامة : _ أنا ليا عندك
فنجان قهوة على فكرة اديله شهور. نظرت له ليلي
تحاول أن تفهم ما يعنيه وقد فهمت فور أن ألتقت
عينها البنية بعيناها السوداء اللامعة، أنه يقصد
فنجان القهوة الذي وعدته به في أول مرة التقوا به
عندما ذهب إليها ليخرجها من الكارثة التي كانت
واقعة بها، لقد وعدته بفنجان قهوة لأنه أنقذ حياتها
والآن مر علي هذه الذكرى ما يقارب العام ولكنها لم
تفي بوعداها بعد. بالتحدث عن الوعود ذكرها هذا
الوعد بوعد آخر قطعت له لأجله، الوعد الذي وعدته إياه
عندما جلست معه قبل عقد قرانهم، لقد وعدته أنها

لن تقع في حبه ولن تطلب منه أن يحبها وإن شعرت
بأنها تحتاج منه الحب سوف تتركه لتبحث عن
الحب في مكان آخر بعيد عنه، والآن وهي تنظر إليه
وإلى ابتسامته التي لن تمل من رؤيتها إن ظلت
أمامه عمرًا أدركت أن هذا الوعد كان أغبي شيء
تقوم به في حياتها، فهي تحبه الآن وكانت تحبه
سابقًا وسوف تظل تحبه دائمًا، ولكنها لا تستطيع
أن تطلب منه أن يحبها... دفعها يونس بخفة لتبتعد
عن النار وهو يغلقها أسفل فنجان القهوة الذي
فاض وانتشرت رائحته في كل ركن من أركان
المطبخ، وعت ليلي علي نفسها وأدركت أنها ظلت
تنظر إليه وهي تفكر وتفكر حتى فاضت القهوة، نظر
لها يونس بتعجب لم يستطيع إخفائه وقال : _

مالك يا ليلي في أي؟ ، من ساعة ما خرجنا من عند
مروان وأنتِ غريبة. نظرت له ليلي وتكونت الدموع
داخل عيناها، جمعت كفوفها ليصبحوا على هيئة
قبضة وقالت بصوت مخنوق : _ أنا عايزة أطلق يا
يونس. اتسعت أعين الآخر بذهول وهو يعود خطوة
إلى الخلف لينظر إليها بشكل جيد، لقد كانت جادة
متوترة والحزن يमطر من عيناها، ولكنها كانت
سعيدة، هو كان يعلم أنها سعيدة فليلي مثل كأس
الماء يمكن الرؤية خلالها، هو الآن شعر أنه سيجن
فقد كان كل شيء على ما يرام من أين خرجت بأمر
الطلاق الآن وهذا ما قاله بجدية : _ دا اي دا يعني!
، أنا حتى مش هقدر اقولك إنك نمتي وصحيتي
واحدة القرار، أنتِ مسافة السكة من بيت مروان

قررتي إنك عايزة تطلقي، ليه، هو أنا عملتلك حاجة
من غير ما أقصد؟. نفت له ليلي و بسرعة مسحت
دمعة هربت من عيناها وقالت بصوت مهزوز ليدرك
أنها بصعوبة تتحدث : _ لا، أنا عايزة أطلق من غير
سبب. اقترب منها يونس الخطوة الذي تراجعها
سابقًا أثر الصدمة وبرفق مرر كفيه علي خديها ليهتز
جسدها أسفل لمستة الرقيقة تلك، وبرفق مسح
أثار دموعها الهاربة عن وجهها وهو يقول :

ن تك... _ كلميني، متعيطيش وكلميني. كان
يعتقد أن بلمسته تلك سوف يزيل دموعها عن
وجهها الذي بات مرهقًا فجأة ولكن على الفور
اندفعت دموعها خارج وجهها سيولاً ولم تكن تعرف

كيف تتوقف، وهو ظل يمسحهم واحدة تلو الأخرى
بصمت ينتظر منها أن تلبي طلبه ولكن بدلاً عن
الحديث اقتربت منه خطوة عشوائية ووضعت
رأسها في منتصف صدره بدون معانقته، فقط اراحت
رأسها هناك وتركت دموعها تهرب من عيناها براحة
وبهدوء عائق هو رأسها بكفيه يربت عليه تارة
ويخلل أصابعه بينهم تارة أخرى حتى تهدأ وتعرف
كيف تتكلم معه. لم ينتظرها يونس طويلاً لتهدأ
لأنها من بين دموعها قالت بهمس وصل إلى اذنيه :
_ متبقاش كدا، متتصرفش معايا كدا وترجع
تسألني ليه؟ ظل يونس يربت علي رأسها بخفة
ولم يتحدث، أرادها أن تتحدث هي وتخبره ما بها
وهذا ما فعلته، لقد ابتعدت عنه تلك الخطوة وقالت

وهي تمسح دموعها بأكمام قميصها : _ أنت اللي
خلتني أوعدك يا يونس، قولتلك مش هحبك ومش
هطلب منك تحبني، قولتلك مش هدور عندك على
حب بس لما أنت مش عايزني أحبك عملت كدا ليه،
خدتني معاك الإسكندرية ليه ومسكت أيدي ليه
وحضنتيني ليه ورقصت معايا ليه، أنت قولتلي
متحبنيش بس عملت كل حاجة تخليني أحبك
ودلوقتي أنا لازم اسيبك، لازم اسيبك عشان أنا
بحبك، أنا نكست بوعدني معاك وحببتك او كنت
بحبك قبل ما اوعدك اصلا، دا حتي المصحف
بتاعك اللي ادتهولي أول مرة اتقابلنا مش بروح في
حتة من غيره، أنا دلوقتي لازم اسيبك عشان مش
هقدر مطلبش منك الحب. كان يونس ينظر إليها

بقوة وكأنها شيئًا عجيبًا لم يسبق له أن رآه، لم يكن
يعرف كيف يجيب على هذا، لم يكن يعرف أن ذلك
الوعد قد أثقل كاهليها ليوصلها لهذه الحالة، فتح
فمه ليحجب عدة مرات ولكنه أغلقه بعجز وفي هذه
الآناء قالت هي مرة أخرى : _ أنت عارف إني لما
مسكت مالك النهاردة كنت عايزة أجي جري
اوريهولك، كنت بفكر أننا لو خلفنا ولد صغير شبه
هيبقا شبه مين فينا أكثر؟، حطيت خطط وفكرت
بس أنت لما بصتله فكرت في أي؟، فكرت فيا ولا
فيها؟ ، أنا عارفة.. أنا عارفة إنك بتحبها وأنتك مش
هتנסاها وإن أنا مش كفاية عشان تنساها وتحطني
مكانها بس أنا بقيت أناانية، أنا عيزاك تحبني أنا،
عيزاك تفكر فيا أنا، أنا مش عيزاك تبقا جنتل معايا،

أنا عيزاك أنت يا يونس، قلبك... قاطعها يونس الذي
قال بهدوء بينما اقترب يقطع المسافة بينهم وأعاد
كفيه على وجنتيها مرة أخرى وهو يمسح دموعها
بكلا كفيه فأصابعه لم تعد تكفي : _ قلبي يبحبك
أنتِ. ابتلعت ليلي لسانها ونظرت إليه باضطراب لم
يسبق لها أن شعرت به، هي سمعته يقولها بوضوح
ولكن لما تشعر أن هذا ربما يكون حلماً ما ولكن
لمساته الرقيقة علي وجهها كانت تقول عكس ذلك،
ولأنه ولأنه يدرك هذه النظرة المشتتة التي تتجول
داخل عيناها قال مرة أخرى :

_ أنا بحبك يا ليلي، أنا واعي وصاحي وطبيعي
وبقولك أنا بحبك، جايز أكون اتأخرت او كنت فاكـر

أن افعالي هتقولها لك بدل لساني بس أنا بحبك
وحضنتك ورقصت معاكي ومسكت إيدك إيدك
عشان بحبك وعايذك تحبيني، وبسببك أنا بقيت
أناني، يعني لو كنتِ اصريتِ علي الطلاق كنتِ
هتصرف بطريقة بطريقة حقيرة وهرفض. أبعد
يونس كفيه عن وجهها وعلي عجل اقترب منها
يعانقها بقوة وخلال وخلال لحظات فقط كانت هي
تعانق عنقه أيضًا بينما تستمر في البقاء، لم تكن
تخرج صوت ولكن كان جسدها يهتز بين يديه، ظل
يربت عليها وهو يتحدث مجددًا قائلاً كل شيء
تحتاج تحتاج أن تسمعه لعلها تطمئن وتهدهد : _
أنتِ كفاية عشان تخليني انساها يا ليلي، والنهاردة
لما بصيت لمالك ما افكرتهاش، أنا افكرت ابني

اللي مكنتش أنه موجود جواها حتى، بابا قبل ما
اتجوزك قالي إني لو سبت نفسي قلبي هيختار ست
تخلينا نعيش في نعيم وأنت كنت الست دي، وفي
قلبي دلوقتي مفيش إلا أنت ومريم بالنسبة ليا
ست كنت بحبها في يوم. أبعدھا يونس عنه يقطع
العناق وقال وهو ينظر إلى وجهها الهادئ بعد أن
خف بكائها ولم يتبقى منه سوى شهقات وبقايا
دموع ونبيرة مازحة قال : _ ممكن بقا بدل ما نطلق
نتجوز؟. تخلصت ليلي من بواقي دموعها وقالت
بوجهًا مضطرب أثر كلماته الساحرة التي تجوب كل
أزقة عقلها مرة تلو الأخرى : _ أنت طلقيني في
سرك وألا أي؟، ما احنا متجوزين هنتجوز تاني ازاى؟.
بابتسامة كبيرة قال يونس : _ نعمل فرح يعني،

مش نفسك تلبسي فستان أبيض وألا أي؟ ، أنا عن
نَفسي، نَفسي أشوفك بيه. ابتسامة كبيرة علت
وجه ليلي التي نست كل شيء كانت تفكر به طوال
الطريق إلى المنزل، وقفزت عليه تعانقه بحماس
فهي لم تتخيل أنها قد تعيش ذلك الأمر، أن يكون
لديها زفاف وترتدي فستان أبيض ويكون لديها
صورة تعلقها على الحائط ليراها أولادها، هي الآن
سوف تتزوج يونس الرجل الذي أحبته وعلق في
أفكارها منذ أن التقطت به في المقابر، سوف تتزوجه
بطريقة حقيقة وتقيم زفافاً يحضره جميع الأقارب
والأصدقاء وسوف ترقص معه رقصة العمر. ليلي
الآن سوف تجتمع برجل قناع البطل الخارق خاصتها
بالطريقة التي تمنتها والتي لطالما حلمت بها فكما

قالت أم كلثوم، هو أغلى من أيامها الثمينة وأحلى
من أحلامها الحلوة، يونس كان كل شيء بالنسبة إلى
ليلي التي لم تكن تملك أي شيء وكما تمت
حدث، فليلي التي كتبت في التاريخ لم تأخذ قيس
ولكنها حصلت على يونس ومنذ هذه اللحظة لن
يفرقهم شيء حتى الموت لن يفعل، فالموت يفرق
بين المحبين ولكنه لا يفرق بين العشاق. أبو التمام
قال أن الحب هو الحب الأول فقط والآن لا تعلم
ليلي أهى تتفق معه أم لا، فهي لم تكن حب يونس
الأول ولكن رغم هذا هو قد اختارها وقرر أن يخطو
معها نحو المستقبل، ولكن يونس كان حبها الأول
التي قررت أنه لا حب آخر قد يقترب من قلبها من
بعده وهذا ما يجعله ربما مخطئًا، فالحب هو الحب،

إن كان الأول أو الثاني أو المئة، الحب هو ذلك
الشيء الذي يجعلك مضطربًا متوترًا خائفًا وسعيدًا
في الوقت نفسه، الحب شيء حلو المذاق في كل
الأوقات والعصور والأزمان، والأكوان، الحب هو
كالقهوة بالنعناع، شيء لا يمكنك أن تتقبله أو تفكر
بأن تكرره إلا بعد أن تتزوقه. ' الوداع لا يقع إلا لمن
يعشق بعينه أما ذاك الذي يعشق بروحه وقلبه
وقلبه فلا ثمة انفصال أبدًا' جلال الدين الرومي.

النهاية . ٢٠٢٣ / ١٢ / ١٣

